
قاعدة الجهاد ...
الصراع ورياح التغيير
لا إله إلا الله محمد رسول الله
دورة سياسية وعسكرية
(الجزء الثالث)
حرب العصابات . . . الحرب الثورية
جمع وترتيب
سيف العدل - عابر سبيل
محمد صلاح الدين عبد الحليم زيدان

قاعدة الجهاد ..

الصراع ... ورياح التغيير



دورة سياسية وعسكرية

(الجزء الثالث)

(حرب العصابات .. الحرب الثورية)

جمع وترتيب

سيف العدل - عابر سبيل

محمد بن صلاح الدين بن عبد الحليم زيدان


بسم الله الرحمن الرحيم

قال تعالى ..

﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ ١٩٦ ﴾ الأعراف

﴿ . . . فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّي فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴾ ﴿ ١٠١ ﴾ يوسف

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴾ ﴿ ١١١ ﴾ طه

﴿ . . . الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا . . . ﴾ ﴿ ٣ ﴾ المائدة

،،، لله . . وللمسلمين ،،،

شكر وامتنان ...

* الشعب الأفغاني البطل الذي وفقه الله لحمل راية الجهاد في هذا الزمان .. وكان على قدرها .. ورفع أبطاله رأس الأمة عاليا ..

* الشعب الباكستاني كنتم خير أنصار للمجاهدين .. آويتم .. ومولتم .. وجاهدتم ..

* أبو عبد الله أسامة بن لادن وأبو عبيدة علي أمين الرشيدي وأبو حفص صبحي أبو ستة .. رحمكم الله .. لقد مضيتم على الدرب إلى آخره فهنيئًا لكم الثبات والوفاء ...

* الشيخ المجاهد أبو وليد مصطفى حامد .. كنت من خيرة المعلمين للمجاهدين .. فجزاك الله عنهم خيراً .. ونفع الله بك .. وبكتبك .. واختلافنا لا يمنع من أن أشكرك واحترمك وأقدرك وأُثمن تاريخك الجهادي الطويل .. فأنت من أقدم المجاهدين العرب في أفغانستان وأطولهم عمراً .. بارك الله في عمرك وأطاله لنفع الأمة ..

* الشيخ المجاهد أبو أسامة عبد العزيز علي .. تعلمت منك أن أعلم الفقير الصيد وأعطيه شبكة .. خير من أن أعطيه نفقة سنة ..

* الأخوان المجاهدان أبو الفاتح وحيدرة .. جزاكما الله خيرا .. انتفعت بكما كثيراً ..

* الأخوان المجاهدان أبو الخير عبد الله رجب .. أبو محمد عبد الله الألفي .. فقد أرهقتكما بقراءة ما كتبت .. وانتفعت بما نصحتم ...

محمد بن صلاح الدين بن عبد الحليم زيدان

سيف العدل – عابر سبيل

عيد الأضحى ١٤٣٤ من الهجرة

في الثقافة الثورية

حرب الثوار

تمهيد:

حظيت حرب الثوار بما لم تحظى به أي حرب من كثرة الأسماء .. كما حظيت بالاهتمام والدراسة وكثرة التعريفات .. هذا يعود بالدرجة الأولى للإعجاب بالأداء السياسي والعسكري للمقاتلين .. فالبراعة السياسية في إدارة الصراع مع البطولات العسكرية تلهب حماسة الأدباء والشعراء .. كما تلهب حماسة الجماهير وتدفعهم للانضمام إلى صفوفها .. والنجاح في العمليات العسكرية هو خير داعي ومحرض للثوار ..

أُطلق عليها حرب الغوار .. العصابات .. الثوار .. حرب الشعب .. حرب المطاريد .. كما اشتهرت بتكتيكاتها فقيل عنها .. القتل بألف جرح .. البرغوث ضد الكلب .. اضرب واهرب .. قاهرة الجيوش .. الأقزام ضد العملاق .. الضعيف ضد القوي .. فخ الدب .. شبكة النسر .. عادة ما تكون حرب بين قوتين غير متساويتين .. إنها في جوهرها مواجهة بين (من يملكون) ومن (لا يملكون) .. بين الأمم الغنية والأمم الفقيرة .. إنها حرب القرن العشرين

حرب العصابات علم .. سياسي عسكري .. ونظرية اجتماعية .. ورؤية اقتصادية .. وابتكاراً تكتيكياً .. وهي من زاوية ما .. سلاح قوي .. سيف تحرير .. وعدل اجتماعي .. كما أنها من زاوية أخرى .. وسيلة مدمرة وخطرة .. تحول المسالمين لمحاربين .. وبالتالي تَعينَ على الدول الكبرى أن توليها عناية واهتمام .. فهي تدعمها حينما تتحالف مع الثوار .. وتكافحها عندما تكون ضدها أو ضد حلفائها ..

من المقومات التي تعتمد عليها العصابات بلاد ذات عمق جغرافي كبير .. ومناطق وعرة كالجبال والغابات والمناطق المزروعة والمستنقعات .. والمناطق التي تنعدم فيها سيطرة الحكومة .. مناطق تتوفر فيها المياه والغذاء والثروات .. حيث تمثل تلك المناطق نقطة الارتكاز والانطلاق في الحرب ..

ومن المقومات أيضاً شعب غيور حي .. شعب مسلح ومحارب .. لديه قضية تشغله وتهمه ويقاتل من أجلها .. يتمتع الشعب بعمق إقليمي .. سواء كان عقدي أو عرقي .. أو حتى نفعي تتقاطع فيه المصالح ..

يحرك الحرب وعي الشعب بما يعانيه وإرادته في التحرر .. فالاحتلال المباشر أو غير المباشر وما يورثه من الاستعباد والظلم والكبت والمعاناة والقهر والجوع والبغي والبؤس والإبادة .. وما شابه هذه المفردات .. تفرض على النفوس الأبية الرغبة في التغيير .. وخوض الصراع من أجل العزة والكرامة والحرية والسيادة والاستقلال والشرف .. إنها الحياة ..

الدورة الاقتصادية من أراضي المواد الخام مروراً بالعملية الصناعية وانتهاء بالتسويق .. هي نقطة الضعف الحديثة لكل الدول إلى حين .. وهي تجر معها وسيلة أيضاً حديثة لاستغلالها ألا وهي .. حرب العصابات .. التي تغامر لتدمير اقتصاد العدو وإيقاف عجلته .. ومن ثم إدارة عجلته بمعرفتها ..

استحدثت القوى الاستعمارية لنفسها أسلوباً فريدا في حماية مصالحها حول العالم .. فقد أوكلت بالسلطة خلفاً لها لمجموعات من العسكر أو الملوك قهروا شعوبهم .. وقاموا بحماية مصالح المستعمر السابق من أجل حظوظهم وشهواتهم .. ولهذا فحرب العصابات تقوم ضد مستعمر حقيقي أو وكيل عنه من أبناء الشعب الضالين ..

الجيش والقضاء بينهما زواج لا طلاق فيه .. عقمت رحمه أن تحمل بالعدل .. ولا يتبنون إلا القهر والظلم .. تدار العملية الاقتصادية من خلال قادة الجيوش وهم مجموعة متخلفة ذهنياً - إلا من رحم الله - فإن لم يدل على ذلك نسبة تخرجهم من الثانوية العامة دل عليه سوء إدارتهم .. فهناك أميين أقاموا إمبراطوريات مالية .. لكن هذه القيادات العسكرية تشربت الغباء والخيانة حتى نضحت أجسادهم بها .. والأعجب من ذلك أنهم يحملون الشعوب فشلهم وسوء إدارتهم فيفرضون عليهم مزيد من الضرائب .. أو على الأصح يسرقونهم لزيادة أرباحهم .. وهم بحاجة لمن يربك الناس ويقهرهم وليس هناك مطية أفضل من القضاء والقضاة .. ولهذا فلا يحلم سكان العالم الثالث أو الدول الإسلامية بأن يدار الاقتصاد ليهنؤوا .. أو يحفهم العدل ليأمنوا .. ولا سبيل لتحررهم وإقامة العدل بينهم إلا بالقضاء على الاثنين ثم بناء منظومتهم الجديدة ..

هذه الأسرة الضالة لها بوابين وكلاب ومنافحين عنهم ومنتفعين منهم .. وهم الشرطة والأمن والإعلام ومؤسسة السينما والمؤسسات الدينية المدجنة ورجال الأعمال .. فلا غرابة أن يقول نهرو أنه لا يخاف إلا (هوليود والسي أي إيه) .. فالأمن والسينما يشكلون العقول بالترهيب والترغيب .. وكلاهما يفسد المجتمع .. أما المؤسسات الدينية أرضية أو سماوية فلا هم لهم إلا إصباغ الشرعية[١] على كل تصرف أو فعل للسادة .. كما يفعل مفتي مصر علي جمعة وشاوشية الأزهر (قاتلهم الله) .. أما الكنيسة فلها أهدافها الاستقلالية التي يمنحون من أجلها أعراضهم .. ولهذا حينما تقوم الحرب

[١] يجب أن ينتبه القارئ إلى أن معنى الشرعية عندنا مصروف فقط للإسلام .. أما شرعية المجتمع الدولي والأمم المتحدة والدساتير الوضعية .. فهي ناقصة ساقطة .. وما قامت الحروب الجهادية إلا من أجل إقامة الشريعة الإسلامية .. على منهاج النبوة ..

فإنها عـادة تبـدأ بـالبوابين والكلاب والمنـافحين .. ويـا ليتهـا بـدأت بـالجيش والقضاء .. وعلى الأصح بمن خلف القضاء والجيش ..

وبنـاء على مـا سـبق فقـد اتسـمت حـروب العصـابات والثـورات في الماضـي البعيد والقريب .. بالعمل ضد نظام طبقي مستبد أو مستعمرين مجرمين مغتصـبين أو حكومـات دكتاتوريـة تـؤمن مصـالح مسـتعمرين سـابقين .. واليـوم في العـالم الإسـلامي الـذي يعـاني من ظروف موضوعية جلية (فقـد بلغ القهر الاجتماعي والسياسي والاقتصادي مبلغا كبيراً) .. بدء في اكتسـاب الذاتيـة (إرادة التمـرد) بسـبب نجـاح المجاهـدون في حـرب أفغانسـتان في تدمير الاتحـاد السـوفيتي .. وإسـقاط الهيبة الأمريكية على يد تنظيم القـاعدة .. وأيضاً استنزاف الأمريكيين في حـرب طويلـة المدى في أفغانسـتان .. وبالتـالي فإن الحـرب أو الثـورات القـادمة تبقى مستمرة .. ضد بقايا الملكيـة المستبدة .. والنظم الـدكتاتورية العسـكرية التي تحمي مصالح القـوى الكبرى وحليفهـا اليهـودي .. والـواجب أن يدخل في معادلـة الحـرب العناصر الأكثر اسـتفادة من النظم القـائمة .. فلا بد من القيام بعمليات لضرب المصالح الأمريكية في كافـة أنحـاء العـالم الإسـلامي .. إذا كانـت هي الدولـة المحتلـة أو التي تـدعم النظـام الفاسـد .. ولماذا الولايات المتحـدة الأمريكيـة؟! .. لأنها في هـذا الزمـان العـدو الأول للإسـلام وللإنسـانية ويندر أن لا تدعم نظام فـاسـد ضـد الأحـرار من أبنـائه ..

إن أي رد فعل للأمريكان على الثـوار يسـتدعي طائفة كبيرة من المترددين في قتـال الحكومـة لشـبهات دينيـة .. فالأمريكـان عـدو واضـح ولا يـدعم إلا الفاسدين ضد مصالح شعوبهم .. وبتدخل الأمريكان تتحرك هـذه الطـائفة من منطلق ديني لدعم الثوار .. ويسـاهم هذا الدخول من البوابة الدينية في

تسريع فترة الحرب أو الثورة - فطول الحرب يتعلق بالأساس في التبديل بين موازين القوة بين العصابات وأعدائهم - نظراً لما يحققه الدين من تمايز بيّن بين المعسكرات المتحاربة .. وأيضاً للبجاحة والعنف الأمريكي خاصة والغربي عامة ضد ما هو إسلامي .. والقهر اليهودي ضد ما هو فلسطيني .. ويبقى طول زمن الحرب مرهونا بقدرة العصابات على بناء وتطوير عناصرها وأجهزتها .. كما أن الزمن يبقى مرهوناً أيضاً بتفشي التفتت في عناصر قوة العدو ..

وعلى الرغم من أهمية عنصر الدين في توحيد الجبهة الداخلية ضد قوى القهر المحلية والداعمة لها .. إلا انه لن يحقق شيئاً كبيراً على مستوى المؤسسات الدولية الذي تتحكم به الدول الغربية (الصليبية عند الحاجة) وتوابعها .. ولهذا فيتحتم على الجناح السياسي للعصابات أن تبذل مجهوداً كبيراً لتحيد الدول الأقل تطرفاً منهم أو الأقل حظوظا في التركة العالمية .. والاستفادة من العداء بين القوى الصاعدة والقوى الغربية .. وتشكيل جبهة من مجموعات الدول التي تعاني مما عانت منه أو نجحت في حروبها ضد المستعمرين .. والأهم هو التحرك على مستوى الشعوب الإسلامية لتحقيق وحدة حقيقة تساهم في عزل العدو وأنصاره شعبياً على رقعة كبيرة من الأرض .. وتوفر للعصابات دعماً مادياً وإنسانياً وبشرياً .. وتخلق للعدو مناخاً يُستنزف فيه اقتصادياً وعسكرياً من أجل تأمين مصالحه المنتشرة على الأراضي الإسلامية .. والتي ستعاني من هجمات عنيفة وقوية خاصة في مناطق إنتاج النفط ..

والخلاصة أنها نوع من الحروب يلجأ لها الطرف الأضعف ماديا للتغلب على خصم قوى .. عندما يجد أن المجابهة النظامية ليست من مصلحته .. وأن

انتصاره علي الخصم يتطلب: اللجوء إلي الحيلة .. والخداع .. والمرونة .. والحركية .. ومناعة الأرض .. والزمن .. والعمل السياسي .. وتعاون السكان .. ومعرفة مسرح العمليات بشكل جيد.

***

لقد كان القرن العشرين مجالاً رحباً للتجارب العملية .. فعسكرياً دارت رحى حروب عظمى ودارت حروب بالوكالة وحروب عصابات .. وقامت فيه ثورات سلمية وأخرى مسلحة .. بعضها نجح وبعضها فشل ..

وسياسياً سقطت دول عظمى وقامت أخرى .. واستلهمت نظريات جديدة سقط البعض وبقي البعض .. واستمر العالم يدين بالولاء لقطبين .. حتى تفوق أحدهما .. تنوعت فلسفة الحكم وطرق تنفيذها .. ديموقراطي .. شيوعي .. اشتراكي .. مختلط .. ملكية نيابية وملكية وراثية .. رئاسي أو نيابي ..

اجتماعياً استغفلت الشعوب وغسلت أدمغتها .. فأضاعت موروثاتها وسوقت لها ثقافات جديدة وتقاليد غريبة وعادات كانت مستهجنة .. وصاغوا عقولهم ثم عادوا وصاغوها مرة أخرى .. فنبذ الدين وانتشر الإلحاد .. وانكمشت الفضيلة وانتشرت الرزيلة .. وظهرت عبادت وطقوس عجيبة ..

اقتصادياً جربت أنظمة مختلفة .. النظام الشمولي .. الاشتراكي .. رأسمالي .. افتقرت دول وأخرى تفاحش غناها .. انتشرت الصناعات الاستهلاكية .. خاصة في عصر التقنية .. فاستنزفت الثروات من أجل الرفاهية ..

اثمر كل ذلك عن مستودع خبرات ضخم .. استفادت منه دور الدراسات .. والمسلمون عن دراستها غافلون .. فغاص المتخصصون في التفاصيل .. وأعدوا الكثير من الرؤى والأبحاث .. وبالتالي زادت فرص تعاملهم مع الكثير من الاحتمالات .. فهم مستعدون بطريقة ما .. ولكن المستقبل لن يخلوا مما يفاجأهم ويفجعهم .. فالله حي لا يموت .. وله سبحانه سنن في التغيير ومنها سنة التدافع قال تعالى {... وَلَوْلاَ دَفْعُ اللّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ وَلَـكِنَّ اللّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ {٢٥١} البقرة .. وقال تعالى { ... وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَامِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَاتٌ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ {٤٠} الحج ..

لكن ماذا لو استنفذ الناس ما في الوسع وعجزوا عن التغيير؟ ماذا لو ضاقت عليهم الأرض بما رحبت؟ ماذا لو كانت صولة الباطل فوق طاقتهم؟ .. قال تعالى { فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ {٢٣} وَاتْرُكْ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ {٢٤} الدخان .. وقال سبحانه { فَلَمَّا عَتَوْاْ عَن مَّا نُهُواْ عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُواْ قِرَدَةً خَاسِئِينَ {١٦٦} الأعراف ..

ولكن هل استنفذت الأمة كل ما في الوسع لدحر أعداء الله؟ .. لا .. بل إن من الأمة من يدعم أعداء الله .. ولا زالت الأمة في جهاد .. وما زال هناك المزيد من الجهد لم يبذل .. و يلوح في الأفق أن تعود خلافة على منهاج النبوة .. لأنه حينما تفقد الأمة القدرة على التغيير بالدعوة أويقف الجهاد .. فانتظر الساعة .. فليس بعد أمة محمد ﷺ أمة أخرى .. إلا شرار الخلق .. وعليهم تقوم القيامة ..

***

الأثر المترتب على حرب العصابات:

تقوم الحرب أو الثورة أي حرب وأي ثورة .. من أجل تحقيق هدف سياسيا واقتصادي .. ينتج عنهما تركيبة جديدة للبنية الاجتماعية والثقافية والأخلاقية في البلاد ..

وحرب العصابات تسعى لطرد المحتل أو لرفع القهر القائم وإبدالهما بالاستقلال والعدالة .. وإعادة توزيع الثروة وبناء مجتمع على أسس تكافلية .. إلا أن هناك آثاراً مصاحبة لعملية التغيير .. فحرب العصابات أشد تخريبا من الثورة السلمية أو المسلحة .. فهي تدمر مع تدمير خصمها البنية التحتية للبلاد .. ويترتب عنها حالة من الفوضى السياسية والانهيار الاقتصادي والتوتر الاجتماعي .. تستمر لفترة تقصر أو تطول بحسب تفاهم قادة مجموعات العصابات .. فإن تَفاقم الخلاف بينهم فيعتمد عودة البلاد لطبيعتها على وعي المجتمع ..

فالتغيير السياسي يولد انتماءات جديدة .. وقد أسفرت تجربة أفغانستان بعد طرد المحتل السوفيتي وإقصاء النظام الشيوعي فوضى سياسية وصراع على الحكم .. فبدلاً من أن تلتقي الأحزاب التي خاضت الحرب سويا لإعادة ترتيب بيتهم الذي دمرت بالكلية وفعليا بنيته التحتية المحدودة أصلاً .. تحرك كل حزب وفق انتمائه الباكستاني أو السعودي أو الإيراني أو الغربي للصراع والاقتتال بينهم .. هذا الاقتتال أكمل على صور الحضارة الإنسانية في أفغانستان ..

ولكن المجتمع أفرز تياراً من طلبة العلم الذين جاهدوا من قبل تحت راية الأحزاب السابقة كقيادات عسكرية ميدانية .. قاوم تيار طلبة العلم هذه الأحزاب وأوقف تخريبها .. وهزمها .. وسرعان ما تولى السلطة وبدأ في إعادة

البناء .. وفق المنهج الإسلامي .. وقد عادهم لذلك العالم الغربي والعربي .. واستمر في الضغط بقسوة عليهم حتى جاء الغزو الأمريكي بسبب مباشر وهو هجوم القاعدة في الحادي عشر من سبتمبر .. **وهدف حقيقي وهو إسقاط الحكم الإسلامي العائد بقوة السلاح كمنتج نهائي للعملية الجهادية** .. الذي أعاق دورة المخدرات العالمية حينما منعت زراعتها حكومة طلبة العلم ..والذي أعاق أيضا عدة مشروعات سواء في التعدين لاستخراج الأحجار الكريمة أو لاستخدام الأراضي الأفغانية لمرور أنبوب نفط وغاز أسيا الوسطى .. وغيرها مما خفي علينا من الأسباب .. فإسقاط حكومة طالبان كان قادماً .. وكل السيناريوهات كانت تُدْرس .. ولعل قدومه بالحرب - على ما في الحرب من مآسي - كان أبين لوضوح العدو وأطماعه .. بدلا من أن يأتي بالحيل والدسائس والمؤامرات التي يتيه فيها التمايز على الشعب الأفغاني .. ويستشكل الأمر كما هو حال باقي الدول الإسلامية .. وبهذا تخوض أفغانستان مرة أخرى حرب عصابات وأيضاً ضد قوة عظمى .. وإن شاء الله ستنتصر وستخرج من خرسان الرايات السود .. كما خرجت من قبل في دولة بني العباس ..

الانهيار الاقتصادي .. حرب العصابات تترك بصمة واضحة الأثر من الدمار .. فهي لا تخلف إلا الأطلال .. فهي تدمر الأنظمة والبلاد .. ومراحلها الأولى هي الأسوأ على الإطلاق من جهة العصابات .. ومرحلتها الأخيرة هي الأسوأ من جهة الشعب الذي يستولى على ما تبقى من الدولة ليواصل به شراء احتياجات حياته البائسة ..

التطور الصناعي أنقذ شعوب جنوب الكرة الأرضية من الإبادة ومنحها دوراً في الحياة .. وللحياة .. وحتى اليوم فرصة الحياة قائمة للشعوب بمقدار

مساهمتها في العملية الاقتصادية .. ولا تستطيع حكومة ما أن تحكم إلا بالمساهمة والرضاء الشعبيين .. وهذا المناخ متوفر أيضاً في الدول الأقل نمواً للحصول على المواد الأولية الضرورية لصناعتها والضرورية كذلك لصادراتها .. وبقدر كبر حجم الصناعة والتجارة بين الدول وبقدر مشاركة الشعب في دورة الاقتصاد .. تمنح الشعوب حق الحياة .. ولهذه الأسباب الاقتصادية يجب أن تبدو الحكومات الحديثة شعبية .. ويتوجب عليها أن تقوم بإصلاحات تتناسب مع الترويج للديمقراطية والعدالة وحقوق الإنسان .. كما لابد لها أن تشغل اقتصادها لتحقق الأرباح .. والحكومات تدير هذه العلاقة بالقمع والدعم في الوقت ذاته ..

كما أسلفت فالاقتصاد هو الذي منح الشعوب الفرصة كاملة للحياة الكريمة .. المفارقة أن العصابات تعمل بشكل مباشر أو غير مباشر على إيقاف دورة الاقتصاد وتدمرها للنصر في المعركة .. فما أن تبدأ الحرب ويقل الأمن حتى تبدأ رؤوس الأموال في الهجرة وترك البلاد .. تعاني الحكومة من هذه الحالة من طريقين الأول أنها بحاجة لتشغيل اقتصادها لتوفر مصروفاتها .. الثاني ارتباطات تجارتها الخارجية فقد تكون مصدراً للمواد الخام كما تكون أيضاً سوقاً لواردات الدول الصناعية .. وهذا الاضطراب الأمني يفقد الثقة بالحكومة داخلياً وخارجياً .. ولا يتوقف الأمر على فقد الثقة وفرار الاستثمار ولكن تعطل الكثير من الشركات أعمالها القائمة .. كما يدمر القتال ويعطل العديد من المصانع ..

كما تصبح البنية التحتية هدفا تدمرها العصابات والجيش .. للحماية أو الحرمان .. للحماية من الاعتداء أو الحرمان من المنافع .. العديد من مشروعات البنية التحتية من الطرق والكباري وشبكات الكهرباء والمياه

تخرج من الحرب مدمرة .. الدورة الاقتصادية تصاب بحالة من الشلل ولا يبقى إلا بعض المشروعات الصغيرة أو تلك التي تخدم الحرب الدائرة من تجارة السلاح والوقود .. ويهجر الشعب بعض المناطق التي تتعرض لقسوة وبطش الحكومة .. ليعيش في مخيمات بالمناطق الحدودية على الإعانات .. ويمثل عمق طبيعي لمد العصابات بالعناصر والدماء الجديدة.

إن استهلاك الاقتصاد بهذا الشكل السيئ يؤدي في النهاية إلى سقوط الدولة في يد العصابات .. ولكنهم يستلمون تركة مهترءة .. فإن كانت موارد البلد الاقتصادية جيدة وتمكنت العصابات من إنشاء حكومة قوية متماسكة ونظام اقتصادي محكم ففي خلال عقود قليلة سترتقي لمستوى دولي جيد (الصين) ..

التوتر الاجتماعي .. حرب العصابات أو الثورات الداخلية عندما تقوم يسقط معها طبقات اجتماعية وتنشأ مع انتصارها طبقات جديدة .. كذلك تتغير أخلاق وثقافة المجتمع سلباً وإيجاباً .. الخسائر في الأرواح تسبب ثارات داخلية تستمر لسنوات .. وإذا كانت البلد قبلية أو قامت الحرب فيها على أساس قبلي .. فإن المجتمع سيعاني فيها لعقود طويلة حتى يصطلحوا على منهج يمكن أن تخضع له القبائل (الصومال) ..

قامت حرب العصابات والثورات قديما للتخلص من النظام الملكي والإقطاعيين .. وهما يمثلان السلطة السياسية والاقتصادية .. وكلاهما يشكل طبقة اجتماعية أذلت ما دونها .. وتقوم حديثاً أيضاً ضدهما .. ضد دكتاتورية العسكر ومجموعة رجال الأعمال المستغلين أو بقايا الملوك والرأسماليين .. وقد ورثا الطبقة الاجتماعية السابقة وبنفس المستوى من السوء .. ولهذا فحرب العصابات والثورات ما أن تنقضي حتى تبدأ .. ولا

يمنع أن تقوم الحرب بسبب فساد القضاء والشرطة المدعومتين بجهاز سياسي ضعيف .. فأي شكل من أشكال القهر قد يؤدي إلى حرب اجتماعية إن توفرت له الموضوعية والذاتية والظروف البيئية الجغرافية المناسبة ..

والثورات الاجتماعية أو الحروب التي كانت ناجحة ونافعة للمجتمع فقط هي تلك التي اعتمدت على الدين .. رسالة الأنبياء (دعوتهم وجهادهم) جاءت من أجل تصحيح الاعتقاد وإقامة العدل الاجتماعي وفق تشريعات محكمة وإحسان استثمار ثروات الأمة .. وكانت مهمة خلفائهم .. الحفاظ على المعتقدات ومواصلة نشر العقيدة .. وصيانة التشريع من العبث .. ومتابعة العدالة الاجتماعية .. وتوظيف الثروات أفضل توظيف ممكن .. وعمدت لتزكية المجتمع وإكسابه أخلاق وثقافة ربانية تبني لا تهدم .. وانتفت فيها حظوظ البشر .. يلاحظ هذا في الفتوحات الإسلامية وفيه دلالة على سلامة المنهج .. وينتفي ذلك بالكلية مع الحروب الصليبية أو الاستعمارية ..

ومن التشبيهات الجيدة تشبيه حرب العصابات للمهندس مصطفى حامد في كتابه حرب المطاريد .. (٠٠ إن الأمر يشبه إلى حد ما عملية مصارعة الثيران: في البداية يكون المصارع "المتادور" يتبع تكتيكات الإنهاك فيثير أعصاب الثور بالراية الحمراء فيتهيج الثور ويهاجم بكل قوة ولكن نطحاته الساحقة تضيع في الهواء .. لأن المتادور يتفاداها برشاقة .. يمكن أن نشبه ذلك بمرحلة الدفاع الإستراتيجي .. في المرحلة الثانية .. يبدأ المصارع في توجيه الطعنات الجارحة مازال الثور الهائج يهاجم بقوة .. ولكن بمعدلات أقل نتيجة الإرهاق .. المتادور يطعنه كي يستنزف دمائه ويزيد من ضعفه .. يمكن تشبيه ذلك بمرحلة التوازن الإستراتيجي .. في المرحلة الثالثة يقف

الثور خائر القوى إنه مازال خطرا .. ولكن المتادور بكل ثقة يوجه بسيفه ضربة الحسم .. في القلب تماما .. مرحلة الهجوم الإستراتيجي .. إنها مراحل ثلاث في مصارعة الثيران شبيهة إلى حد ما بحرب المطاريد طويلة الأمد) ..

مجموعات العصابات :

بشكل عملي تنقسم مجموعة العصابات إلى قسمين أحدهما المجموعات المنتسبة للعصابات وهي على الأوجه التالية:

١- المجموعات العسكرية في المناطق الوعرة .. وهي مجموعات شبه عسكرية تعتمد تكتيكات القوات الخاصة .. فتستخدم الإغارة والكمائن وأعمال التخريب ولديها مهارات ميدانية في الاختفاء والتمويه والتسلل .. تستخدم الأسلحة الخفيفة للجماعة المشاة .. المدعومة بمضادات للطيران .. مع بعض التخصصات في أعمال التفجير .. وسوف نفصل إن شاء الله فيها عند الكلام عن التكتيك ..

٢- المجموعات السرية في المناطق المدنية وتمارس عمليات عسكرية داخل المدن .. بهدف سياسي وإعلامي فيعملون على منع حدوث عزلة سياسية أو عسكرية للحرب .. ومما لا شك فيه أن عمليات عسكرية ولو صغيرة داخل المدن خاصة المدن الكبيرة يكون وقعها الإعلامي أكبر أثراً من عمليات عسكرية كبيرة في المناطق الوعرة ..

٣- مجموعة سياسية في أرض حليفة أو أراضي محررة .. تمارس العملية السياسية .. هدفها الرئيسي التعبير عن المجاهدين .. وإظهار ما يرمون إليه من حقوق .. وبيان عدالة قضيتهم .. كما تهدف إلى إبراز الوجه القبيح للنظام .. وتفضح جرائمه وانتهاكاته .. وتبين سرقاته وفساده .. فتكسب

بـذلك حلفـاء للعصـابات .. وتُـنقص مـن حلفـاء الحكومـة .. وتُحيـد أنصـار محتملين للحكومة من الصراع ..

٤- مجموعـات العمـل القتـالي الخـارجي .. تمـارس هـذه المجموعـات عمليـات نوعية دقيقـة .. تنتقي عملياتها بعناية شـديد لتحقـق نـوع من الضـغط على الحكومـات الداعمـة للجـيش المضـاد للعصـابات أو دولـة الاحـتلال .. تـأتي عملياتهـا ضـد مصـالحهم أو في عمـق أراضـيهم .. سـواء كانـت الأهـداف اقتصادية أو سياسية أو عسكرية ..

والثانيـة المجموعـات المعـاون أو المسـاندة ولكنهـا ليسـت مـن صـلب تنظـيم العصابات فهم إما أقل جرأة أو يعملون بأجرة مثل:

١- المتعاطفون في المدن الذين يعيشـون حياة عادية .. وهم من كافة طوائـف الشـعب وطبقاتـه .. ولكـنهم يقـدمون خـدمات جليلـة للعصـابات .. مثـل الخدمات الطبية والإيواء المؤقت .. وإيصال الرسـائل وتوزيـع المنشـورات .. يقدمون التبرعات أو يجمعون الأموال .. يقومون بتنظيم مقاطعات للنظام .. وإقامة التظاهرات والوقفات الاحتجاجية .. كما يمارسون نشر الشائعات وتغذيـة دعايـة مكثفـة بكل الوسـائل المتصـورة .. وذلـك بتكليـف أو بـدون تكليـف من العصـابات .. لتحقيـق هـدفين: تحسـين سـمعة الثـوار وتقويتهـا .. وبيان الوجه القبيح للنظام ..

٢- أصحاب المنافع الذين يقدمون خدماتهم مقابل الأموال أو من أجل الشهرة .. الصنف الأول مثل المهربون وصانعي الأدوات المتفجرة .. والقسم الثاني مثل الصحفيين والمراسلين الذين ينقلون الرسائل من قطاع حرب عصابات إلى آخر ويتخذون المدن كمراكز اتصالات.

تعريف حرب العصابات:

إن جوهر حرب الثوار (العصابات المجاهدة) يكمن عملياً في هذا التعريف المختصر والعميق فهي "حرب الشعب ضد قوى القهر" .. ويفسر كالأتي: أنها حرب إرادة .. بين الشعب الواعي .. وقيادته .. ضد قوى القهر .. لا تعتمد على المواجهة ابتداً .. تفسح مجالا للزمن .. لتقتل بألف جرح .. يخوضها مقاتل عقائدي .. ينطلق من المناطق الوعرة .. أو أرض حليفة .. بتمويل ذاتي .. وهي تتطور مرحلياً حتى تحسم الصراع .. وتنشأ نظامها ..

وبالتالي فإن موضوع حرب العصابات يدور حول ستة عشر مدفعاً: مثيرها "القهر" .. محركها "الوعي والإرادة" .. مجهودها "الشعب" .. يديرها "مجموعة قيادية" .. وسيلتها "الحرب" .. عنصرها "الثائر المقاتل" .. بيئتها "المناطق الوعرة" أو "أرض الجيران" .. شريانها "الشؤون الإدارية" .. تركن إلى "حليف" .. عمادها "الزمن" .. استقلالها "الاقتصاد الذاتي" إستراتيجيتها "إنهاك توازن حسم" .. تكتيكاتها "القتل بألف جرح" .. انتشارها " السياسة والإعلام" .. البناء "سياسي .. ديني .. اقتصادي .. اجتماعي " فهي حرب ثورية .. ويجب أن تكون نتائجها ثورية ..

***

ستة عشر مدفعاً للحرب

أولاً: ظروف نشأة حرب العصابات (القهر):

تنهض حرب العصابات لمقاومة القهر الذي تتنوع أسبابه من بلد لأخر .. وحين تقوم تكون هي السبيل الوحيد للتحرر أو الاستقلال الحقيقي .. فقد استنفذ الشعب كل السبل ولم يعد أمامه خيار إلا هذا النوع من الحروب التي تدمر البلاد والإنسان .. والتي تطول لعقد أو اثنين وربما أكثر .. والتي يرافقها عادة عمليات في مناطق مصالح العدو حول العالم إن كانت الحرب قائمة ضد قوات احتلال .. أو كان للعدو حليف يدعمه بقوة .. والتي أيضاً تجد حلفاء جدد يرغبون في تدمير أو إضعاف العدو المحتل .. تقوم الحرب وسط قبول شعبي تحت قيادة طليعة من المقاتلين..

كرد فعل طبيعي لشعب غيور على معتقداته ورغباته تولد العصابات مع اندلاع الإرادة الشعبية في الطرقات .. يغلب على خروج العصابات العفوية فتبدأ بشكل مجموعات صغيرة في مناطق متفرقة من الدولة لتعمل ضد المحتل أو الحكم الغاشم .. تنطلق في الأرض الوعرة أو في أطراف الدولة بعيدا عن قوة وسلطة الأمن .. مع الوقت تترابط المجموعات مع بعضها في إطار الهدف العام "الاستقلال" مثلاً .. تضم العصابات أبناء الشعب من الطلاب والمثقفين والعمال والفلاحين ومهنيين .. سرعان ما ينضم إليهم ضباط ومحاربين قدامى وجنود فارين من الجيش .. وأخيراً يأتي الأنصار من كل مكان ..

هذه هي صورة البداية لأي حرب عصابات .. ثم تزيد الخبرة من خلال التجربة العملية والإطلاع على تجارب الماضي .. بهما ومع الوقت تنضج

حركة العصابات وتبدأ في تشكيل قوتها وقيادتها وتقسيم الأدوار والمهام في صفوفها .. بما يلائم خلفيات المنتمين لها .. عند هذه النقطة تبدأ العصابات في تشكيل أجهزتها العسكرية والسياسية والإعلامية والاقتصادية وتطور جهازها الإداري .. و تبدأ في نشر دعوتها في المناطق المجاورة وفي أنحاء البلاد .. وتكون العصابات في هذه المرحلة متحركة كثيرة التنقل وباختصار تجتهد في ألا تكون هدف ثابت لقوات العدو .. وفي مرحلة أعلي من تطور حرب العصابات تخلق العصابات لنفسها قاعدة آمنة .. وتنظيم قواتها شبه النظامية .. وتستخدم تكتيكات حرب العصابات الكبيرة مع الحفاظ علي مبدأ تحاشي القتال الذي يختار العدو زمانه ومكانه ..

وعادة ما تكون نشأة الحرب لمقاومة واحدة من الصور التالية:

١- أن تقوم الحرب ضد قوات احتلال غاشمة ترغب في استغلال البلاد واستعباد الشعب أو التمسك بقواعد عسكرية متقدمة تهدد من خلالها أو تؤدب القوى المجاورة .. ومثالها حربي أفغانستان ضد السوفيت ثم ضد الأمريكان .. يقوم بهذا النوع غالبية الشعب مع طليعة مجاهدة ..

٢- أن تقوم الحرب ضد سلطة محلية مستقلة اسميا .. وبمعنى أدق ضد وكلاء الاستعمار المحليين .. الذين يمارسون قهراً اقتصادياً واجتماعياً ضد شعوبهم .. تنفيذاً لإرادة المستعمر وتمشياً مع أطماعه .. مثالها الحرب في جنوبي كوبا وفيتنام .. وهذا المناخ هو القائم في الدول الإسلامية التي تقاسمها الاستعمار ثم عين وكلائه عليها .. بعد أن أنشأ مؤسساتها السياسية البيروقراطية والعسكرية والقضائية والأمنية والترفيهية وحتى الدينية على عينه ..

٣- أن تقوم الحرب بسبب الأيدلوجية أو الدين في مواجهة حكومة دكتاتورية عسكرية[٢] تساند طبقات اجتماعية فاسدة .. يتجاوب مع هذه الحرب الطبقات الفقيرة .. وكذلك الذين ملوا الفساد الحكومي .. وأيضاً الذين اكتووا من نير العسكريين ودكتاتوريتهم .. وكذلك القوميين .. والعمال .. وغيرهم ..

٤- من الممكن أن تقوم الحرب أيضاً في إطار صراع قبلي .. وهذا النوع انتشر في أفريقيا .. في الكاميرون والكنغو ورواندا .. وغيرهم ..

٥- قد تقوم نتيجة احتجاجات شعبية غير مؤدلجة ضد الفساد والقمع البوليسي .. ونموذجها الحرب الكوبية .. التي بدأت كاحتجاج ضد الفساد والقمع .. أما الصدام مع المصالح الأجنبية فقد تلت طرد الرئيس كتطورات لاحقة ..

ملاحظات:

* في هذا العصر حيث تضخمت الصناعة وتطورت .. لا يمكن أن تنجح حكومة في إدارة دولتها دون مساهمة الشعب في الاقتصاد .. ودون رضاه عنها .. وهذا جوهر العصيان المدني .. أو الانتفاضة الشعبية السلمية التي

[٢] في مصر الآن حكومة انقلاب عسكري دكتاتوري .. وقع هذا الانقلاب لعدة أسباب من أهمها أن لا تكون مصر بؤرة تكوين إمبراطورية إسلامية أول ما تزيل من الأرض دولة اليهود .. ومنها خطاب مرسي الداعم لمجاهدي سوريا والذي أقلق الغرب من عودة الجهاد .. ومنها تخوف قيادة الجيش من فقد مكتسبات ستين عاما .. ومنها تحول الدولة إلى دولة برلمانية قوية تحاسب مؤسسات الدولة وتحدد ميزانياتها .. مما يؤثر على مصالحهم المالية ووضعهم الاجتماعي القوي .. فالتقت إرادة قادة الجيش والعدو الغربي .. وفي إطار تحالف بين قيادة الجيش وبعض مؤسسات الدولة الفاسدة .. ومجموعة من العلمانيين والساقطين (أهل السينما والتلفاز) ورجال الأعمال ومؤسسات دينية إسلامية ونصرانية فاسدة .. تم الانقلاب ضد رغبة الغالبية العظمى من الشعب .. أدى هذا إلى مقتل الآلاف .. وانتشار المظاهرات في كل أنحاء البلاد .. وبدأ عمليات مسلحة في أطراف القطر المصري على وحدات الجيش ومقار الشرطة .. وفي هذا المناخ مظاهرات في المدن وعمل عسكري في الأطراف وتحركات سياسية .. تنشأ حرب العصابات أو الحرب السرية بالمدن ..

تسعى لتعطيل الحياة داخل الدولة .. فبقدر حجم الاقتصاد الصناعي ومساهمة الشعب فيه بقدر ما تنجح الانتفاضة ..

* الحكومات مهمتها خدمة أصحاب الأموال .. كل الحكومات .. وأهم وأشرس كلاب حراستهم هما المؤسسة الرئاسية والبنتاجون في أمريكا .. فالساسة والعسكر يهرولان لنيل رضا أصحاب الأموال في كل مكان .. وقيمة الشعب تأتي من حاجة أصحاب المال لهم لخدمة وتنمية ثرواتهم فقط .. ومن هنا يقدمون للشعب الرعاية أو يحرمونه منها .. وعليه فالإقطاع وأهله لم يزولا في يوم من الأيام .. ولكنهم ارتدوا الثوب الذي يناسب هذا الزمان .. ثوب رجال الأعمال ..

* عمد رجال الأعمال وحكوماتهم إلى الاستغناء عن الدور البشري كلما أمكن حتى لا يكونوا رهن المزاج الشعبي .. وما التقدم التقني وجيل الربوت إلا للخلاص من السيطرة الشعبية والإضرابات العمالية .. ومع الوقت والتطور لن يكون لطبقة عريضة من البشر أي قيمة تمنحهم حق الحياة .. وستحتفظ طبقة الأثرياء بعبيدهم إلى حين .. فإن أنتجوا غيرهم من الربوتات التي لا تتأفف ولا تعترض .. ساعتها لن يكون لمن يملكون القدرة على الاختيار وجود .. فنحن في عصر الآلة .. وفي هذه الحالة تنتهي قوة البشر الصناعية .. ولا يبقى إلا قوة البشر السوقية (الشرائية) ..

* عادة ما يسبق حرب العصابات انتفاضة شعبية .. تواجه بقمع وعنف وحشي .. تمارسها الشرطة ومعها فرق الموت .. فتولد قدر من الثارات لا يندمل .. وفي العادة تفشل الانتفاضات الشعبية السلمية .. إذ ندر ما نجح منها .. إلا أنها تؤهل دائماً لانتفاضة مسلحة أو حرب عصابات تطول

أوتقصر .. وفقاً لطبيعة الأرض والشعب في كل بلد .. (روسيا ١٩٠٥ و١٩١٧) .. (ليبيا وسوريا ٢٠١١) ..

* صورة الصراع الموجودة في الدول الإسلامية اليوم تندرج كلها تحت جهاد الدفع المتعين لدفع الصائل بما أمكن .. سواء كان الصائل قوات احتلال لعدو كافر .. أو كان الصائل نظام حكم مرتد يعمل وكيلاً عن قوى الاستعمار .. أو كان الصائل فئة باغية .. أو كان الصائل غير ذلك .. وهذا الدفع يدور على الأرض الإسلامية وسط المسلمين .. وعلى المجاهدين أن يجتهدوا في عدم تعريضهم لأذى الحرب على الأقل من طرفهم .. **وهذا الكتاب يدور حول فلسفة حرب العصابات[3] كنوع من أنواع الحروب التي يمكن للمسلمين انتقاؤها لقتال الصائل ..**

***

[3] قد يجد بعض الاخوة رغبة في استخدام وصف (المجاهدون) محل كلمة (العصابات) .. من المفيد هنا أن ننبه أن كلمة العصابات ليست مستوردة .. بل هي كلمة تعبر عن واقع عملية التغيير حجما وعملا .. وتلفظ بها رسولنا ﷺ في أول لقاء مع أعداء الله .. فقد أخرج مسلم في صحيحه: أن عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ ﷺ قَالَ: لَمَّا كَانَ يَوْمُ بَدْرٍ، نَظَرَ رَسُولُ اللّهِ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلاَثُمِائَةٍ وَتِسْعَةَ عَشَرَ رَجُلاً، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيُّ اللّهِ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: «اللَّهُمَّ! أَنْجِزْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ! إِنْ تَهْلِكْ هَذِهِ **الْعِصَابَةُ** مِنْ أَهْلِ الإِسْلاَمِ لاَ تُعْبَدْ فِي الأَرْضِ» .. وفي صحيح مسلم أيضاً (.... فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ. وَأَمَّا أَنَا فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللّهِ يَقُولُ: «لاَ تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللّهِ، قَاهِرِينَ لِعَدُوِّهِمْ، لاَ يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ، وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ» .. فلا يتحرج أحد من هذا الوصف ..

ثانياً: محركها " الوعي والإرادة"

من خلال الصور السابقة يبرز استنتاج غاية في الأهمية .. يمثل الإجابة عن سؤال: ما هو المحرك الرئيس وراء هذه الانطلاقة الثورية .. التي تحرك الشعوب وترغبها في التضحية بأنفسها وأموالها .. والعيش في حالة مطاردة سنوات .. وتدمير ما بنته بأيديها وتحملت نفقاته .. والقضاء القاسي على خصومها ومن ورائهم .. أي قوة حركية تلك التي انطلقت لتقوم بهذا الدفع الجماهيري؟ ..

إنه الوعي بجوهر الوجود الإنساني في الحياة بعز وكرامة وفق معتقده مصحوبة برغبة في التضحية يتولد عنها إرادة تمرد على القهر القائم واغتصاب الثروات .. أيما كانت ظروف نشأتها بعد .. إن المجهود الحقيقي لحرب العصابات هو نشر وإذكاء هذا الوعي بين الشعب وتنمية إرادة التمرد والرغبة في التضحية .. أما مسائل التعبئة والتكتيك والنصر في الحرب وإقامة الدولة فهي مترتبة على النجاح في المجهود الرئيسي .. وهي خطوة لاحقة لإيقاظ رغبة الشعب في التحرر .. إن الحرب الثورية لن تبدأ إلا عندما تتوافر ظروف نجاحها ..

إن إدراك الشعب لحجم المعاناة والقهر والاستعباد والسرقات والاغتصاب له ولمقدراته يولد الرغبة في العيش بكرامة وحرية في إطار من العدالة الاجتماعية تكفل توزيع الثروات وتحقق وحدة المجتمع .. هذه الرغبة تنمو وتتطور باضطراد متسارع علي مر السنين .. وعلى الرغم من محاولات قوى القهر بقمع هذه الرغبة وتعريضها لانتكاسات .. إلا أن المعدن النقي للشعب واستناده إلي منطلقات سليمة ستجعله يتجاوز العقبات والصعاب .. ويخرج من كل انتكاسة وهو أصلب عوداً وأكثر عناداً .. رافضاً الاستسلام

للظلم والعدوان .. ومصمما على النصر .. وهكذا ومن خلال الصراع اليومي يكتسب الشعب صلابته وتنمو خبرته .. فيتحمل وطأة الحرب ومآسيها وطول زمانها .. لأنها حرب عادلة وسيحقق من خلالها طموحاته وآمال ومستقبل أبناؤه ..

تعاني البلاد من طول زمان الحرب لسبب رئيسي وهو إرادة الصراع عند الطرفين .. فالشعب الضعيف (مرحليا) يعمل لتقوية نقاط ضعفه ومضاعفة نقاط القوة لديه .. وفي الوقت عينه يعمل علي إضعاف القوة (المرحلية) لعدوه وتعميق نقاط ضعفه .. وبذلك يمكن الوصول إلي تبديل ميزان القوى وتحقيق النصر .. ونظرا لما تتطلبه هذه التفاعلات عبر الصراع المسلح من زمن .. فإن الصرع يأخذ طابع الاستمرار لفترة طويلة ..

وقد اصطلح المتخصصون في دراسة حروب العصابات بإطلاق كلمتي " الموضوعية والذاتية" على "الوعي الإنساني وإرادة التمرد" .. وقد أسلفت في التمهيد ظروف العالم الإسلامي الموضوعية والذاتية ..

لماذا لا تظهر الرغبة في العيش في ظل الدين كمحرك أساسي في التغيير في الدول الإسلامية؟! .. ليس هناك هدف أسمى وأنبل من هذا .. وكان الأصل أن تكون هذه الرغبة هي المحرك للأحداث ولكن تجارب التيار الجهادي لعقود لم تجد صداً يتفاعل معها .. ببساطة يرجع ذلك إلى حجم التدليس والمكر والخداع لشريحة كبيرة من المنافقين ..يتقدم طابورهم شريحة علماء السلطان الذين يلبّسون على كثير من الناس .. فيصبغون الشرعية على الحكام المرتدين وأنظمة حكمهم .. ويشيعون في الناس أنهم يعيشون في

ظلال دينهم وفق مفهوم حضاري يراعي مشاعر الأخر[٤] .. ويتوائم مع روح العصر والانفتاح على العالم بعيداً عن الرجعية والتخلف والتطرف .. فيضلون الناس قال تعالى { لِيَحْمِلُواْ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلاَ سَاءَ مَا يَزِرُونَ {٢٥} النحل .. أضف إليهم بعض التيارات السلفية المدجنة كالمداخلة .. والتيار الذي فرخ حزب النور .. وكلاهما صنع على عين الأنظمة الحاكمة .. هذه التيارات السلفية التي تمنح الدولة العثمانية لقب الخلافة عندما قاتلت الدولة الصفوية التي انهارت على يد الأفغان عام ١١٣٥ هجرية .. وتنزع عن الدولة العثمانية لقب الخلافة عندما انقلب عليها آل سعود وبدعم إنجليزي[٥] وحاربوها منذ عام ١١٥٧ هجرية وكانوا عاملاً مؤثراً في إنهاك الخلافة العثمانية وسقوطها .. مؤسس الدولة السعودية يَقْدم فريق العمل الذي إنهال بمعاول الهدم على آخر خلافة للمسلمين في مطلع القرن الماضي ..

ولا ننسى دور الأعلام والقهر الأمني الذين غرسوا حالة من الخوف والرعب في قلوب الناس .. ولكنهم ومع ضخامة ماكيناتهم لا يقدرون على خداع

---

[٤] الأخر في الإسلام هم الكفار سواء كانوا من أهل الكتاب أو الوثنيين حول العالم قال تعالى (لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ {١} البينة .. ومن المفارقات أن مصطلح الأخر أول ما أُطلق كما يزعم هيكل في سلسلته التلفزيونية على قناة الجزيرة القطرية أنها أطلقت على المسلمين في أسبانيا ..

[٥] في سلسلة زمنية من التفاهم الانجليزي مع الأسر السعودية الثلاث حتى تطور هذا التفاهم إلى معاهدات حصلت بها الأسرة السعودية الثالثة على شرعيتها في الوجود من الإنجليز وأصبح عبد العزيز مؤسس الدولة تحت الحماية البريطانية يحصل منها على معونة مالية (رشوة) في مقابل عدم قيام عبد العزيز بأي عمل دون الرجوع إلى الإنجليز .. وتعهد عبد العزيز للإنجليز بعدم انضمامه للدولة العثمانية وعدم التعرض لحلفائهم في شبه الجزيرة كما تعهد بمحاربة ابن الرشيد حليف الدولة العثمانية .. (الاتفاقية السعودية البريطانية ١٣٣٤هـ - ١٩١٥م عبد العزيز – كوكس) .. ومع الوقت تبين للإنجليز حسن ولاء وتبعية عبد العزيز آل سعود ففضلوه وعاونوه على حلفائهم الأشراف واعترفوا به ملكا على الحجاز ونجد وملحقاتها .. (معاهدة جدة ١٣٤٥هـ - ١٩٢٧ م) .. وقد ذكر كلا من الكاتب الصحفي هيكل وطلال بن عبد العزيز آل سعود الدعم المالي الإنجليزي للأسرة السعودية الثالثة في لقاءات تليفزيونية على فضائية الجزيرة القطرية .. انظر أيضاً تاريخ الدولة السعودية لمديحة درويش دار الشروق بجدة ..

الناس وإيهامهم بأنهم يعيشون في حرية وعدالة وكرامة .. فواقع الحال لا يخفى على أحد .. هذا من طرف ..

ومن طرف آخر فإن الجماعات والتنظيمات الإسلامية رفعت شعارات واتخذت مفاتيح للصراع لا يفقهها إلا الخاصة وبعيدة عن فهم العامة .. وأوقعها قلة الخبرة والنضج لصغر التجربة والعمر في حبائل النظام الذي نجح في عزلهم عن الجماهير .. ففقدت التدفق الشعبي وانصرف عنها الأنصار .. **وحتى هذه الأيام والصراع في الدول العربية سواء كان سياسيا أو عسكريا فالجماهير منقسمة بين الشريعة والشرعية .. فالأول مفهوم ديني والثاني منتج سياسي بشري .. وحتى يأتي اليوم الذي تجعل الجماهير الشرعية هي الشريعة لا بد من مجهود دعوي سياسي كبير لإفهام العامة** .. أما الظلم الاجتماعي وسوء توزيع الثروة والاستئثار بالسلطة فهي محركات يستشعرها الناس وتحتاج لمجهود أقل لبدأ التغيير .. وهي مطالب شرعية حث الإسلام على رفعها بإقامة العدل والتكافل وإيكال الأمر للأمناء من المؤمنين .. وإذا أحسن التحرك بهم كمفاتيح للصراع ستقود إلى التغيير وقد تقود إلى الشريعة .. إن شاء الله ..

***

ثالثاً: الشعب

ليس هناك شعب لا يثور .. ولكن هناك قيادة عاجزة عن إلهام شعبها وتعليمه وإفهامه .. أن يكف عن استجداء حقوقه وأن ينتزعها بالقوة .. هؤلاء الذين يصنفون أنفسهم أنهم قادة أو مفكرون يعجزون عن ذلك لنقص بهم لا بالشعب .. فهم إما أناس تصدروا المشهد من أجل تحقيق مكاسب شخصية على حساب حقوق الآخرين .. أو أنهم غير مؤهلون على مستوى ذاتهم لقيادة تغيير حقيقي .. أو أنهم مترددون يغلبهم الخوف أو الشح فيضنوا بأنفسهم وأموالهم .. أو مفتقدون لروح التضحية فلا يقدمون على المغامرة المحسوبة ولا يحسنون التوكل على الله .. أو أنها تنأى بنفسها ومكتسباتها عن غمار تجربة عسكرية نتائجها " نكون أو لا نكون " .. أو أنهم - وهو الأسوأ - يجهلون طموحات شعبهم فَهُم في واد والشعب في واد آخر ..

وقادة التيار الإسلامي يجب أن يعملوا على توجيه وتعليم الشعب بدينه ومتطلبات سيادته قبل أن يلومونه على تقصيره أو تخاذله عن نصرتهم .. فبعض شعوبنا الإسلامية اجتهد عليهم الاستعمار الأوروبي ووكلائه حتى طمسوا هويته وبدلوا أخلاقه .. فشعب مثل هذا لا يحركه الدين للتغير بقدر ما يجعله الظلم وضنك الحياة وسوء سياسته أن ينتفض .. وهذا مفتاح الصراع له .. فإن أردناه إسلامياً فيجب أن نجتهد عليه دعوةً وتعليماً .. فإن وفقنا الله لحصاد ما بذرنا فالحمد لله .. أو ليحصد جيل آخر منَّا ثمرة غرسنا ..

لقد جعل الله الشعب المهد والمحضن والعرين للعصابات .. فهو كالماء للسمك .. مصدر دعمهم بالمواد والمعدات والسلاح والذخائر والمعلومات

وكل ما يلزم استمرارهم .. وأهمها على الإطلاق المقاتل العقائدي .. ومن المؤكد أن التعاون مع الشعب يحدد مستقبل العصابات .. فكل عصابات لا يقبلها الشعب ولا يتعاون معها .. هي عصابات فاشلة .. أو علي الأقل عصابات غير ثورية .. لا تعرف معنى العمل الشعبي .. ولا تثق بالشعب ولا تتفهم طموحاتها ولا تستطيع تجسيدها .. فالعصابات تولد من رحم المعاناة الشعبية .. والمعاناة قد تكون ذات بعد شرعي أو اجتماعي أو اقتصادي وحتى سياسي .. فأي حق يفتقده الشعب ويستأثر به نظام ظلماً أو وكالة للغير .. لا بد أن يسترد ويجتهد في ذلك ..

يعاني الشعب من تناقضات اجتماعية هائلة وتمزق طبقي رهيب .. وفئة حاكمة جائرة منتهكة للدين ومغتصبة للسلطة والثروة .. بعقلية متسلطة استئصاليه .. تستخدم أساليب غاية في العنف وطرقاً همجية ابتكرتها عقلية شريرة .. ويتعامل نظامه الأمني بحقد وشراسة وبطش لا يُعرف سببه الحقيقي .. ففي أقسام الشرطة والسجون يلقى الشعب معاملة غير إنسانية تنم عن نفسية مريضة وحاقدة .. وإنني أتساءل أي علوم تلك التي يتم تدريسها في الكليات العسكرية ومعاهد الشرطة ومموَلة من أموال الشعب .. لتخرج لنا هذه الشريحة السادية الميؤوس منها التي تستأصل الشعب وتبيده وتسومه من العذاب ألوان .. حتى وصل الأمر أن يحرق بعض الشباب أنفسهم احتجاجاً أو هروباً من واقعهم المظلم .. في ظل حكومة تحارب الإسلام وتسرق وتنهب وتقتل وتبطش وتدمر وتغتصب .. حتى أن الكلمات تعجز عن التعبير عن الحالة التي تعيشها الشعوب في الدول الإسلامية خاصة وما يسمى بالعالم الثالث عامة ..

تمارس الحكومات هذا الإذلال نيابة عن الاستعمار الحديث .. الذي لا يلتفت إلا لمصالحه .. فلتحرق هذه المصالح ولتحرق أبار النفط طالما أن المستفيد منها الدول الاستعمارية .. ومجموعة من الطغاة القساة المجرمين .. ولا يرى الشعب منها إلا ما يجعله يلهث وراءها ذليلاً خائباً .. بلا دين ولا كرامة ولا عزة .. مسلوب الإرادة في أحسن أحواله مفعول به .. وفي أسوئها يباد إن لم يكن لهم به حاجة لخدمة الاقتصاد فلا حاجة لحياته أيضاً .. إنهم عبيد المال الذين تواجههم العصابات وتقاتلهم ..

من رحم مناخ الطغيان ولدت العصابات .. ومن هذه الحياة البائسة الرهيبة تدرك العصابات أن الشعب هو محور الصراع وأن الشعب هو مفتاح الصراع .. أما جوهر الصراع فهو إنفاذ شريعة الله في الأرض .. ولذا وجب توعية الشعب بجوهر الحرب .. والعصابات تعمل على دفع العلماء المخلصين للمشاركة في الصراع لتعليم الشعب ولتوجيه وإرشاد المجاهدين .. المجاهدون لا يستغنون عن العلماء المخلصون من أبناء الأمة .. كل الأمة .. لأن واجب الوقت يحتم على المجاهدين قيادة الصراع بعلم وفهم سليم ..

من المهم أن ندرك جميعاً أن رجل العصابات ينتمي إلى الشعب المسلم بنفس المقدار الذي لا تستطيع فيه عناصر الحكومة أن تنتسب إلي الشعب .. إن رجل العصابات يقاتل بمعونة العناصر الشعبية المدنية التي تشكل تمويهه .. ومنابع إمداده .. ومصدر تطوعه .. وشبكة اتصالاته .. ومصلحة استخباراته .. الموجودة في كل مكان .. والشديدة الفعالية .. فبدون رضاء الشعب ومساعدته الفعالة .. أو عداءه .. يتحول رجل العصابات إلى بلطجي قاطع طريق .. ولا يبقى طويلاً على قيد الحياة ..

فرجل العصابات أو المقاتل الثائر العقائدي المسلم خاصة هو قبل كل شيء داعية .. ومحرض .. وناشر للأفكار الثورية .. قال تعالى { فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً {٨٤} النساء .. فالجهاد أيضاً أداة للتحريض .. يهدف لجذب عناصر الشعب المترددة ويثبت العناصر الشعبية الداعمة .. فيضمن المساندة والمشاركة الشعبية حتى النقطة الحرجة .. حين تصبح الثورة عامة في البلاد .. فيكمل مع شعبه لوحة النهاية بمشهد القضاء على النظام القائم .. وجيشه الذي يحميه ..

و المقاتل الثائر العقائدي لا بد أن يبين لشعبه حيل وخداع النظام .. كالوعود بالإصلاحات الاجتماعية .. والاقتصادية .. وشراء الضمائر .. والدعاية المضادة بمختلف الأشكال .. وقبل هذا وذاك حقيقة النظرة التي يرى بها النظام شعبه .. وهي نظرة استعلائية فجة لا ترى الشعب إلا خدماً والنظام وعناصره سادة ..

وحتى يقبل الناس مسؤوليات ومخاطر العنف المنظم من الحكومة .. يجب أن يؤمنوا بعدالة قضيتهم .. وأن سياسة الأمر الواقع التي تفرضها الحكومة لا تطاق .. ولا سبيل لكبح جماح الطغيان إلا الحرب .. ولا يوجد خيار آخر .. وفرص نجاح الحرب معقولة .. وربما كان الدافع الأخير هو الأكثر قوة.

حكومات العالم لا تختلف عن بعضها .. تشابهت قلوبهم وفعالهم .. فهم في الظلم والقسوة والطغيان من أجل تأمين أنظمتهم سواء .. حتى في الدول الإسلامية لا تختلف عن غيرها من دول العالم .. بل أسوء .. ولهذا تصدى لهم الشعب بكافة طوائفه .. الأساتذة والأطباء والطلبة والعمال والفلاحين .. وامتازت حرب العصابات في الدول الإسلامية بوجود العلماء .. من أمثال

الشيخ يونس خالص .. الذين أحسنوا مسيرة جهاد أمتهم بحسن التوجيه والرعاية .. ولم يتركوا لمنحرف ممن ينتسب للعلم أن يبرر لانحرافات قائد أو أمير خلال المسيرة الجهادية[٦] .. فضبطوا المسيرة وحفظوها من الانحراف وراء الأهواء أو سوء الفهم .. وكلما أطلت فتنة وأدوها وأزالوا آثارها وأعادوا الصفاء لصفهم .. ولهذا في أفغانستان وحيث يقود العلماء ندرت الانحرافات التي ظهرت في أماكن أخرى يديرها سياسيون بتأويلات وفهم فاسد للدين ..

ولكن عند الحديث عن العلماء يجب النظر إليهم من عدة جوانب .. انتمائهم .. عدالتهم .. إدراكهم .. تاريخهم .. فتاواهم ...الخ .. وللأسف في هذا الزمان فتحت الحكومات معاهد دينية أو حولت معاهد كان لها تاريخ إلى معاهد حكومية .. فمثلاً الأزهر بعد تاريخ حافل أصبح معهداً لتخريج "شيوخ الأمن" أو "شاوشية الأزهر" لا فرق بين المصطلحين فالمهمة واحدة .. والأسوأ أن نسبة كبيرة منهم تحولوا إلى موظفين يعملون بدوام لا تهمهم الدعوة بقدر ما يهمهم انتهاء يوم العمل .. وللأسف فإن من هؤلاء من يصطف على أبواب الحكام والملوك ورجال الأعمال لينال من دنياهم ولينالوا هم من دينه .. ومن المهم أيضاً أن نؤكد على وجود مخلصين فالتعميم بالشر أو الخير نظرة خاطئة للواقع .. ولكنهم مهمشون ومبعدون عن الصدارة .. أما المقدمون فهم قلة ممن رضيت عنهم أجهزة الأمن .. وكانت تقاريرهم مناسبة للحاكم .. ولهذا تجد شيخ الأزهر وكذلك المفتي

---

[٦] هناك موروثات فاسدة في باب الاعتقاد لا تختلف عن غيرها في باقي الدول الإسلامية إلا أن الفارق هو ما كان يصرح لنا به المسؤولين في إمارة أفغانستان بسعيهم لإصلاحها .. ولم يدافعوا في أي حوار عنها .. كما لم يتهموا ناصحيهم كما يفعل غيرهم من علماء السلطان .. وقد أخبرونا أنهم يفكرون أن يجعلوا اللغة العربية لغة الحكومة في تعاملاتهم .. من باب تعليم الشعب لغة القرآن .. كما كان هناك موروثات وعادات اجتماعية ظالمة عملت الإمارة على إيقافها وأصدرت قرارات بمنعها ..

صنعا تحت رعاية جهاز الأمن المصري .. ومواقفهما المخزية أثناء انتفاضة الشعب في ينـ٢٥ـاير أو في الانقلاب العسكري في يـ٣ـوليو دليل دامغ على سوء نشأتهما .. فقد عملا من أجل المؤسسة العسكرية بعيداً عن الإسلام وبعيداً عن طموحات الشعب .. لقد خذلا الشعب وتنكرا له واصطفا مع العسكر الموالين لأمريكا .. فأي قدوة أو دين أو فتاوى يقبلها الشعب منهما ..

في كل الأحوال فهذه الجامعات الحكومية لا تمثل الإسلام إنما تمثل حكوماتها .. فالتربية الشرعية السليمة التي تنتج عالم مسلم تختلف تماما عن الأسس التي وضعت لتعمل بها الجامعات .. ولازال العالم الذي تربى على يد العلماء بعيداً عن السلطة وأموالها ورغباتها ووظائفها .. هو المقدم .. وباختصار فالإسلام لا يمكن أن يمثله اليوم جامعات جزيرة العرب وغيرها ولا الأزهر شيخا ومفتياً فرضاهما بسفك الدماء المسلمة في ميدان رابعة العدوية خاصة وتبرير أعمال القمع الأمنية تجعلهما مصطفان في خندق العسكر لا في خندق الشعب .. وهما ومن على شاكلتهم أبعد ما يكونا عن خندق الدين .. ومن هذه النوعية مفتى سوريا الذي يرى للنظام النصيري شرعية ويرضى بسفك دماء المستضعفين من المسلمين .. لقد صنعت هذه الفئة بعناية شديدة رضعت المكر والخبث والخداع وتشربت بالنفاق حتى نضحت به عروقهم ..

إن فكرة الأكاديميات الإسلامية فكرة في الظاهر جميلة لكن باطنها خبيث .. وكما أسلفت في مقال سابق أننا بحاجة إلى الخضر عليه السلام ليشرح لنا كثيراً مما اختلف ظاهره عن باطنه .. وعموماً فالشعوب الإسلامية إلى حد ما في كافة الدول الإسلامية تدرك حقيقة هؤلاء وتطلق عليهم الكثير من

الأسماء علماء السلطان .. علماء البترودولار .. علماء البنتاجون .. شاوشية الأزهر .. شيوخ أمن الدولة .. السلفية العلمية ...الخ ..

لم يسقط الأزهر فقط في مستنقع النظام المصري .. بل سقطت معه مؤسسة السلفية الموالية لحاكم "الكيان السعودي" وهم جزء من سلفية الإسكندرية .. وذراعهم السياسي المسمى حزب النور .. فموقفهم الأخير من الناحية الشرعية لا يختلف عن موقف بابا النصارى في مصر .. كلهم أعداء للشعب المصري .. كلهم مسؤولون عن الدماء التي سالت بنفس القدر الذي يسأل عنه الطاغية السيسي ومن معه ..

وحتى لا نترك التساؤل دون إجابة منْ مِن العلماء نثق ونتبع؟ .. أعود لما بدأت .. "عند الحديث عن العلماء يجب النظر إليهم من عدة جوانب .. انتمائهم .. عدالتهم .. إدراكهم .. تاريخهم .. فتواهم ...الخ" .. لا يصح تسمية أحد .. فقد قيل من كان مستن فليستن بمن مات فالأحياء لا تؤمن عليهم الفتن .. ولا يعني هذا أن نكتفي بما قيل قديماً .. فربما فتواهم لا تناسب ما في أيامنا .. ولكن للعلماء الصالحين مواصفات .. هذه المواصفات هي أجوبة الاستفسارات السابقة (انتمائهم .. عدالتهم .. إدراكهم .. تاريخهم .. فتاواهم) .. وعلى الشعوب الإسلامية ألا تتعب نفسها بالتفتيش عنهم .. فالمخلص لا يصح له والوضع هكذا أن يغيب مترخصاً .. بل عليه مواجهة الطغاة محتسباً .. والشعب عليه أن يستوثق منه بالبحث في مواصفاته ليطمئن قلبه .. وقديما قالوا إِمامك أَمامك ..

***

الكوادر الشعبية:

يُملأ هيكل العصابات التنظيمي بكل طوائف وفئات لشعب .. ومن المفيد أن يظهر في تركيبته شكلين لصناعة القرار .. ليس هناك خلاف على الشكل الرأسي لنزول الأوامر .. ولكن يفضل أن يرافق صاحب القرار في اتخاذه وصياغته مجموعة أفقية مستشارين[٧] من شرائح وطوائف متنوعة .. وهذا الهيكل الأفقي في منتهى الأهمية! حتى لا نجد في النهاية أمامنا قيادة من فئة واحدة من الشعب تحصر الدولة في ضوء رؤيتها القاصرة .. فحينما يكون المجلس القيادي للعصابات مكون من علماء فقهاء وساسة أوفياء وعسكر مخلصين وأطباء ومهندسين ومعلمين ومحاسبين وتجار وعمال وفلاحين ...الخ .. وكلهم أبناء توجه أيدلوجي (عقيدة) واحدة .. فالحرب تسير إلى النصر .. والدولة القادمة ستبنى وفق رؤية شاملة لكل قطاعاتها دون أن تكون أسيرة فكر قطاع واحد أو لخدمة قطاع واحد أو فئة واحدة .. على سبيل المثال .. فالانقلابات العسكرية تنتهي دائماً إلى أن تُسخر الدولة وشعبها لخدمة العسكر .. حتى مع الانتكاسات التي يتسببون فيها يُوجهون الإعلام ويلقون بالخطب الرنانة لإلهاء الشعب وإشغاله أولاً .. ومن أجل تمجيد أشخاصهم لا بلادهم ولا شعبهم ولا عقيدتهم ثانياً .. ويكفي أن نرى نموذج جمال عبد الناصر في مصر وصدام حسين في العراق وحافظ الأسد في سوريا والأسرة السعودية في جزيرة العرب وبرويز مشرف في باكستان وحامد كرزاي في أفغانستان وغيرهم .. فالنموذج الناصري لم يحقق انتصاراً عسكرياً واحداً منذ أن برز اسم "جمال" .. فقد ظهر محاصراً في

[٧] لست بصدد مناقشة إلزامية الشورى أو عدم إلزاميتها فهذه مسألة أخرى .. ولكن التنوع الذي أقصده يرفع الجهالة لدى الأمير ويعلمه بكافة مطالب أو توجهات شرائح الشعب المختلفة .. ويرفع وصاية طائفة ما ربما في المستقبل ترى أنها الأفضل والأقدر والأفهم والأوعى .. وليست بحاجة لنصح أحد .. وحقيقة أمرها أنها ترعى في واديها والأمة في واد ثان ..

الفالوجة ثم منسحباً وأخيراً مهزوماً .. وحتى الانقلاب في ي٢٣وليو كان أكبر انتكاسة في التاريخ المصري .. فقد جعلت منه ومن رفاقه العسكر أصناماً لا تطالهم يد العدالة .. وأفسدوا البلاد والعباد .. وتحول عدائهم وقسوتهم من اليهود إلى النخبة الإسلامية من الشعب حتى لا يفضحوهم ولا ينافسوهم .. وحينما انتهوا منهم تحول عدائهم إلى شعوبهم .. ولا زال الشعب المصري يعاني من انقلابهم ولم يكد يخرج منه بانتفاضة ين٢٥اير حتى داهمهم انقلاب السيسي في ي٣وليو .. لتعود مصر إلى نفس دائرة الفشل مرة أخرى .. مسجلة رقما قياسيا في فشلها .. فشل سياسي فشل اقتصادي فشل اجتماعي فشل أخلاقي .. ظلمات بعضها فوق بعض .. أما الملوك فهم أشر لأنهم يستعبدون شعوبهم منذ البداية ويعتبرونهم غنائم حرب .. قال تعالى { قَالَتْ إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوا أَعِزَّةَ أَهْلِهَا أَذِلَّةً وَكَذَلِكَ يَفْعَلُونَ {٣٤} النمل .. وهكذا باقي الحكام عندما يأتون من فئة واحدة أو قبيلة واحدة وليس من شريحة القيادة بمعناها الواسع الذي نقصده .. هذا الامتداد الأفقي مهم في كل مجموعات القيادة في الهيكل التنظيمي للشعب لنفس العلة .. ومن المفيد أن نذكر أن معظم الحكومات الفاسدة في العالم قديماً وحديثاً وحتى الذين قادوا ودعوا ودفعوا الجيوش الأوروبية للحروب الصليبية أربعة عناصر "تاجر ماكر وملك مستبد وكاهن ضال وجندي فاسد" ..

يجب أن تنتبه الكوادر الشعبية والطاقم المعاون لها إلى هيكل العاملين في الحرب .. لكلا المتصارعين .. فمن طرفهم يتألف الهيكل من: مجموعة القيادة العليا .. مجموعة القادة المتوسطين .. مجموعة صغار القادة .. الجند .. المتعاونين .. المتعاطفين .. مجموعات سلبية .. أما أصناف خصومهم الذين ستوجه لكل صنف منهم الهجوم المناسب والحكم

المناسب والتوجيه السياسي المناسب .. فهم للتبسيط قسمان: النظام .. وأنصار النظام .. أما ما نقصده بالنظام فهو مؤسسة الرئاسة والحكومة ومجلسي النواب والشيوخ ومؤسسات الدولة قاطبة ومن أهمها الجيش والمخابرات والداخلية والإعلام والقضاء .. وأيديها التي تؤثر في المجتمع وأهمها مؤسسة السينما والرياضة والمؤسسات الدينية إسلامية أو نصرانية أو يهودية أو حتى أرضية .. أما أنصار النظام فهم كل المنتفعين من وجود وبقاء وعودة النظام من بعض رجال المال وبعض مشائخ القبائل أو بعض الأنظمة الإقليمية والدولية أو حتى الشركات عابرة الحدود .. وكلا المجموعتين المحليتين إن لم يتم القضاء تماما على قيادتهما فإنهما سيسعون بكل قوة للانقضاض على الحكم مرة أخرى .. أما المحيطين الإقليمي والدولي فبحاجة إلى سياسة أخرى وربما حرب من نوع أخر تتناسب مع كل محيط .. لذلك قال تعالى { وَإِن نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِي دِينِكُمْ فَقَاتِلُواْ أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لاَ أَيْمَانَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ {١٢} أَلاَ تُقَاتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُواْ أَيْمَانَهُمْ وَهَمُّواْ بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَؤُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤُمِنِينَ {١٣} قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ {١٤} براءة ..

على كوادر العصابات أو الثورات أن تكون واعية للأعمال المضادة للحرب أو محاولة القيام بثورة مضادة .. وعليها أن تدرك أن الأصل الإثخان في الأرض .. أما العفو والتصالح فيأتي لاحقاً في مرحلة التمكين .. حينما يُطمئن من التخلص التام من قيادات أعداء البلاد .. سواء كان هؤلاء القادة عسكريين أو سياسيين أو دينيين أو إعلاميين أو من القضاة أو غيرهم من الذين استمروا في صف العدو ولم يغادروه حينما لاحت بشائر التغيير ..

وواكبوه حتى المرحلة النهائية .. فكل من تصدر الصورة ومارس عملاً أو توجيهاً أي ما يكون تخصصه اعتدى به على الدين أولاً والشعب ثانياً يجب أن يلقى العقاب الرادع .. يجب على العصابات الانتهاء منه تماماً وبلا رأفة .. لأنه لم يرأف من قبل بشعبه ولا رحم أطفاله أو نسائه أو شيوخه أو رجاله .. والمعاملة تكون بالمثل لتنتهي زمرة الشر .. بلا رجعة .. إن شاء الله ..

***

رابعاً: القيادة

العنصر الأكثر ندرة في حرب العصابات .. القيادة صاحبة الفكر والمبادئ والقيم .. القيادة الأخلاقية التي تبذل وتقدم وتضحي ولا تفتش عن المقابل .. القيادة التي تحقق أمال وطموحات أمتها .. القيادة التي تغرز في أمتها العزة والكرامة والأخلاق وتحركهم وفق هداية ربانية وسلوك إنساني .. القيادة القادرة على إلهام أمتها ما تبني به عزها ومجدها .. وما هو ملاحظ من سيرة القادة العظام في سلسلة التاريخ الإنساني أي كان دينهم أو جنسهم .. هو زهدهم في المكاسب الشخصية فلم يفتش أحدهم عن مستقبله وكرسيه وحجم ثروته .. بل كان مجده هو ما بذله من أجل دينه وأمته ولذلك خلدته .. أما هؤلاء الذين تسلطوا على شعوبهم وساموهم سوء الحياة في مقابل نقش أسمائهم وتحقيق ثرواتهم .. فقد لعنتهم الشعوب أحياء وأموات .. وكان نقشهم على رمال الشاطئ فمحته أمواج الشعب وأجياله المتتابعة ..

القادة المسلمون يدركون وبوعي تام أن الإمبراطوريات التي طافت على الأرض نشأت وفقا لمناهج مختلفة .. فبعضها لمجرد أنه حاز القوة أو انتصر لعنصره أو لاغتصاب الثروات أو بسبب النهضة الصناعية .. وتكاد تكون الأمة الإسلامية هي الأمة الوحيدة التي أنشأها دين .. وقامت أسسها عليه .. ولم يجعل لها حدود بل جعل الكوكب كله أرض دعوتها .. وجعل الإنسان هدفها الذي تسعى لرفعته ورقيه .. وجعل لها الخلافة على الكوكب كله لا على قطر خطت حدوده يد البشر .. فلم يرد نصاً يقيد المسلمين بدولة وإنما ربطهم بالجنس البشري وكوكب يقيمون عليه دين الله ويحكمونه .. فكان الكوكب كله دولتهم التي يتحركون لنشر التوحيد عليه .. ولهذا كان من أهم حيل إبليس هو الصراع على الأرض وتقسيمها لتضيق الأرض بما رحبت فتحد من حركة المؤمنين ويمنع نشر الدين .. والله سبحانه وتعالى

يقول { يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ {٥٦} العنكبوت .. واختص الله جزيرة العرب من الكوكب لِيَحْرم غير المسلمين من سُكناها .. فلا يسكنها إلا الموحدين فقط ولا يمنعهم من سكناها أحد .. فهي للمسلمين كل المسلمين أي كان لونهم أو عرقهم أو لسانهم خالصة لهم لا يجاورهم فيها مشرك نجس .. ولن ينهض العرب ولا العجم إلا بالإسلام .. ولن تكون للأمة عز إلا بدينها .. ولن يكون الإنسان إنساناً إلا بإتباع تعاليمه .. ولهذا فلا يمكن بحال من الأحوال إبدال الإرث الإسلامي بأي مفهوم غربي أو شرقي .. لأن الدين هو عماد هذه الأمة وقوام نهضتها ومصدر ثقافتها وعادتها وأعرافها .. فالرسالة السماوية هي التي أخرجتها للوجود .. بخلاف غيرها من الإمبراطوريات التي أنشأها البشر ..

القيادة في أي مكان تدرك أن مهمتها بالأساس سياسية .. وما أرسل الرسل إلا لإصلاح العقائد وسياسة الدنيا وفق مراد الله .. وفي الإسلام مهمة القادة بعد الرسل حفظ العقيدة ونشر الدين وسياسة الدنيا .. دعوة وجهاداً .. والجهاد هنا "الحرب والقتال" .. إن نظرية الحرب في الإسلام .. تبين أن العمل العسكري ينطلق ليمهد العوائق أمام الدعوة .. وتحرير الشعوب من العبودية للبشر[٨] بتحرير إرادتهم ليختاروا .. بين الهداية والرعاية الإسلامية أو ما هم عليه .. إن إعطاء الإنسان حق الاختيار والرضا بما استقر عنده .. هو من أهم بنود الرسالة الإسلامية .. قال تعالى { لاَ إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىَ لاَ انفِصَامَ لَهَا وَاللّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ {٢٦٥} البقرة .. وقال تعالى { وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاء فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاء فَلْيَكْفُرْ .... {٢٩} الكهف .. وقال

[٨] لقد قال خالد بن الوليد ﵁ حينما أعلن إسلامه بين يدي رسول الله ﷺ حينما لاطفه .. فرد بقوله: "لقد كان يمنعنا من الإسلام رجال كنا نرى أحلامهم كالجبال" .. إن مقتل هؤلاء حرر عقل خالد ومن كان مثله ليختار..

تعالى { ... لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَن بَيِّنَةٍ وَيَحْيَى مَنْ حَيَّ عَن بَيِّنَةٍ وَإِنَّ اللّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ {٤٢} الأنفال .. وكل ما ينبني لهذا الإنسان في مستقبله يترتب على اختياره بملء إرادته .. وقبوله ورضاه واستسلامه .. فقد ينفعه اختياره في الدنيا لينال من الدنيا .. لكن الدنيا ليست هي المستقبل الحقيقي .. ولن ينفعه إلا رضاه وقبوله واستسلامه في الدنيا لمراد الله لينال الآخرة .. لأنها الثمرة لمسيرة الدنيا .. ولهذا كانت الحرب أو الجهاد في الإسلام لتحرير إرادة الإنسان أولاً .. ولسياسة الدنيا وتطويعها لخدمة الإنسان المسلم ثانياً .. وحماية الكوكب وما عليه بإحسان إدارته ثالثاً .. وكانت الجزية فرصة مدفوعة الثمن وإمهال لغير المسلمين ليعاودوا التفكير مرات عديدة في اختيارهم .. علهم يهتدون إلى الحق .. وأيضاً بملئ إرادتهم .. وهذه كلها أهداف سياسية .. وهناك من عرف الحرب بأنها ممارسة السياسة بوسائل عنيفة .. فالحرب واحدة من وسائل السياسة .. ولهذا فمن الجهل والضلال اعتقاد أن "لا دين في السياسة ولا سياسة في الدين" ..

كذلك تكون نظرية الحرب لثائر العصابات .. فالمسلم يثور للتمكين للدين والأخر يثور لنيل حرية وطنه .. فكلاهما متمرد على الواقع .. وكلاهما يعمل على التغيير .. وكلاهما ينشئ نظاماً سياسياً واجتماعياً واقتصادياً ويدمر ما هو قائم من نظم أخرى .. والدور العسكري استثناء يلجأ إليه إذا أغلق عليه باب الدعوة أو السياسة .. إلا أن هذا الدور العسكري جوهري .. ولا بد منه .. لكنه يظل عارضاً في مهمته السياسية .. فهو يثور لغرض محدد .. يتمثل للأول في إقامة الدين وللثاني في قلب الحكومة .. وكلاهما يعمل على تدمير النظام السياسي والاجتماعي والاقتصادي القائم ..

أما وسائل الحرب وامتلاك القوة .. فهي بلا سقف .. لتحقق الإستراتيجية العسكرية الإسلامية .. فالنصر من عند الله .. وبالتالي فليس بالقتال وحده تنتصر الأمم .. ففي بعض الحالات يكون لقوة الدين وحسن بيانه وثقافته وآدابه "القوة الناعمة" .. وقوة الحجة التي تجد صدي في قلوب العقلاء والباحثين عن الكمال والراغبين في العزة والقوة .. وفي حالات أخرى يكون بالردع خشية ما لدى المسلمين من وسائل القوة .. وفي كثير من الحالات يكون بالرعب عندما تتحرك جيوش الإسلام لتنال سيوفها من أعداء الله .. قال تعالى { سَنُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُواْ الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُواْ بِاللّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ مَثْوَى الظَّالِمِينَ {١٥١} آل عمران .. وروى البخاري في صحيحه: أخبرَنا جابرُ بنُ عبدِ اللهِ أَنَّ النبيَّ ﷺ قال: «أُعْطِيتُ خَمساً لم يُعْطَهُنَّ أحدٌ قبلي: نُصِرْتُ بالرُّعْبِ مَسِيرَةَ شَهرٍ، وجُعِلَتْ لِيَ الأرضُ مَسجِداً وطَهوراً فأَيُّما رَجُلٍ من أُمَّتي أدرَكَتْهُ الصلاةُ فلْيُصَلِّ، وَأُحِلَّتْ لِيَ المَغانِمُ ولم تَحِلَّ لأحَدٍ قَبْلي، وأُعْطِيتُ الشفاعَةَ، وكان النبيُّ يُبْعَثُ إلى قَومِه خاصَّةً وبُعِثْتُ إلى النّاسِ عامَّة» ..

وعلى القيادة الإسلامية لحرب العصابات أو غيرها من وسائل التغيير .. عليها أن تدرك ما سبق "هدف الرسالة وامتلاك القوة" .. وتعمل على تحقيقهما ..

وعود لموضوع حرب العصابات وتلخيصا للمقدمة .. فإن هدف العمل العسكري لمقاتلي العصابات يجب أن يكون له مفعول سياسي .. فكل معركة برهان لعجز جيش العدو .. وكل حملة عسكرية تزيد من وعي الشعب .. وكل مناورة تمكن له سياسياً وتمده عسكرياً بالأسلحة والذخيرة

والمؤن .. وتكبيد العدو الخسائر .. وتضطره لنشر قواته حتى يمكن تدميرها واحدة تلو الأخرى .. وتفرض الهيبة الإسلامية عليهم ..

إن الأوضاع الثورية عادة تلد قيادتها .. وعادة تأتي القيادة من القطاعات الاجتماعية الأقل استقراراً .. وفي أمتنا الإسلامية عادة ما تأتي القيادة من الشريحة المتدينة أي ما كانت طبقتها الاجتماعية .. وتتضمن العناصر الأكثر أصولية .. وأبناء الطبقة المتوسطة الأكثر مثالية .. الذين يشعرون بعبء اضطهاد لم يعتادوا عليه .. فالعالم والطالب أو المثقف كما العامل والفلاح وكل من أرهق كاهله الظلم أكثر إدراكا لحقوقهم .. هكذا ولدت القيادات في أفغانستان وفي غيرها ..

من مهام القيادة الأساسية أن تبلور للفلاح والعامل والطالب والمثقف لما يجب عليه أن يثور .. وهي التي تبين له أسباب كل خطوة وكل عمل مسلح أو سياسي وتبقي مقاتليها وأنصارها ملتصقين دوماً بحركتهم .. وتزيل كل غموض يطرأ على الموقف السياسي لتنفي الشبهات عن حركتها .. وتحصن أتباعها من الشهوات ..

والقيادة هي التي تلتقط الفرص التي تزيد التفاعل ثورية وتؤدي إلى مزيد من الفرقعات السياسية .. وتحمل المجتمع على الانفجار الاجتماعي الكامل لتصل إلى عصيان شامل يرهق الحكومة ويسقطها ..

القيادة تبين لشعبها الأسباب الحقيقية التي جعلت العمل العسكري هو السبيل الوحيد والطبيعي والأخلاقي للتغيير .. فالقمع والاعتقال يهيج الطبقة المتوسطة .. والاقتصاد وفساده يخرج الحرفيين ورجال الأعمال .. والكبت السياسي يفعّل الطامحين إليه .. ونهب الأراضي والتحكم في أسعار منتجاتها يفجر الريف .. والظلم والقهر الاجتماعي والرغبة في التحرر تأخذ

بأغلب فئات الشعب لنصرة القضية عسكرياً ودعوياً .. ويصبح التغيير والقضاء على النظام هدف الأمة .. وما يقدم في سبيل ذلك من تضحيات تقدم بطيب خاطر خاصة إذا كان الإيمان هو محرك الشعب والأمل في أن يحكم بدينه هو الغاية .. وبالتالي تحرص قيادة العصابات على طمأنة الشعب بإعلان ما تحقق من مكاسب .. وإبانة ما أشكل في نظره .. وإثارته حول عدة قضايا منها:

- هجرة النظام للدين الذي هو صمام آمان المجتمع .. وضمان إنسانيته .. ورفض النظام الباغي القبول بتحقيق مراد الله الذي يطالب به الشعب طواعية ..

- القهر الاجتماعي والكبت السياسي والضياع الاقتصادي .. وأن النظام الباغي لا يمكنه القبول بتحقيق مطالب الشعب طواعية ..

- تقدم رؤية سياسية ترتكز على القاعدة الدينية التي تؤمن بها وتجعلها جديرة بكل التضحيات ..

- تبين أن نظام حكم أو العدو المستعمر الباغي والظالم لا يقبل بما يؤمن به الشعب ويستورد أو يورد ثقافات وعادات لا تمت لعرف المجتمع وعاداته وتقاليده ولا لموروثاته الدينية بصلة ..

- التأكيد على أن النصرّ من عند الله لمن يقدم ويبذل .. قال تعالى { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ {٢١} المجادلة ..

- بيان قدرات القيادة وحرصها وبذلها وتضحياتها وقدرتها على الإلهام .. وحسن تعبئتها .. وأنها تخرج من معين لا ينضب .. فإن استشهد قائد خلفه

غيره بلا تردد وبلا تأخر .. فلا أزمة في القيادة .. والقادم كالسابق أخلاقياً وفهماً وهمة ورحمة ورأفة ..

- أن سلاح الحرب وذخائره لا تنضب فهي غنيمة في مستودعات الجيش .. تحصل عليها بالقتال كما تحصل عليها بالمال ..

- أن الحلفاء ينفكون عن العدو ويلتحقون بموكب حلفاؤنا .. وكل منهم له أهدافه ومصالحه التي يساق منها للتحالف معنا ..

القيادة هي أشد العناصر أهمية .. ولكي يُطاع القادة يجب أن يكونوا أخلاقيين .. وأن تكون دوافعهم ومبادئهم[٩] أكبر من طموحهم الشخصي .. وهو ما توفره الإيديولوجية أو (قضية) محددة تماماً .. تبين علام ثاروا وقاتلو .. إن أصحاب المبادئ والرسالات ينتفي عنهم الانتهازية السياسية والاستغلالية الربحية .. إنهم يعرضون أنفسهم على الشعب كمنقذين .. إن القيادة يجب أن تظهر وكأنها خير مطلق .. وعدوها هو الشر المطلق .. فالقيادة وجنودها زهاد .. عباد .. ويؤثرون على أنفسهم .. إنهم أصحاب مبادئ .. قضيتهم عادلة .. ودعوتهم طاهرة .. وأعدائهم على النقيض منهم ..

ومن الجدير بالذكر في هذا المقام إيراد الحديث المتفق عليه: عَنِ ابْنِ عُمَرَ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «تَجِدُونَ النَّاسَ كَإِبِلٍ مِائَةٍ، لاَ يَجِدُ الرَّجُلُ فِيهَا رَاحِلَةً» .. للدلالة على ندرة هذا العنصر .. وقد ذكر أهل العلم فيها قولين: أحدهما أن الناس في أحكام الدين سواء لا فضل فيها لشريف على مشروف ولا لرفيع على وضيع .. كالإبل المائة التي لا يكون فيها راحلة وهي

[٩] أكثر ما أزعجني ميل بعض الشباب المسلم في أوروبا إلى استحلال أموال الأوربيين .. ومما أعجبني من الردود عليهم .. ما قاله الشيخ أبو حفص المصري لبعض هؤلاء الشباب حينما سألوه فقال رحمه الله: هل يعقل أن تكون نظرة الأوروبي لك على أنك منقذه من الضلال وأنت تقوم بسرقته .. لا يستقيم الأمر فأنت عنوان للإسلام وداعية له ..

التي ترحل لتركب .. والراحلة فاعلة بمعنى مفعولة أي كلها حمولة تصلح للحمل ولا تصلح للرحل والركوب عليها .. والثاني أن أكثر الناس أهل نقص .. وأما أهل الفضل فعددهم قليل جداً .. فهم بمنزلة الراحلة في الإبل الحمولة .. وقال الأزهري: الراحلة عند العرب الجمل النجيب والناقة النجيبة .. قال ابن قتيبة: الراحلة النجيبة المختارة من الإبل للركوب وغيره فهي كاملة الأوصاف فإذا كانت في إبل عرفت .. وقال غيرهم أن معناه المرضي من الناس الكامل الأوصاف الحسن المنظر القوي على الأحمال والأسفار ..

ومن المفيد هنا أن نبين مسألة هامة في إنكار الذات والتضحية من أجل نصرة الدين متجاوزين فيها طموحاتنا الشخصية .. وهي إدراك كل منا لدوره ومهمته في العمل الإسلامي .. حيث تكون الثمرة لصالح الأمة حينما تتضافر جهودنا جميعاً .. وإلا فالبديل التقسيم والانشقاقات ومتوالية حسابية أو هندسية من المعاناة والفرقة والهزائم .. قال ﷻ { وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ {٤٦} الأنفال .. وأخرج مسلم في صحيحه: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ أن رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ: «إِيَّاكُمْ وَالظَّنَّ. فَإِنَّ الظَّنَّ أَكْذَبُ الْحَدِيثِ. وَلاَ تَحَسَّسُوا، وَلاَ تَجَسَّسُوا، وَلاَ تَنَافَسُوا، وَلاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَكُونُوا ، عِبَادَ اللّهِ إِخْوَاناً». وفيه أيضاً عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﵁ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «لاَ تَحَاسَدُوا، وَلاَ تَنَاجَشُوا، وَلاَ تَبَاغَضُوا، وَلاَ تَدَابَرُوا، وَلاَ يَبِعْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَيْعِ بَعْضٍ. وَكُونُوا ، عِبَادَ اللّهِ إِخْوَاناً. الْمُسْلِمُ أَخُو الْمُسْلِمِ. لاَ يَظْلِمُهُ، وَلاَ يَخْذُلُهُ، وَلاَ يَحْقِرُهُ. التَّقْوَى هٰهُنَا». وَيُشِيرُ إِلَى صَدْرِهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ: «بِحَسْبِ امْرِىءٍ مِنَ الشَّرِّ أَنْ يَحْقِرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ. كُلُّ الْمُسْلِمِ عَلَى الْمُسْلِمِ حَرَامٌ. دَمُهُ

وَمَالُهُ وَعِرْضُهُ» .. وعليه فقد يصاحب القائد مجموعة من الأفاضل كل منهم بارع في مجاله .. فهذا عسكري محترف وذاك منظر خبير وهذا شاعر نحرير وأخر إداري ماهر وهنا طالب علم مجتهد .. فالواجب منهم أن تصب خبراتهم في بوتقة الأمير لتعينه على ما ابتلي به .. حتى ولو كانوا أكمل منه عقلاً أو جسماً أو شكلاً .. لأنه قد يفوقهم بتوفيق الله له وقبول الناس به .. ولهذا يجب على الشباب أن يحرصوا على الانشغال بنصرة أميرهم .. وليعلموا أنها (الإمارة) بغير حقها حسرة وندامة .. عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺقال: «إنّكم ستحرصُون على الإمارة وستكونُ ندامة يوْمَ القيامة .. فَنِعْمَ المرضعة .. وبئستِ الفاطمةُ» .. (فنعْم المُرضعة) أي في الدنيا[١٠] (وبئست الفاطمة) أي بعد الخروج منها (رَوَاهُ البُخَارِيُّ) ..

ولا بد لقائد العصابات الناجح[١١] أن يتصرف بشرف فيدفع ثمن ما يأخذه .. ويحترم الحقوق والملكية الخاصة .. خاصة مع مخالفيه ومن لا يعتبرون من أنصاره .. وأن يأخذ في الاعتبار ضرورة اكتساب كل الدعم الممكن في المجتمع القائم كيفما كانت طبيعة ذلك المجتمع آنذاك .. حتى لو كانت الحرب صراعاً قبلياً أو طبقياً .. فيجب أن تُلطّف الفروق بين القبائل والطبقات لا تُضخم .. وأن خير ما تخضع له هذه الفروق هو الدين .. أما أولئك الذين لا يتعاطفون مع الثورة .. وحتى المدافعون عن النظام القائم

---

١٠ سبل السلام كتاب القضاء ..

١١ لقد كان لسلوك مدربي القاعدة الأخلاقي في الصومال والشباب الذي تربوا على أيديهم أثر عظيم في نفوس أهل القرى التي كانت تحت سيطرتهم .. وبحسن تعاملهم مع أهلها وكذلك مع الصيادين (الباجون) .. أن عادت القبائل وسكنت منطقة رأس كمبوني .. كما عادت عمليات الصيد والتجارة .. وعاش السكان في أمن تحت إدارة الشيخ حسن حرسي والشيخ عبد العزيز والأخ الكريم أحمد مدوبي .. فقد كانت القرى أثناء الحرب القبلية تحرق وتسرق الثروات ولا يفكر أحد بأن يطالب بحقه .. في حين أن الشباب كان يعرض عليهم الصيادون السمك مجاناً فلا يأخذوه إلا بقيمته .. وقُدر أن حُرق أحد البيوت أثناء التدريب .. وكانت القرية مهجورة فلما سمع أصحاب البيت بذلك طالبوا بقيمته .. فدفعت لهم .. هذه هي أخلاق المسلمين وأخلاق العصابات الناجحة ..

وخدمه .. فيجب أن يترك لهم الخيار الأخلاقي .. فالقيادة الواعية تعمل على احتوائهم وتفتيت صف العدو بضمهم أو على الأقل بتحييدهم ..

قادة العصابات عندما يمارسون القتال يجب أن يكونوا كالتاجر الفطن إن وجد ربحاً تجر وإلا حفظ رأس ماله .. فمن دخل في الصراع بغير قوة ولا احتياط فقد خاطر بمن معه .. فالقائد الموفق من عرف نفسه وعرف عدوه .. وبني خطته بمرونة تامة .. وأخذ فيها بكل الاحتمالات .. ووضع لكل هاجس ما يصلحه .. واعتمد لجماعته خطة أساسية وأخرى ثانوية .. ولم يقدهم إلى الهلكة .. فيقدم في موضع الإقدام .. ويثبت في موضع الثبات .. وينحاز عند الحاجة إليه .. وعليه أن يرشد أتباعه بأقل الكلام .. لأنه لن يجد من رجاله إلا ما وعوه عنه .. ومما يكون عمدة عند لقاء الأبطال التفكر في أعمال الاحتيال وإن طال .. فالتفكر قبل العزم .. والتدبر قبل الهم .. فإنه من لم ينظر في العواقب فقد تعرض لحادثات النوائب .. وما تنفق فيه الأموال والحيل خير مما تنفق فيه الأرواح والنفوس ..

ومن جميل ما كتب العرب في القائد وصفاته مع أتباعه وأنصاره ما ادخره حكيم وفارس عربي (ذي الإصبع العدواني) من خلاصة تجربته في الحياة .. فصاغها في مبان جميلة لإعداد ابنه لقيادة قومه من بعده .. فقال: يا بني! .. إن أباك قد فني وهو حي .. وعاش حتى سئم العيش .. وإني موصيك بما إن حَفظْتَهُ بلغت في قومك ما بلغته .. فأحفظ عني: ألن جانبك لقومك يحبوك .. وتواضع لهم يرفعوك .. وأبسط لهم وجهك يطيعوك .. ولا تستأثر عليهم بشيء يسودوك .. وأكرم صغارهم كما تكرم كبارهم .. يكرمك كبارهم ويكبر على مودتك صغارهم .. واسمح بمالك .. واحم حريمك .. وأعزز جارك .. وأعن من استعان بك .. وأكرم ضيفك .. وأسرع النهضة في الصريخ .. فإن

لك أجلاً لا يعدوك .. وصن وجهك عن مسألة أحد شيئاً .. فبذلك يتم سؤددك ..

القيادة هبة ومنحة وفن وفهم وإرث .. وليست تصفح للكتب ولا حفظ للحكم .. وقد دونت العرب في صفات القائد الكثير ومنها: الحزم .. فقد وجد مكتوباً على حجر بعدن أبين: (أيها المحارب احذر تغنم .. وتفكر في العواقب تسلم) .. ويقال الناس حازمان وعاجز .. فأحزم الحازمين: من عرف الأمر قبل وقوعه فاحترس منه .. والحازم بعده من إذا نزل الأمر تلقاه بالرأي والحيلة حتى يخرج منه .. والعاجز من تردد بين وبين لا يأتمر رشداً ولا يطيع مرشداً حتى تفوته النجاة .. والقائد الحازم لا يندفع إلى معركة هيأ أسبابها العدو .. وإنما يمضي إلى المعارك التي هيأ هو أسبابها ..

ومنها: الحذر .. فيحذر عدوه على كل حال .. يحذر مواثبته إن قرب .. وغارته إن بعد .. وكمينه إن تبع .. ومكره إن انفرد .. واستطراده إذا ولي.. وأوصت أم الدبال العبسية ولدها الفتاك وكان من أشد العرب فقالت: (يا بني لا تنشب في حرب وإن وثقت بشدتك حتى تعرف وجهة المهرب .. فإن النفس أقوى ما تكون إذا وجدت سبيل النجاة مدبرة لها .. واختلس من تحاربه خلسة الذئب وطر منه طيران الغراب .. فإن الحذر زمام الشجاعة .. والتهور عدو الشدة)..

ويقال إذا اتسع لك المنهج فاحذر أن يضيق عليك المخرج .. وقال الشاعر:

وإذا هممت ورود أمر فالتمس *** من قبل مورده طريق المخرج

وهذا بلا شك عمدة في تكتيكات العصابات ..

ومنها الشجاعة .. والمردود منها التهور والهلكة .. فالإقدام على الهلكة تضييع .. كما أن الإحجام عن الفرصة عجز .. وقيل لعنترة العبسي أأنت أشجع العرب وأشدها؟ .. قال لا .. قيل فبم شاع هذا في الناس؟ .. قال كنت أقدم إذا كان الإقدام عزماً .. وأحجم إذا كان الإحجام حزماً .. ولا أدخل موضعاً لا أرى لي فيه مخرجاً .. وقالوا الشجاعة تغرير والتغرير مفتاح الهلكة وقال يزيد ابن المهلب الإقدام على الهلكة تغرير والإحجام عن الفرصة جبن وأنشد طاهر بن الحسين

ركوبك الأمر ما لم تبد فرصته *** جهل ورأيك في الإقحام تغرير

فاعمل صواباً وخذ بالحزم مأثرة *** فلن يذم لأهل الحزم تدبير

ومنها: مشاورة النصحاء من أولي التجارب .. فالرأي في الحرب أنفع من الطعن والضرب .. وينبغي لكل ذي لب .. أن لا يبرم أمراً ولا يمضي عزماً .. إلا بمشورة ذي الرأي الناصح .. ومطالعة ذي العقل الراجح .. قال تعالى: { وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ {٣٨} الشورى .. فالحازم إذا اشتبهت عليه مصادر الأمور جمع من أهل التجارب وجوه الرأي حتى يخلص له منها الصواب .. وعلى العاقل أن يضيف إلى رأيه آراء العلماء ويجمع إلى عقله عقول الحكماء .. والشورى تؤلف القلوب .. وتطيب الخواطر .. وتشارك في المخاطر .. وقال بعض الأعراب ما عثرت قط حتى عثر قومي .. قيل له وكيف؟ .. قال: لا أفعل شيئاً حتى أشاورهم .. ولقد أحسن أبو الطيب أحمد بن الحسين المتنبي في التحريض على مشاورة الإخوان عند مساواة الأقران بقوله:

الرَّأْيُ قَبْلَ شَجَاعَةِ الشُّجْعَانِ *** هُوَ أَوَّلٌ وَهِيَ الْمَحَلُّ الثَّانِي

فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ *** بَلَغَتْ مِنْ الْعَلْيَاءِ كُلَّ مَكَانِ

وَلَرُبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ *** بِالرَّأْيِ قَبْلَ تَطَاعُنِ الْفُرْسَانِ

ومن اللطائف أن قوماً من العرب أتوا شيخاً لهم قد أربى على الثمانين وأهدف التسعين .. فقالوا إن عدونا استاق سرحنا فأشر علينا بما ندرك به الثار وننفي به العار .. فقال: (إن ضعف قوتي فسخ همتي .. ونقض إبرام عزيمتي .. ولكن شاوروا الشجعان من ذوي العزم والجبناء من أولي الحزم .. فإن الجبان لا يألو برأيه ما وقى مهجكم .. والشجاع لا يألوا ما يشيد ذكركم .. ثم خلصوا من الرأيين نتيجة تبعد عنكم معرة الجبان وتهور الشجعان .. فإذا نجم الرأي على هذا كان أنفذ على عدوكم من السهم الصائب والحسام القاضب) .. وقال بعض الحكماء: لا تصغِّر أمر من جاء يحاربك .. فإنك إن ظفرت لم تحمد وإن عجزت لم تعذر ..

ومنها: الحلم والأناة وضده السفه .. قال تعالى: { فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لاَنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ إِنَّ اللّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ {١٥٩} آل عمران .. روى مسلم في صحيحه: عَنْ عَائِشَةَ ، زَوْجِ النَّبِيِّ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الرِّفْقَ لاَ يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلاَّ زَانَهُ، وَلاَ يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلاَّ شَانَهُ» .. وقال عمر ﷺ: (التؤدة في كل شيء إلا ما كان من عمل الآخرة)[١٢] .. فالأناة حصن السلامة .. والعجلة مفتاح الندامة .. وفي التورية الرفق ورأس الحكمة .. وقال الشاعر:

وما الرأي إلا بعد طول تثبت *** ولا الحزم إلا بعد طول تلوّم

قيل لكسرى ذي الأكتاف، وكان ضابطاً لمملكته: بم ضبطت ملكك؟ قال: بثمان خصال .. لم أهزل في أمر ولا نهي .. ولم أخلف وعداً ولا وعيداً ..

[١٢] رواه أبو داوود وصححه الألباني ..

ووليّت للغنى لا للهوى .. وعاقبت للأدب لا للغضب .. وأوطأت قلوب الرعية الهيبة من غير ضغينة .. وملأتها محبة من غير جرأة .. وأعطيتها القوت .. ومنعتها الفضول ..

لما أراد عمرو بن العاص المسير إلى مصر .. قال له معاوية: إني أريد أن أوصيك .. قال: أجل فأوص .. قال: انظر فاقة الأحرار فاعمل في سدها .. وطغيان السفلة فاعمل في قمعها .. واستوحش من الكريم الجائع واللئيم الشبعان .. فإنما يصول الكريم إذا جاع واللئيم إذا شبع ..

ومنها: الصبر وضده العجلة .. وقال بعض الحكماء إياك والعجلة .. فإنها تكنى أم الندامة لان صاحبها يقول قبل أن يعلم .. ويجيب قبل أن يفهم .. ويعزم قبل أن يفكر .. ويقطع قبل أن يقدر .. ويحمد قبل أن يجرب .. ويذم قبل أن يخبر .. ولن تصحب هذه الصفة أحداً إلا صحب الندامة .. وجانب السلامة .. وهذه نبذة يسيرة في الصبر فمما ينسب لعلي رضي الله عنه:

إني رأيت وفي الأيام تجربة *** للصبر عاقبة محمودة الأثر

وقل من جدّ في أمر يحاوله *** واستصحب الصبر إلا فاز بالظفر

آخر

ما أحسن الصبر في مواطنه *** والصبر في كل موطن حسن

و الصبر مفتاح النصر .. ويقال النصر في مطاوي الصبر .. ويقال من تصبر تبصر .. وأحسن ما قيل فيه

أما والذي لا خلد إلا لوجهه *** ومن ليس في العز المنيع له كفو

لئن كان بد الصبر مرّاً مذاقه *** لقد يجتنى من غبه الثمر الحلو

ومنها الوفاء وضده الغدر .. فلو عاهد قوم فعليه أن يوفي لهم بعهدهم .. ولا ينبذه إلا على سواء .. وفي قصة صلح الحديبة وما لحق بها من أحداث فكان من بركة الوفاء .. أن نبغت صورة جديدة من صور الجهاد .. قادها أبو بصير وأبو جندل .. وكتاب الله ﷻ وسنة رسوله ﷺفيهما الكثير من الحث على الوفاء والبعد عن الغدر .. قال ﷻ { وَأَوْفُواْ بِعَهْدِ اللّهِ إِذَا عَاهَدتُّمْ وَلاَ تَنقُضُواْ الأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللّهَ عَلَيْكُمْ كَفِيلاً إِنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ {٩١} وَلاَ تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ {٩٢} .. النحل .. يقول ابن كثير رحمه الله "تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلاً بَيْنَكُمْ" أي خديعة ومكراً .. "أَن تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ" أي تحلفون للناس إذا كانوا أكثر منكم ليطمئنوا إليكم .. فإذا أمكنكم الغدر بهم غدرتم .. فنهى الله عن ذلك لينبه بالأدنى على الأعلى .. إذا كان قد نهى عن الغدر والحالة هذه .. فلأن ينهى عنه مع التمكن والقدرة بطريق الأولى .. أهـ من تفسير ابن كثير ..

وأخرج البخاري عن عبدِ اللهِ بنِ عمروٍ ﵄ عنِ النبيّ ﷺ قال: «أربعٌ مَن كُنّ فيه كانَ مُنافِقاً، أو كانت فيه خَصلَةٌ من أربعٍ كانت فيه خَصلَةٌ منَ النّفاقِ حتى يَدَعَها: إذا حدّثَ كذَبَ، وإذا وَعَدَ أخْلَفَ، وإذا عاهَدَ غدَرَ ، وإذا خاصمَ فَجرَ» .. وروى مسلم في صحيحه: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللّهِ ﷺ: «حُرْمَةُ نِسَاءِ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ، كَحُرْمَةِ أُمهَاتِهِمْ. وَمَا مِنْ رَجُلٍ مِنَ الْقَاعِدِينَ يَخْلُفُ رَجُلاً مِنَ الْمُجَاهِدِينَ فِي أَهْلِهِ، فَيَخُونُهُ فِيهِمْ، إِلاَّ وُقِفَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَيَأْخُذُ مِنْ عَمَلِهِ مَا شَاءَ. فَمَا ظَنُّكُمْ؟».

ومن جميل صفات الأمراء:

أجَل مُلُوكِ الأرضِ جداً وَوَالِداً *** حَسْبُكَ آبَاءً خَضَارِمَة البَحْرِ

وَوَأعْظَمُهُمْ فَخْراً وَأوْسَعَهُمْ غِنىً *** وَأقْرَبُ مِنْ حِلْمٍ وَأبْعَدُ عِنْ غَدْرِ

للفرزدق

أبُوهُ الّذي قال: اقتُلُوهُ، فإنّني *** سَأمْنَعُ عِرْضي أن يُسَبّ به أبي

فإنّا وَجَدْنا الغَدْرَ أعْظَمَ سُبّةً، *** وَأفضَحَ من قَتلِ امرِىءٍ غيرِ مُذْنِبِ

شاعر

أخلق بمن رضى الخيانة شيمة *** أن لا يرى إلا صريع حوادث

ما زالت الآراء تلحق بؤسها *** أبداً بغادر ذمّة أو ناكث

ولكن على الأمير أن يكون كيساً فطن وينتبه لتحذير الله ﷻ من نكوثهم في عهدهم في قوله ﷻ {الذين عاهدتَ منهم ثمَّ ينقضونَ عهدَهم في كلِّ مرَّة، وهم لا يتقون{٥٦} .. الأنفال .. "..... يَعْنِي أَنَّهُ يَلْزَمُنَا أَنْ نُوَفِّيَ لَهُمْ بِمَا اشْتَرَطُوا عَلَيْنَا فِي تِلْكَ الْمُدَّةِ إلا أَنْ يَسْتَشْعِرَ الإِمَامُ مِنْهُمْ الْخَوَنَةَ فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يَنْبِذَ عَهْدَهُمْ أَيْ يَطْرَحُهُ وَيَنْقُضُهُ وَيُنْذِرُهُمْ وَيُعْلِمُهُمْ بِأَنَّ لا عَهْدَ لَهُمْ وَأَنَّهُ مُقَاتِلُهُمْ .. إنْ قِيلَ كَيْفَ يُنْقَضُ الْعَهْدُ الْمُتَيَقَّنُ بِالْخَوْفِ وَهُوَ ظَنِّيٌّ؟! .. قِيلَ إذَا ظَهَرَتْ آثَارُ الْخِيَانَةِ وَدَلائِلُهَا وَجبَ نَبْذُهُ خَوْفَ الْوُقُوعِ فِي الْمَهْلَكَةِ بِالتَّمَادِي وَسَقَطَ الْيَقِينُ هُنَا بِالظَّنِّ لِلضَّرُورَةِ" .. أهـ من مختصر خليل للخرشي ..

يتصف المؤسسون بصفات يفتقر إليها الوارثون .. أو المتنازعون على الحكم .. فإنهم (المؤسسون) يعملون وفق مبادئ وقيم تركن لها النفس وتأنس بها الروح .. أما رؤساء وملوك الخلف فهم كالبحر تأنسه إن سكن .. وتهابه إن

ماج .. ومما يميز القائد المسلم عن غيره هو شفقته على الخلق ورغبته في إنقاذ البشرية من الضلال إلى الهداية ..

لا يستطيع قادة الثوار إذكاء روح التضحية والإرادة الثورية التي تخلق الثورة الشعبية .. بواسطة الوعود وحدها .. أو بقوة السلاح .. بل لا بد لهم من التنازل عن متطلبات شخوصهم في سبيل غاية عظمى .. وسواء كانت قضية الثورة تستند إلى الدين أو القومية أو العدالة الاجتماعية .. أو الرغبة في التقدم المادي .. فإن قرار القتال والتضحية يبقى ذا طابع اجتماعي وأخلاقي .. ولا يَتبع الثوار القادة إلا برؤيتهم في ميادين القتال .. ولا يضحى من أجلهم إلا برؤية الجراح تزين أجسادهم .. وبذلك تصبح الانتفاضة قضية إيحاء وإلهام وليست قضية مناورة ..

وعلى القادة أن يكونوا واضحين تماما في تعاملهم مع أعدائهم وحلفائهم وحتى أتباعهم .. فيطلعون أتباعهم على كل ما يفعلونه وخاصة مع الحلفاء .. وأن تكون جلسات التفاوض لا تحوي أسرار بعيدا عن أعين الأتباع أو لا يحضرها إلا الأمير فقط ولا يعرف أحد ما دار بها .. عليهم أن ينأوا بأنفسهم عن أي شبة قد تحط من قدرهم .. وأن يكون مبدأ "إنها صفية" نصب أعينهم .. أخرج البخاري ومسلم عَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ حُيَيَ ، قَالَتْ: كَانَ النَّبِيُّ مُعْتَكِفاً. فَأَتَيْتُهُ أَزُورُهُ لَيْلاً. فَحَدَّثْتُهُ. ثُمَّ قُمْتُ لأَنْقَلِبَ. فَقَامَ مَعِيَ لِيَقْلِبَنِي. وَكَانَ مَسْكَنُهَا فِي دَارِ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ. فَمَرَّ رَجُلاَنِ مِنَ الأَنْصَارِ. فَلَمَّا رَأَيَا النَّبِيَّ أَسْرَعَا. فَقَالَ النَّبِي ﷺ: «عَلَى رِسْلِكُمَا. إِنَّهَا صَفِيَّةُ بِنْتُ حُيَيَ» فَقَالاَ : سُبْحَانَ اللّهِ يَا رَسُولَ اللّهِ قَالَ: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَجْرِي مِنَ الإِنْسَانِ مَجْرَى الدَّمِ. وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قُلُوبِكُمَا شَرّاً» أَوْ قَالَ «شَيْئاً».

* أسامة بن لادن قدم نموذج رائع للقيادة الأخلاقية في هذا الزمان .. التي أقدمت على التضحية .. فقدم ماله وأبناءه[13] لله راضيا محتسباً .. وقام بإلهام أمته .. واتصف برقة القلب ولين الجانب .. والشفقة على الأمة .. والغلظة على الأعداء .. وسار على هذا الدرب حتى لقي ربه .. وتبعته في ذلك قلوب أمة من مليار ونصف مسلم .. واصطف تحت رايته آلاف المجاهدين حول العالم يمارسون الجهاد في سبيل الله في كل مكان .. وهو شاء من شاء وأبى من أبى من عظماء التاريخ الإنساني عامة والتاريخ الإسلامي خاصة ..

* على القادة المسلمين أن يدركوا أنهم لن يحصلوا على ما يريدون بمهاراتهم أو قدراتهم الشخصية ..ولكن .. بتوفيق الله لهم .. وأن توفيق الله يحققه عدة أمور منها: استحضار عظمة الله في وعيهم .. فكم هو الله عظيم وعزيز وقوي وقادر وكبير .. فهو العظيم العزيز فله ﷻ منتهى العظمة والعزة .. ولا كائن أي كان مهما بالغ البشر في وصفه يرقى لهيبته .. وهو القوي القادر فله ﷷ في علاه القوة والقدرة المطلقة .. فلا أحد مثله ولا قوة ولا قدرة مهما بلغت تنال من أمره أو ترد قضاءه .. وهو الكبير فالكون برمته وما فيه من حياة لا يعدو حلقة في فلاة مقارنة بكرسيه موضع قدمه جل وعلا .. وهو ﷻ فوق سمواته على عرشه بائن من خلقه الملك المالك .. المتصرف في خلقه وما دونه أسماء لا تعدو قدرها ..

وانكسار القلب وإذعانه لله .. لهذه العظمة والعزة والقوة والقدرة .. لهذا الكبير ﷻ .. فترضى به ﷻ رباً .. وبالإسلام ديناً .. وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً .. فتعمل وفق مراده .. وحسب شريعته .. في نفسها أولاً .. قلبٌ يحذر الآخرة

[13] استشهد للشيخ أسامة بن لادن ولدين "سعد وخالد" كما أن ولده "علي" مسجوناً لدى السلطات السعودية .. وكان سعد رحمه الله يراسلني مطالباً وبإلحاح أن يقوم بعملية استشهادية ضد الأمريكان .. أما خالد فقد استشهد مع والده رحمهم الله جميعاً ..

ويرجو رحمة ربه .. قال تعالى { أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاء اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ {٩} الزمر .. فإذا انكسر القلب لانت الجوارح .. فتلتزم حدوده .. وتأتمر بأمره .. وتنتهي بنواهيه .. فتنصر دين الله لله .. لا لتحقق أمجاد شخصية .. ولا لنيل مكاسب دنيوية .. فالآخرة نصب أعينهم .. والطريق إلى الجنة يسبقه المرور على الصراط المنصوب على النار .. فمن مر عليه فقد نجا .. ومن هوى فقد هلك .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

والشفقة على الخلق والرحمة بالمسلمين .. فمما تُورثه عظمة الله سبحانه وتعالى في قلب المسلم التواضع ولين الجانب .. والإحساس بآلام الخلق ومعاناتهم .. وباحتياجاتهم .. فيكون لرعيته كالأب الحاني والأخ المشفق والابن البار .. وهو كالطبيب المداوي يضع البلسم في موضعه والمشرط في مكانه .. والمهندس الواعي يخط لهم ما يصلح دنياهم ..والمحاسب الماهر الذي يحفظ حقوقهم ويصون أموالهم .. والناسك الذي يصف قدميه ليلاً ليدعوا للخلق بالهداية .. والمجاهد الذي يرص قدميه نهاراً في صفوف المجاهدين ليحقق لأمته النصر والتوفيق .. فمهمة المسلم دعوة الخلق للدين لا السعي لإدخالهم النار .. فرحمة الله واسعة .. وباب التوبة مفتوح .. ولا يملك مفاتيح الجنة إلا الله .. والعباد عليهم الدعوة وليس عليهم الحساب .. قال تعالى { لَقَدْ جَاءكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ {١٢٨} التوبة ..

والزهد في الدنيا والترفع عن الشهوات وتذكر الأخرة .. فما عند الله خيرٌ وأبقى .. وما كان من الدنيا فهو منها .. وما كان للأخرة فهو به أولى .. الورع يحفظ الدين .. فليحرص على الزهد بما في يد الناس .. كل الناس .. ويحثهم

على الزهد .. يذكرهم بالله وبموعود الله .. يحصنهم من الشبهات ويحفظهم من الشهوات .. وليدخر ما يجده يوم ينحط مع الأموات .. فما تركته خلفك لن تأمن عاقبته .. فنحن من التراب وإلى التراب ندفن فيه .. ومهما طال به الزمان وانفسح اجتهد في أن ينفسح قبره .. قيل لنوح عليه السلام "يا أطول النبيين عمراً كيف وجدت الدنيا؟ قال: كدار ذات بابين دخلت من باب وخرجت من باب" .. وقالت عائشةَ رضيَ الله عنها: «تُوُفِّيَ رسول الله ﷺ ودِرعهُ مَرهونةٌ عندَ يهوديّ بثلاثينَ صاعاً من شعيرٍ» .. رواه البخاري ..

* ختاماً أنصح القيادات أن يحافظوا على روحانياتهم مرتفعة .. فالحرب وقسوتها وما فيها من ابتلاءات تؤثر سلباً وإيجاباً في المعنويات والروحانيات .. ومما يفيد القادة في هذا الباب الاطلاع على قصص الوافدين الجدد إلى الإسلام .. ففي قصة إسلامهم استعراض لمشاعر وأحاسيس ترق لها النفس ويخضع لها العقل .. وتجدد الإيمان في القلب .. ومن فوائدها أيضاً إدراك مدى التقصير في ممارسة الدعوة في بلاد العالم أجمع .. فكثير منهم التفت إلى الدين بعد الحادي عشر من سبتمبر .. وكثير ممن آمن دخل في الإسلام بمجرد أن بدأ يدرسه من أجل أن ينقضه .. إلا أن الإيمان تمكن من قلوبهم .. وأسرهم الإسلام بدقة منطقه وصدق لهجته وحلاوة نظمه .. والعجيب أن منهم من إذا سمع الآذان تأثر به أشد التأثير ولربما انحدرت دموعه على خده .. وهذا فيه فائدة جميلة أخرى إذ تجعل عدائنا لهم منضبط .. وعند قتالهم نقاتلهم وحرصنا على إدخالهم في الدين أكبر من رغبتنا في قتلهم ..

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما: عن سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللّهِ ﷺ قَالَ يَوْمَ خَيْبَرَ: «لأُعْطِيَنَّ هذِهِ الرَّايَةَ رَجُلاً يَفْتَحُ اللّهُ عَلَى يَدَيْهِ .. يُحِبُّ اللّهَ وَرَسُولَهُ .. وَيُحِبُّهُ اللّهُ وَرَسُولُهُ» قَالَ: فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ

يُعْطَاهَا .. قَالَ: فَلَمَّا أَصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رَسُولِ اللّهِ .. كُلُّهُمْ يَرْجُونَ أَنْ يُعْطَاهَا .. فَقَالَ: «أَيْنَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ؟» فَقَالُوا: هُوَ يَا رَسُولَ اللّهِ يَشْتَكِي عَيْنَيْهِ .. قَالَ: فَأَرْسِلُوا إِلَيْهِ .. فَأُتِيَ بِهِ .. فَبَصَقَ رَسُولُ اللّهِ فِي عَيْنَيْهِ .. وَدَعَا لَهُ فَبَرَأَ .. حَتَّى كَأَنْ لَمْ يَكُنْ بِهِ وَجَعٌ .. فَأَعْطَاهُ الرَّايَةَ .. فَقَالَ عَلِيٌّ: يَا رَسُولَ اللّهِ أُقَاتِلُهُمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا .. فَقَالَ: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ .. حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ .. ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإِسْلاَمِ .. وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللّهِ فِيهِ .. فَوَاللّهِ لأَنْ يَهْدِيَ اللّهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

***

خامساً الحرب

فشا الظلم وتجبر الظالم .. وأغلقت كل الأبواب وتحول الحوار إلى قمع .. وتحطم أمن وسلام المجتمع على صخرة القهر .. وأصبحت النوافذ الشرعية (بمفهومها السياسي) مجرد عبث لاستهلاك الوقت .. والكلام عن الإصلاحات لا يصاحبه عمل .. ولا ضمانات لجدية أي برنامج .. والقانون هو ما تقوله الحكومة .. وأصبحت قيمة البشر لا تعني شيئاً للطغمة الحاكمة .. واستنفدت كل وسائل الكفاح السلمي .. إذ لا يوجد أمل لدى العصابات بالحصول على التأييد الشعبي إلا بعد استنفاذ كل الحلول المشروعة .. هنا فقط لم يعد هناك إلا مسار واحد ينطلق الشعب فيه .. إنها الثورة .. والثورة المسلحة ..

ومن تعريفات الحرب أنها امتداد للسياسة بوسائل عنيفة .. ومنها حرب العصابات أيضاً .. وهي النوع الملائم والتي يمكن لشعب أعزل أو ضعيف التسليح (مرحلياً) أن يبدأ الانطلاقة العسكرية ضد قوات مسلحة قوية (مرحلياً) .. فإستراتيجية حرب العصابات وتكتيكاتها تنسجم مع الطبيعة البشرية المحبطة والمقهورة .. وطول مدتها تساعد في استكمال التحضيرات المطلوبة للبناء والتنمية للحسم .. وما هو مطلوب من دعم أو مواقف خارجية يحتاج إلى وقت لإكمال الإنضاج .. والآثار الناجمة عن هكذا حرب لا يقوى على تحملها إلا شعب ينشد الخلاص ..

انتهى الاستعمار بشكله القديم إلى حد كبير وغدت كل الدول مستقلة .. لكنه استقلال زائف .. إن فرض السيطرة الأجنبية السياسية والاقتصادية على دولة ما دون الاعتماد على الاحتلال العسكري مع الاعتراف باستقلالها وسيادتها .. مع استخدام تدابير ووسائل تلبي أطماع الأجنبي يتحاشى بها

المعارضة الشعبية والرأي العام العالمي .. مثل الاتفاقيات الدفاعية وإقامة القواعد العسكرية .. وتكبيل الدولة النامية بشروط تحرمها من حرية التصرف في مواردها .. وغيرها من الاتفاقات الثنائية .. هذا ما يسمى اليوم بالاستعمار الحديث ..

وهذا الاستعمار الحديث يدار من خلال شركات الأموال عابرة القارات .. إن أصحاب الأموال المهولة هم الذين يوجهون الساسة والجيوش حيث تكمن الثروات .. ولا اعتبار لديهم إلا للعائد المادي دون الالتفات لحق أصحاب الأرض .. فهم إما عبيد لاستخراج الثروات أو أسواق لاستهلاك المنتجات أو مصنع بشري لقطع الغيار البشرية أو كتل بشرية لا تستحق الحياة .. وقد تمادى البعض في غيه حتى قال أن عليهم احتلال الأراضي ذات الثروات التي تحت يد شعوب نامية لتصحيح خطأ الرب .. تعالى الله عما يقولون .. ولكنه الجشع في أبشع صوره .. إنها فلسفة الرجل الأبيض .. المستقر في شمال الكوكب ..

وأعداء اليوم للشعب في الجوهر لم يختلفوا عن السابق ولكن زادوا وتنوعوا .. ففي السابق كان الاستعمار أو ملك مستبد أو حاكم ظالم أما اليوم فهم على أربعة أقسام: أصحاب الأموال عابرة القارات .. الاستعمار الخفي .. وجيران سوء في الدائرة الإقليمية يخشون امتداد الحرب لأراضيهم أو ثورة شعوبهم عليهم أو لهم نفس أيدلوجية النظام الحاكم .. عناصر متنوعة تمثل النظام الحاكم الموالي للاستعمار الخفي .. ومن عناصره المتآمرة على الشعب لصالح الاستعمار الحديث: الحاكم الظالم .. المجموعة العلمانية .. قيادة المؤسسة العسكرية (قيادة الجيش) ..مؤسسات القمع الداخلي (وزارة الداخلية وأمن الدولة) .. القضاء

والنيابة .. المؤسسات الدينية (الكنيسة والأزهر) .. إعلام الدولة والإعلام الخاص .. مؤسسة السينما .. رجال الأعمال ..

من المهم أن ننوه أن الولايات المتحدة الأمريكية قد دربت عشرة آلاف (١٠٠٠٠) ضابط من الجيش المصري .. هم الذين يتولون الصدارة اليوم في مصر .. في كافة المناصب الكبرى في كافة المحافظات .. وهم الذين يتلقون الرشاوى[١٤] من رجال الأعمال من كل مكان .. من أجل حماية مصالحهم حتى لو أبيد الشعب المصري .. من هنا نفهم أمرين الأول: لماذا كل هذه القسوة التي يعامل بها الشعب في مصر .. فهؤلاء الضباط رضعوا من أمريكا حتى طفحوا بالفساد .. باعوا دينهم مقابل شهواتهم .. وعاشوا خداماً من أجل دنيا الأمريكان .. فلا الدنيا طالوا وإن شاء الله لا ينالوا من الآخرة إلا جهنم وبئس المصير .. قاتلهم الله .. والثاني: لماذا يكره العالم الإسلامي وغيرهم أمريكا شعباً وحكومة .. أما الحكومة والرئيس الأمريكي خاصة فهم كلاب رجال الأعمال المتخمين .. والكونجرس بشقيه هم عمال النظافة الذين ينظفون خلف قادتهم .. أما الشعب الأمريكي فبدلاً من أن يتشدق بالكلمات الجوفاء وقد أصيب بالتخمة من لحوم المسلمين وغيرهم من بني آدم في أمريكا الجنوبية .. عليه أن يواجه حكومته المجرمة .. لا يوجد اليوم في العالم مكان تسفك فيه دماء البشر أي ما يكون جنسهم أو لونهم أو ديانتهم إلا وكان الأمريكان شعباً وحكومة وراء ذلك .. ومن ورائهم شركات الأموال ورجال الأعمال .. قاتلهم الله جميعا .. وهناك قلة قليلة من الشعب ترفض سياسة الدولة وهم يكتفون بالتعبير عن رأيهم بالتظاهرات وبردود فعل سلبية لا تناسب الاعتداءات ولا تؤثر في القرارات ..

---

[١٤] يعتقد البعض أن الرشاوى واحد من عدة عوامل ضغط أخرى كملفات الفضائح الأخلاقية وحقيقة انتمائهم وولائهم للماسونية ..

فأصحاب الأموال ودولة الاستعمار ودول الإقليم وعناصر النظام .. يتآمرون على سرقة ثرواتهم .. وعقولهم .. وقطعاً من أجسادهم .. ويهلكون أرواحهم .. إنهم يدمرون الحياة .. وعلى الباغي تدور الدوائر ..

لطالما كان ومازال الإسلام قادراً على رعاية البشرية .. لا أقصد الهداية والعبادة فقط .. ولكن التعايش بين البشر والتعامل بينهم ورعاية وصيانة حقوق الجميع إن أرادوا حقاً الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية .. الإسلام دواء القلوب والأبدان والأرواح والأموال .. وكان من الممكن أن يجد كبار رجال المال في العالم فيه سلواهم وسعادتهم .. ولكنهم أغلقوا قلوبهم على ما فيها من جشع وعشق للسلطة .. ولم يَسمحوا أن يدخل الإسلام إليها .. والحقيقة لم يأذن الله .. وختم عليها فلا الجشع خارج منها ولا الهداية واردة فيه إلا أن يشاء سبحانه أمر أخر .. فالمعروف ما أشبع جشعهم والمنكر ما أفسد لذتهم .. والخير إذا كان الحكم لهم والشر إن كان لسواهم .. ومن هنا نفهم تماماً حرصهم على الحياة وتمسكهم بها ودفاعهم عنها ومص دماء من سواهم واستعباد من قدروا عليه .. ومن هنا أيضا ندرك لماذا عبدوا المادة واتبعوا شهواتهم وأنكروا الحق ولاذوا بالضلال .. واحترموا القوي وأرادوه واحتقروا الضعيف وطردوه .. واجتهدوا في أن يتبعهم الآخرون حذو القذة بالقذة .. ونعي تماماً لما يسرقون دماء وأعضاء البسطاء في مجاهل أفريقيا .. إنهم لا يؤمنون بالله الخالق ولا بالحياة الآخرة .. إنهم يؤمنون بالقوة المحضة وحب السلطة .. إنهم لا يؤمنون إلا بالمال وإشباع الشهوات والرغبات .. وعلى الرغم من حبهم للحياة إلا أنهم يكرهونها لغيرهم وما الحياة عندهم إلا صراع على ما سلف .. لا حوار .. لا تبادل سلمي للسلطة .. لا منافسة على الكرسي .. لا مسابقات سياسية أو أوهام .. ودون ذلك مفاوز وصعاب .. والعجيب أن من يسمحون له بالانضمام إليهم ينقلون له

دائهم بمهارة فيصبح مثلهم تماماً عاشقاً لمص الدماء البشرية .. وكأنهم (عضوه) وانتقلت له العدوى .. ومن هنا كذلك نعرف الدور الذي يجب أن تلعبه حكومة الولايات المتحدة وكلبها الرئاسي من أجل حراستهم والحفاظ على مكتسباتهم .. من هنا أيضاً ندرك ما يفعله أمثال آل سعود والسيسي وغيرهم من حكام المسلمين والدول النامية .. فالجميع (معضوض) .. ومن هنا أيضاً نعرف قائمة الأعداء ونعرف كيف يكون التعامل معهم .. إنها الحرب والصراع ولا شيء غيرهما ..

وعلى الشعب الواعي وقيادة العصابات التعرف بدقة على قائمة الأعداء قبل القيام بأي عمل .. وحينما تستقر القائمة يبقى في ذهن العصابات احتمالية وجود عدو غير ظاهر .. الإستراتيجية يجب أن توضح أسلوب العمل مع كل فريق .. التدابير والتوقيتات التي تضعها العصابات للعمل على كل نوع من الأعداء تؤهلها للنجاح في الحرب .. فالعدو الذي تردعه الكلمة لا يستخدم ضده الدبابة .. والعدو الذي يستحق الإبادة لا تصلحه الكلمات ..

لنجاح الحرب يجب على العصابات العمل على تحقيق عدة عناصر:

١- العمل على توحيد الجبهة الداخلية ضد العدو .. وتشكيل مؤسسة سياسية وإعلامية تعبرا عن العصابات .. وفي قناعاتي لا يصح التفاهم وفق سياسة الحد الأدنى إذا كانت الجبهة الداخلية متنوعة الأيدلوجيات .. فإن جمعتهم المصلحة الوطنية اليوم فغداً وقبل الحسم ستفرقهم عقائدهم .. وبالتالي فكل الفصائل المؤدلجة يجب أن تجتمع على الشكل النهائي لما هو قادم .. ويعرف كل فصيل ما هو له وما لغيره .. إن سياسة الحد الأدنى (أحياناً) تصلح داخل الأيدلوجية الواحدة لتجاوز التناقضات الشخصية

أو الثانوية في سبيل الصراع لحل التناقضات الرئيسية مع العدو .. قد يخالفني البعض ولكن ما حدث للانتفاضة المصرية من فشل كان من أهم عوامله الاختلاف الأيدلوجي بين الثوار وجشع كل فريق لأخذ ما هو له وما لغيره .. أما طول فترة الحرب فقد تكون عامل مساعد لهذه التسوية .. وقد لا .. وعموما جرت العادة في الحرب أن يتغاضى عن كثير من الإشكاليات التنظيمية والسياسية طالما تسير التصرفات في اتجاه المصلحة العامة .. وبالتالي تتحول عند الحسم إلى حرب على المكاسب بين شركاء الأمس ..

٢- إعداد جهاز سياسي أشبه بوزارة الخارجية تتحرك باسم العصابات على المستوى الدولي .. يعرض القضية وعدالتها .. يعمل على تحييد عناصر عن العدو واستقطاب آخرين للقضية .. يحاول الحصول على أسلحة وتمويل وخدمات طبية ...الخ مما هو مطلوب منه ومن العالم .. طمأنة دول الجوار التي تشترك معهم في الأيدلوجية .. وإذا كانت الحرب إسلامية فعليه أن يوجه جهده للشعوب الإسلامية ورجال الأعمال والتجار والعلماء المسلمون .. وأن يكون في منتهى الحرص من الحكومات التي تحكم المسلمين فقد يتفقوا في هزيمة العدو .. ولكنهم لن يستكملوا مسيرة الحرب هذا ما حدث في أفغانستان وما سيحدث في سوريا وغيرها .. وسيقف دعمهم حال ضعف العدو الذي جمعهم ..

٣- تنظيم الشعب في إطار ثورة جماهيرية تشمل القطاعات المختلفة في البلاد من أقصاها إلي أقصاها .. تعمل على نصرة العصابات .. ودعمهم وإحياء قضيتهم .. والمحافظة على تواجدهم حياً في المجتمع .. فأخطر شيء على العصابات هو العزلة العسكرية والسياسية ..

هذه الحرب تكون في **أربعة ميادين:**

أ- تنطلق من المناطق الوعرة والأطراف ..وهذه تخضع لتكتيكات القوات الخاصة .. بعقيدة العصابات

ب- عمليات في المدن .. وتخضع لقيادة أمنية .. أي إدارة العمليات العسكرية بعقلية أمنية .. نظراً لكثافة التواجد الأمني والمخابراتي للنظام داخل المدن ..

ج- عمليات على أرض دولة الاحتلال أو في دولة الحليف المعادي .. فنقل الصراع إلى أرضهم وتحميلهم جزء من خسائر البنية التحتية أو في مواردهم البشرية .. يمثل دعاية قوية للحرب .. وتذيقهم الشر الذي حملوه لغيرهم .. وتثير غضب ونقمة شعوبهم على القياد السياسية للبلاد .. وبقدرٍ ما تدعم رأي رافضي الاحتلال من السياسيين وشعب العدو ..

د- عمليات حول العالم لضرب مصالح المحتل أو الحليف المعادي .. يمكن شرح البند في ضوء العمليات النوعية للقاعدة ضد الأمريكان ..فقد قدمت القاعدة نموذجاً مثالياً لهذا النوع من العمليات في الميادين المتاحة فضربت على الأرض ومن السماء وفي البحر .. بمعنى لا مكان آمن لمصالح العدو .. كما ضربت أهداف سياسية وعسكرية واقتصادية .. أي الرفض التام لسياسة العدو وسرقاته وإذلال لمؤسسته العسكرية .. كما ضربته على أرضه وحول العالم حيث تسير مصالحه .. ومصالح حلفاؤه ..

تنظيم العصابات:

يخضع تنظيم قوات العصابات لإملاءات الزمان والأرض .. فليس هناك تنظيم يناسب العصابات من النشأة إلى الحسم .. ولكن هناك مراحل زمنية تتعلق بقوة العصابات وضعف العدو والسيطرة على الأرض .. في المرحلة الأولى من الحرب تكون الوحدة الأساسية هي الجماعات والفصائل

.. ثم تتطور إلى السرايا والكتائب .. هناك عصابات تمكنت من تشكيل ألوية وفرق في يوغسلافيا .. وفي الحرب الصينية وصلت لتشكيل فيلق وجيش .. ونتوسع في هذه النقاط عند الكلام في الإستراتيجية والتكتيك ..

أيضاً يختلف شكل العصابات بحسب من يقودها أو أنشأها .. أو الدور المنوط بها بالنسبة لعملها مع الجيش النظامي في حالة مواجهة عدو محتل .. أو انقسام الجيش بين مؤيد للحاكم المستبد ومؤيد للشعب المتمرد كما في الحرب السورية ضد نظام بشار الأسد .. (عصابات ملحقة بالجيش .. عصابات تتعاون مع الجيش .. عصابات تقاتل مستقلة عن الجيش) .. كما يؤثر في شكلها طبيعة القيادة المسيطرة علي العصابات (عصابات يقودها الإسلاميون .. عصابات يقودها سياسيون .. عصابات يقودها عسكريون .. عصابات يقودها جهازان أحدهما سياسي والآخر عسكري) ..

قاعدة: ليس بالضرورة أن تكون العصابات متعاونة في الحرب مع الجيش .. فربما تقوم أصلاً ضد الجيش[١٥] .. وربما في المستقبل القريب نرى هذا الانقسام واضحاً في مصر .. خاصة عندما رفض الجيش ثورة الشعب والتي تعرضت لمكتسباته الاقتصادية التي استولى عليها منذ أكثر من ستين عاماً .. وهان عليه دم الشعب في مقابل أن تتملك وتتوارث قيادة الجيش الثروة في مصر ..

---

[١٥] من الغريب والعجيب في هذا الزمان أن يتغير ولاء الجيش ضد شعبه ويتحول إلى ولاء ذاتي من أجل مكتسباته الاقتصادية .. فالشعب هو الذي مول المؤسسات التعليمية من المرحلة الابتدائية إلى الأكاديميات العسكرية .. والشعب هو الذي تحمل بما يدفعه من ضرائب إرسالهم إلى بعثات دراسية تكميلية في الخارج .. والشعب هو الذي تحمل فشلهم في المعارك والحروب وقدم من أبنائه الملايين .. والشعب هو الذي تحمل سقطاتهم السياسية وصبر على جهلهم وتعدياتهم .. وكان عاقبة الشعب أن حرموه من العيش الهانئ والكريم .. وبدلاً من أن يكونوا صمام الأمن لحماية شعوبهم وحراستهم وخدمتهم إذا بهم يحولونه لخادم ذليل من أجل إشباع رغباتهم .. وتوارثوا إذلال الشعوب وامتهان كرامتهم لا لشيء إلا خدمة طبقة الإقطاع الجديدة أو الانكشارية الجديدة التي تنكرت لفضل شعبها عليها واستعبدته .. إنها طبقة جنرالات الجيش .. هذا السمة تبدوا سمة جيوش هذه المرحلة من الزمان .. فهي في باكستان وتركيا وحتى في الولايات المتحدة الأمريكية ..

قاعدة: تنظيم التشكيلات العسكرية الكبرى لا يعني أن العصابات ستقاتل بها دائماً .. ولكن من المفيد أن نقول بأن هذا الخيار متوفر إذا ناسبته المعركة .. كما يمكنها تقسيمها لوحدات صغرى والعمل بها ..

قاعدة: تقسم العصابات البلاد وفق برنامجها العسكري والسياسي إلى مناطق عمل لا ترتبط بالتقسيم الإداري للدولة .. ولكن ترتبط بإمكانات العصابات وقبولها في المناطق التي تزيد تدريجياً .. يكون في كل منطقة أركانها العسكرية وأجهزتها الإدارية والدعائية لإدارة المنطقة أثناء وبعد الصراع ..

قاعدة: العمليات العسكرية في المناطق الوعرة وعلى المؤخرات تخضع للمبادئ العسكرية .. العمليات في المدن والريف تخضع للمبادئ الأمنية ..

قاعدة: في القصاص وفق التشريع السماوي في التوراة والقرآن: قال تعالى { وَكَتَبْنَا عَلَيْهِمْ فِيهَا أَنَّ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالأَنفَ بِالأَنفِ وَالأُذُنَ بِالأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ فَمَن تَصَدَّقَ بِهِ فَهُوَ كَفَّارَةٌ لَّهُ وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ {٤٥} المائدة .. أي أن على العصابات أن تكون حازمة في تعاملها مع قادة العدو وغيرهم من المجرمين والجواسيس ..

قاعدة: إن نصراً عسكرياً على حرب عصابات حقيقية يبقى مشكوكاً فيه .. إلا إذا لجأت الحكومات العميلة ومن يدعمها إلى الإبادة الجماعية .. كما فعل الأمريكان بالهنود الحمر أو في دول أمريكا اللاتينية ..

***

سادساً: الثائر العقائدي

أخطر ما في العصابات هو عنصرها الثائر العقائدي .. فعقيدته لا تخلقها الأحداث إنما تجددها وتصقلها وتؤكد على ثوابتها .. ومن أهم ثوابتها أن لا تعايش بين منهجين بوئام .. إلا أن يخضع أحدها للآخر إذعاناً أو استعباداً .. أما بديل الخضوع فهو الإبادة أو الهجرة (الهروب) .. ولهذا فالمسلم الواعي صاحب الإرادة هو العنصر الأخطر والأقوى على أعداء الله والدين ومغتصبي الثروات والأراضي ..

وتبدأ توعية الثائر العقائدي شرعياً وسياسياً قبل وأثناء وبعد عملية الإعداد العسكري .. ولا شك أن دراسة تاريخ أمته ومن جاورها وتاريخ الحروب والصراعات من أهم دروس الإعداد النفسي للثائر .. والتي يمكن تلقيها خلال مسيرته الجهادية .. كما أن ربطه بالواقع وإدراكه لماذا يصارع؟ ومن يصارع؟ وتحت أي لواء يصارع؟ هذه الأجوبة تنضج له قدراته فيدرك حقيقة الصراع .. وتنمي فيه روح الصراع فيقاتل ويحافظ على بقاء فكره ومنهجه .. ولذا فإنه لا يعتبر مجرد مهندس أو طبيب أو مثقف أو فلاح أو عامل أو تاجر أو طالب مسلح .. ولكنه يعتبر قوة عقائدية مسلحة .. واعية بمهمتها .. وعدالة قضيتها التي تقاتل من اجلها .. ومستعدة للتضحية في سبيلها .. ولا تعني التضحية هنا استعداد الثائر العقائدي للتضحية بحياته فحسب .. ولكنها تعني أيضا استعداده لتحمل تكاليف الحرب اليومية من .. مسيرات طويلة .. حرمان من العناية الطبية .. حرمان من الغذاء .. والملبس .. والراحة ...الخ .. وهذا هو الإعداد العقائدي للثائر .. ويكتسب خبرته وتتطور مهارته من خلال التربية (النظرية) والجهاد (التطبيق) .. فيكون قلعة حصينة تُرمَى فلا تهتز وتَقْصف فتدك ..

الثائر العقائدي يتفاعل مع الأحداث (المناخ السياسي الذي تصبح فيه الثورة ممكنة) فتحرره وتطلق إرادته .. فيسهل عليه تقبل التضحية والفداء من أجل ألا تعاني الأجيال القادمة مما لاقاه .. وأن تحيى في كرامة وعزة وفق معتقداتها .. وفي الإسلام يستعذب المجاهد أن يقتل في سبيل الله إما دفاعاً عن مقاصد الشريعة (حفظ الدين والعقل والنفس والعرض والمال) .. أو نشراً له من أجل أن ينقذ البشر من الضلال وأن يسوق من نجا إلى مراد الله .. وهو التوحيد .. لينال رضا لله .. وأما الثمرة فهي الجنة ..

ولهذا عني الإسلام ببناء الفرد أيما اعتناء .. وعمل على أن يتشرب عقيدته ودعوتها .. وأن يفقه حقيقتها ومقاصدها .. وأن يتحرك بها في كوكب الأرض دعوة وجهاداً .. دعوة بالقول والعمل .. وجهاداً بالتحريض والقتال .. هدفه إما الدفاع عن مقاصد الشريعة .. أو انتشال الغارقين في الضلال لهداية الإسلام ..

ومما فقهه الثائر المسلم هدف الرسالة السماوية[١٦] .. فلم يكن هدف الإسلام سرقة الثروات واستعباد البشر أو إبادتهم .. وإنما هدفت إلى: { توحيد الخالق وإفراده بالعبادة .. سياسة الدنيا بإقامة العدل والتكافل بين بني آدم .. حراسة وجودهم وتأمين انطلاقتهم .. لتحرير العقل برفع الضغوط والحجب عنه لتمكينه من الاختيار .. وتأمين العقول المسلمة من سلبها فكريا أو حسيا .. وعمارة الأرض باستثمار نعم الله في الكوكب على أحسن وجه ممكن } .. إن هذه الأهداف جاءت لتحقق السعادة للبشرية ولضمان أمنها ولرفعة درجتها ولكرامة عيشها ولعدالة اجتماعها .. وعزة لحياتها .. ولهذا حظيت الفتوحات[١٧] الإسلامية بقبول تام لدى القلوب

[١٦] راجع محاضرة الاستراتيجية في الجزء الثاني من كتاب الصراع ..
[١٧] لقد أطلق بعض المنصفين الغربيين على الفاتحين المسلمين لقب (الفاتح الرحيم) ..

الطاهرة .. وكانت خيراً وبركة على الأرض .. ولم يشهد التاريخ إندفاعة للبشر نحو اعتناق معتقد جديد مثلها ..

كما أدرك المقاتل المسلم أن ما يحدث على أرضه من اقتتال .. هو موجها بالدرجة الأولى للدين .. لأن الإسلام هو الجندي الأول للدفاع عنا وعن مقدراتنا وموروثاتنا .. ولهذا يعمد الغرب لتغريب أبنائنا .. وقد شرع في ذلك بهدوء منذ قرنين .. واليوم بشراسة يهاجم فقد ظهر حديثا من بعض الذين ولدوا لأبوين مسلمين[١٨] .. وتأسسوا على التربية الغربية سواء في مدارس على أرضنا أو من خلال بعثات علمية في الغرب أو الشرق على السواء .. وعادوا وقد تلف رشدهم لظنهم أن العائق أمام التقدم هو الإسلام .. وليس الاستعمار الحقيقي والسياسي الاقتصادي وشروطه المجحفة التي ترزح تحت نيرها الأمة .. الإسلام عائق فقط أمام الشهوات المحرمة .. ولم يكن عائقاً أبداً أمام التقدم العلمي .. بل الإسلام هو الرائد لعصر النهضة في العالم كله .. الإسلام هو الذي حرر أوروبا من الانتكاسات الكنسية .. الإسلام هو الذي حرر العقل من القيود والحجب وجعله ينطلق بلا حدود ليعمر الأرض وليجتهد فيها .. حدث هذا من خلال دخول الإسلام إلى أراضيها أو بجوارها لأرض المسلمين أو باحتكاكهم بالمسلمين تجارة وحربا .. وحتى سياحة واستكشافاً ..

واليوم يعقل المجاهد أن من واجباتنا أن نُفهم هذه الشريحة التي تأثرت بالغرب والشرق لنعيدها إلى الإسلام وقيمه .. وعلينا أيضاً أن نخرج بدعوتنا إلى العالم الشرقي والغربي لإنقاذهم من هذه الانتكاسة المادية وإعادة

---

[١٨] يوجد الآن بالولايات المتحدة الأمريكية!! قرابة (٥٠.٠٠٠) طالب من أبناء المسلمين أرسلتهم السعودية إلى الدراسة فيها؟!! ..

الروح للعالم وربطهم بالله مرة أخرى .. وهذا هو عمل الدعوة والدعاة في الأرض كل الأرض ..

والعصابات المسلمة تعلمت أن واجبها تجاه ميادين القهر والظلم واغتصاب الثروات هو تحرير الأرض من رجسهم باستخدام القوة .. القوة ضد القوة .. والقوة تعني كل القوة الممكنة التي وصلت لها التقنية اليوم أو غداً .. وأنه لا سبيل لمواجهة الكثير من الأشرار في العالم إلا بكل أنواع القوة ليرتدعوا .. نستخدم القوة في الميادين التي غزونا فيها أو على أرضهم وفي عقر دارهم .. وحينما نقول باستخدام القوة نعني ما نقصده .. فالتهديد اللفظي لا معنى له ما لم يذوق الأشرار القوة ويعيشون في آثارها .. حينها يدرك الأعداء جديتنا ويطمعوا في رحمة ديننا .. وكما تهدي الدعوة الناس .. تهدي القوة أكثر حينما ترفع عن العقول الضالة كل الحجب والأغطية السياسية التي تعيق رؤيتها .. فيمكن لهم وقتها الاختيار بين الحق أو الباطل بلا مؤثرات تعيق عقولهم أو حجب تمنعهم من حسن الإدراك ..

من أهم أسلحة مقاتل العصابات السلاح الإعلامي .. وهو ما توفر في هذا العصر بشكل لم يسبق له مثيل .. فاليوم بعد العقد الأول من هذا القرن .. بسبب وسائل الاتصالات الحديثة تحول كل مواطن تقريباً على كوكب الأرض إلى إعلامي .. أما الشبكة العنكبوتية فقد أصبحت منبراً إعلامياً خارجاً عن سلطة قوى الطغيان .. ثم وكالات الأنباء العالمية والفضائيات الخاصة التي تنقل الحدث لحظة بلحظة .. فأصبح يستحيل عزل أي حركة أو تيار عن البشرية جمعاء .. وما أخفته قديماً أنظمة البطش والقهر وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية ودول أوروبا الاستعمارية خاصة فرنسا

وبريطانيا .. لم يعد هناك مجال لإخفائه .. وإن شئت لقلت أنه يجب ستر ما يتعلق بالآداب العامة ..

لقد كانت التربية العسكرية المؤدلجة في الدولة العثمانية للمجموعات الانكشارية نموذجاً جيداً مع افتقاره للصحة الشرعية وافتقاده إلى المثالية[١٩] .. ولهذا يجب تربية جيوش الأمة الإسلامية وفق الهدي الرباني من تمسك بالعقيدة وإحسان في العبادة وتزكية للروح .. وتنمية للعقل وتهذيب للجسم وسمو في الأخلاق .. فإن كان هذا سمتهم في كافة التخصصات التي تقيم الدنيا .. فإننا نصل بهم ليكونوا رهباناً بالليل .. فرساناً بالنهار .. ملوك الدار الآخرة .. كما قال أبو حامد الغزالي رحمه الله ..

إن قيمة الدولة السياسية وقوتها في الدول غير الإسلامية ترتكز على علاقة ثنائية (قوة الاقتصاد + القوة التسليح) وهي علاقة لا يستقر عليها بنيان .. هذه الدول قابلة للسقوط والتداعي مع الاهتزاز المناسب .. والإمبراطوريات التي التصقت بها سرعان ما ذبلت وتداعت خلال عدة عقود من الزمن ..

أما في الدولة الإسلامية فإن قوتها وقوة بنيانها نابعة من اتصالها السماوي الذي أرسى لها أربعة أركان تقيم بنيانها عليه (الرسالة "عقيدة وعبادة" + الإنسان "روحا وجسد" + الاقتصاد "اكتساباً وإنفاقاً" + التسليح "تملكاً واستخداماً") على هذه الأعمدة الأربعة انتصبت دولة الإسلام ونشرت حضارتها لتنهل أمم المعمورة من عبقها .. ودامت لقرون عديدة ومازالت إلى

[١٩] منهج التربية اتسم بالنزعة الإسلامية الصوفية بما فيها من انحرافات بعيدة عن الأصول الإسلامية .. أما منهج التعامل فقد ولد طبقة إقطاعية تتوارث قرى بمن عليها كما كان سائداً في أوروبا .. مما جعلها تطمع في سياسة البلاد بما لديها من قوة عسكرية .. ولا بد من قيام التربية على نهج سليم عقدياً وأخلاقياً .. مع إتباع النهج الصحيح في مكافأة المقاتلين في قسمة الغنائم أو المنح .. بما يوافق المصلحة كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه في أرض السواد وغيرها ..

الوقت المعلوم .. وأبناؤها اليوم في حرب مقاومة شرسة ضد تحالف نكد لم يشهد الإسلام له مثيلا من قبل .. ففي الماضي القريب هدفت حملتهم للقضاء على الخلافة الإسلامية ومن ثم الدولة الإسلامية .. واليوم تهدف للقضاء على الفرد المسلم ومن ثم الإسلام[٢٠] .. من هنا تمثلت خطورة الثائر العقائدي المسلم .. لأن مهمته هي إفساد مخططات الأعداء والقضاء عليها وبناء أمته .. ومن ثم العمل على إعادة بني آدم لحاضنة الإسلام .. هذا هو البرنامج الذي يعيش له ..

من خصائص رجل العصابات:

١- (مقاتل عقائدي) .. همه الدفاع عن معتقده أو نشر هذا المعتقد .. و يزود عنه بكل قوة وفداء .. وهو يستخدم القتال كأداة للتحريض .. وهدفه الدائم رفع مستوى المشاركة الشعبية .. لتعم الثورة كل أنحاء البلاد وتقضي على النظام القائم ومؤسساته خاصة المؤسسة العسكرية ..

٢- (مبادر حليم) .. يمتلك مقاتل العصابات عنصر المبادأة .. فهو الذي يحدد زمان ومكان الهجوم .. ولا ينساق وراء حيل النظام للدخول في معركة لم يخطط لها .. ويلتزم بضبط النفس فلا يستفز فيستأصل ..

٣- (خفيف المحمل) .. الشؤون الإدارية لمقاتل العصابات سهلة وميسورة .. فهي لا تتجاوز وجبة طعام وسلاحه أو متفجراته .. بعكس خصمه العسكري .. الذي يعاني من ضخامة معداته .. وكثافة أعداد البشر القائمين على توفير الرعاية والخدمة الإدارية ..

---

[٢٠] هم لا يحاربون الإسلام صراحة حتى لا تتوحد الأمة عليهم .. ولكنهم احتالوا فقالوا نحارب بعض الناس أو الجماعات التي تحمل فكراً معيناً .. فقسموا المجتمع لجماعات .. وما أن ينتهوا من الجماعة الأكثر خطراً حتى ينتقلوا للتي تليها وهكذا .. وبهذا ينتهي الإسلام ولا يبقى إلا ما يمكن وضعه في متحف التاريخ .. وهو مشاهد اليوم أكثر من أي وقت مضى ..

٤- (حكيم) ..أهدافه متنوعة ومتعددة عادة ما يبدأ بأبسطها لاكتساب الجرأة والخبرة .. ثم يتدرج نحو الأكبر والأصعب بحسب كفاءته .. وتفضل دائما في البداية الأهداف ضعيفة الحراسة أو المتطرفة مكانياً ..

٥- (مناور) .. مقاتل العصابات لا يتشبث بالأرض في مرحلته الأولى فهو يغادر الميدان ويذوب في الشعب بعد تنفيذ هجومه مباشرة .. هذه المهارة "الذوبان" يجب أن يتقنها المجاهد خاصة في الهدي الظاهر بما لا يدل عليه.

٦- (خبير) .. يجتهد في المحافظة على بقاء عناصره على قيد الحياة لأطول فترة ممكنه .. لمزيد من النكاية في الأعداء .. وتشجيعا للمجاهدين مما يكسبهم أنصاراً ومحبين ومتعاونين بشكل مستمر .. والشهاد اصطفاء من المولى ﷻ ..

٧- على ثوار العصابات أن يفهموا المثاني في الصفات .. فالمثاني تكمل بعضها البعض .. وبها تكمل الشخصية القيادية .. وبفهمها يدرك كثير من الثوار ما قد تمارسه القيادة ويظنه الثائر تناقضاً أو ضعفاً .. ومن المثاني: الحزم من لوازم الحكمة .. والغضب من لوازم الحلم .. والعقاب من لوازم الرحمة .. والفطنة من لوازم الشجاعة .. والدهاء من لوازم السياسة .. والإثخان من لوازم النصر .. والعفو من لوازم التمكين ..

أقدم نموذج للثائر المبادر المقاتل المجاهد فرد العصابات المسلم .. المتفاعل مع قضيته ومن عبق الجهاد الأفغاني .. شاب مصري "جدع" من شباب الإسكندرية وحسب المفاهيم السلفية لم يكن ملتزماً ولكن متدين بالفطرة .. فأعجبته شجاعة الأفغان ودفاعهم عن دينهم وأرضهم .. فخرج من مصر غيرة على إخوانه في الدين ونصرة لهم .. نافس الأفغان في شجاعتهم وقد يطول المقام في سرد حكايات عبد الرحمن المصري رحمه الله

في أفغانستان .. وأورد منها قصة قد خطها هنا الشيخ أبو جهاد المصري أحد أفراد مجموعة عرب خوست .. فقال: لقد كان عنصراً نشطاً جدا ضمن مجموعة جهادية[٢١] شاركت لفترة طويلة في عملية حصار مدينة خوست وقد أخذت علي عاتقها ضرب مطار المدينة بالصواريخ حيث كان هو المنفذ الوحيد لإمداد حامية المدينة بكل احتياجاتها .. برعت هذه المجموعة في ابتكار الحيل والطرق لكي تظل تهدد مدرج المطار .. ولم تكن حامية المدينة تتواني أبداً في الرد علي مصدر النيران سواء بالمدفعية أو بطائرات الهيلوكبتر .. وكان لعبد الرحمن حيلاً كثيرةً نذكر منها واحدة بسيطة وناجعة حمل عبد الرحمن فانوساً .. (وقد كان مشهوراً عن المجاهدين استعمالهم لهذه الفوانيس للإضاءة في الجبال حتى أصبح رمزا للدلالة عليهم) .. صاحب عبد الرحمن " ولي خان " مجاهد أفغاني ربطته بعبد الرحمن صداقة خاصة وكان مكلفاً من قبل الشيخ جلال الدين حقاني بمرافقة مجموعة عرب خوست .. فتسللا عصراً مع دليل من المنطقة إلي تلة قريبة جداً من المدرج وربط الفانوس بالشجرة وتركاه للهواء يتلاعب به وبضوئه الهادئ .. وانسحبا .. وعندما دخل الظلام ظهر نور الفانوس فجن جنون العدو كيف اقترب المجاهدون إلي هذه الدرجة من المدرج .. استنفر العدو كل ما لديه من قوات وظل يطلق النيران بكل ما لدية من أسلحة .. ومن غروب الشمس إلى طلوعها .. وصمد الفانوس .. ولم يعير لهم انتباه .. وفي الجهة الأخرى وعلي قمة جبل شاهقة كان عبد الرحمن وباقي أفراد المجموعة .. يقضون أمسية بديعة طال سمرها حتى

---

[٢١] مجموعة عرب خوست تشكلت عام ١٩٨٤ قبل إنشاء تنظيم القاعدة وأيضاً قبل وصول أي جماعة جهادية للعرب في باكستان أو بشاور .. أدار المجموعة الشيخ أبو وليد وضمت المنياوي .. أبو حفص المصري .. أبو عبد الرحمن العراقي .. أبو عبد الرحمن المصري .. وديع اللبناني .. وانضم لهم لاحقاً أبو جهاد المصري .. راجع كتاب ١٥ طلقة في سبيل الله صفحة ٢٦١ للمهندس مصطفى حامد ..

الصباح .. وما أجمل ليالي سمر المجاهدين .. وما أكثر ما تندروا وهم يكبرون تعليقاً على ما يشاهدون .. فقوات العدو في حالة هستريا يفرغون كميات هائلة من الذخيرة علي تلة خالية إلا من فانوس صامد محتسب .. وفي اليوم التالي تسلل عبد الرحمن مع الدليل لرؤية حال الفانوس.. والعجيب أن الفانوس رغم كثافة القصف لم يصب بأي عطب .. لقد انتهى الوقود منه .. فحمله عبد الرحمن عائداً بعد أن لقبه بجنرال فانوس .. وهكذا بعملية بسيطة استنفذ عبد الرحمن كمية ضخمة من مخزون العدو .. استشهد عبد الرحمن بعد ذلك أثناء محاولته إخراج "صخر" أحد الشباب المجاهدين بعد أن أصيب .. رحمهما الله ..

ومن الأسماء[٢٢] التي تشرف بها صفحات هذا الجزء من كتاب الصراع ورياح التغيير جمع طيب من إخواني المجاهدين في التجربة الأفغانية وغيرها .. والذين كان لي شرف اللقاء بهم والعمل معهم .. سيف الرحمن منصور الأفغاني وأبو محمد التركستاني وطاهر جان الأوزبكي وحمد الله زاهد الأفغاني وسعود الباكستاني وعبد القهار الأفغاني والشيخ حسن حرسي الصومالي وأبو تميم الإسكندراني وإلياس كشميري وعمر شيخ الباكستاني وجمعة باي الأوزبكي وخطاب وأبو الحسن الصعيدي وخبيب السوداني ومسعود أزهر الباكستاني وخالد الحبيب وسعدوف والشيخ سعيد المحاسب وأبو حمزة السوداني وحازم الشاعر وعبد الله الحلبي وأويس

[٢٢] للأسف لا يمكن لذاكرتي وكذلك الإخوة معي أن تستحضر كافة الأسماء وأعتذر لهم .. ولا يضرهم أني لم أذكرهم .. فهم إن شاء الله يذكرون في مجالس أفضل من مجالسنا .. نحسبهم كذلك ولا نزكي على الله أحداً ولا يضرهم إن لم يعرفهم الناس .. ومن المهم أن أذكر أن الأسماء السابقة لا ينتمي أغلبها للقاعدة وإنما ينتمون للأمة وللتيار الجهادي .. والقاعدة طوال تاريخها تعمل وتتعاون مع كل أبناء الأمة الذين جالوا وصالوا في أفغانستان .. ولم تكن متعصبة لأبنائها .. ومع كافة المجموعات الجهادية .. وتكن للجميع حتى الذين تركوها وانضموا لجماعات أخرى أو عادوا لبلادهم أو الذين يختلفون معها في الرأي كل حب وتقدير وتدعوا لهم جميعاً .. وتقدر ما قاموا به من أعمال لخدمة هذا الدين .. فرابطة الإسلام أعمق وأوثق من أي رابطة أخرى ..

الحلبي ويعقوب البحر المنشد والخال البحريني وصقر الجداوي .. والشيخ نظام الدين شامزي ومفتي رشيد أحمد وأبو العباس المدني وصاحبه مروان وعبد الخالق الصيني وأبو زيد التونسي وأبو عابد العراقي وحمزة القطري وأنس الليبي وقاري سعيد الجزائري وأبو بكر عقيدة ومحمد رحيم الأفغاني وابن عمر اليمني وأبو مصطفى العراقي وحمزة الغامدي وأبو الفرج الليبي وعبد الملك الموريتاني وأبو أيوب الكردي وأخيه ياسين وأبو طارق البنغالي .. وأبو إسلام المصري وأسد الله السندي وأبو دجانة الإماراتي وأبو خالد السوري وأبو مصعب السوري وأبو عمير الباكستاني وعبد الجبار الباكستاني ومفتي عبد الرحيم وفضل الرحمن ومفتي صغير الباكستاني وضياء الرحمن الباكستاني وأبو الشهيد القطري وأبو أحمد الحربي وأبو حمزة المنتظر اليمني وابن الشيخ الليبي وغريب اليمني .. وجنت جل الأفغاني وأبو طارق التونسي وأبو عبد الرحمن المهاجر وخليفة وعبد المهيمن وأبو عمرو وعبد الهادي العراقي وعبد الظاهر الأفغاني وداوود الأفغاني وعبد الكبير الأفغاني وسيف الأفغاني وأبو خلود اليمني وصقر العسيري وأبو ثمامة العسيري وأبو عبد الله الإرتيري وأبناء الشيخ عتش مهند ومعاذ وعمير وخلاد وعبد السلام اليمني وأبو هريرة اليمني .. وحسان اليمني وأبو أسامة الفلسطيني وولي خان أزمراي وحمزة الزبير وأبو بصير اليمني وأبو أسامة الصومالي وسيف الله الليبي وأبو محمد الحضرمي وأبو محمد الأوغندي وربعي الليبي وابو الدرداء الليبي وأبو همام الهاون الصعيدي وأبو ريحانة اليمني وأبو هاجر النجدي وعاصم المغربي وأبو ياسر الجزائري وأبو ياسر المصري وشاكر المصري وخليفة العماني وهارون السوري وعثمان الصعيدي وأبو جندل اليمني وأحمد مدوبي الصومالي وصلاح الدين الإيراني .. وحمدي وطلحة وفتحي وأيمن وحمزة ربيع المصريين

وأبو تراب الأردني وأخويه حمزة وحذيفة وأبو عبد الرحمن البي إم المصري وأبناؤه وأبو إسماعيل النيجيري وأبو عبد الرحمن الكندي وأبو تميمة الألماني ومحمد اسماعيل التركستاني .. ومحمد عودة الفلسطيني وأبو الأهوال البحريني وأبو ثابت الكويتي وحاطب الليبي وأبو عمر الجزائري وأبو الحارث الأثري المصري وأبو الفضل القمري وإخوانهم أبطال نيروبي وتنزانيا أبو أسامة الكيني وأبو يحي الكيني وأبو صهيب وهيثم الكينيين وعزام المكي ومحمد العوهلي وأحمد عبد الله المصري .. وموحد العسيري ومحمود المصري وأبو طلحة السوداني وعمار البلوشي والبتار النجدي ومحمد عطا وإخوانه أبطال الحادي عشر من سبتمبر .. وسيف الدين التونسي وأمير الفتح وعبد العزيز الكِندي والملا بلال المكي وإخوانه الأبطال الذين ضربوا المدمرة كول .. وخالد شيخ محمد ورمزي بن الشيبة وأبو زبيدة وعبد الوكيل النوبي وأبو خالد التركي وأبو إسلام الصغير .. وأبو ثابت النجدي وأبو ريحانة البنجلاديشي وأبو صهيب الأمريكي ومهدي الإيطالي وعبد الله يوسف البرتغالي وريتشاررد الجاميكي وأبو خليل الفلتاوي وأبو بكر الأسواني والشيخ عبد اللطيف المالي .. وأبو شجاع المالديفي وجيحون الطاجيكي وأبو عبد الله الشيشاني وأبو عبد الله الأمريكي وعدنان الإسباني السوري ويوسف الفرنسي وأبو عبد الله الاسكتلندي وأبو تراب الكيني وأبو عمر الكَندي .. رحمهم الله جميعاً .. وغيرهم كثير ممن تذخر بهم خزائن الأمة الإسلامية في المغرب العربي وشرق أفريقيا ومالي وبلاد الشام وجزيرة العرب ومصر ووسط أسيا وشرقها وجنوبها وأبطال البوسنة والشيشان وأبطال حركتي طالبان أفغانستان وباكستان وشتى بقاع المعمورة" .. والحقيقة أننا لا ندرك القيمة الكبيرة لإخواننا إلا حينما نفقدهم .. ساعتها

فقط ندرك حجم الفراغ الذي تركوه .. وصدق القائل " حسبك أن أقواماً موتى تحيى القلوب بذكرهم .. وأن أقواماً أحياء تقسو القلوب برؤيتهم. " ..

***

سابعاً: الأرض (البيئة):

سوف نستفيد من تجربة الأمة في الجهاد في أفغانستان .. وأيضاً من تجربة الحرب الكوبية الغنيتين بالدروس في شرح عنصر الأرض .. بناء على ما قدمته الأرض للمجاهدين الأفغان وأمتهم .. ولفيدل كاسترو ورفاقه ..

ذكرنا فيما سبق أن من الركائز الأساسية لنجاح حرب العصابات (طويلة أو قصيرة الأمد) هي المناطق **الوعرة** .. وإذا كان جيش الحكومة ضعيف فالمناطق **المتطرفة** تمثل منطلقاً جيداً للحرب .. وفي التجربة الأفغانية انطلق المجاهدون من الولايات الحدودية الجبلية الوعرة الشاهقة البعيدة عن العاصمة والتي استفادت من دعم الحليف الباكستاني شعباً وحكومة ... وفي الثورة الكوبية انفجر الصراع وانتشر في المقاطعة الأكثر بعداً .. والتي جعلها بعدها أكثر ثورية .. لأنها عادة ما تكون مهملة من خدمات الحكومة ..

ولكونهما (المناطق الحدودية والمتطرفة[٢٣]) الأشد ملائمة لحرب العصابات .. بسبب بدائيتها وصعوبة الوصول إليها .. وتسمح هذه المناطق بإقامة قواعد إدارية ومقر للقيادة وبؤرة لحكومة مستقبلية .. كما يتم منها تنظيم تموين ثوار العصابات .. بشكل مستقل عن الإغارات والتهريب .. هذه المناطق تمثل جدار الحماية الرئيس للعصابات طوال الحرب ..

ولقد استعصت هذه المناطق في أفغانستان على الحملات البرية التي شنها الجيش السوفيتي الأحمر أضخم جيش عرفه التاريخ .. وشكلت مضائقها مصائد لدباباته ومدرعاته فخسر فيها أرتال طويلة وبلا جدوى .. كما قللت

[٢٣] المقصود بالمتطرفة هو بعدها المكاني عن العاصمة .. مما يجعلها لا تحظى برعاية الحكومة ..ويؤهلها للانفصل بأقل مجهود ممكن ..

من أهمية سلاح الجو الذي ضلت غاراته في متاهة جبال الهندكوش .. وبالتالي وجه الجيش الأحمر غضبه تجاه القرى في الأراضي السهلة والتي جاءت بمردود عكسي تناسب مع عناد المجاهد الأفغاني ..

وفي كوبا استُعملت الطائرات .. لكن كثافة ورطوبة النباتات وكثرة القنوات المائية (كما نوّه كاسترو) .. حصرت أثر قنابل النابالم والقنابل المتفجرة لأقل من خمسين متراً .. وحتى لو عرفت القاذفات بدقة مكان الثوار – وذلك لم يحدث – لما سببت لهم أذى كبيراً .. والحقيقة أنها لم تلحق الأذى إلا بأكواخ بعض سكان الجبال .. الذين يقطنون الفرجات المزروعة من الغابة ..

واستطاع المجاهدون في أفغانستان استثمار وعورة الأرض وقسوتها وحتى في المناطق المزروعة فيها (مزارع الزيتون في جلال آباد ومناطق سرخ روود القريبة من سلسلة جبال تورغار وكذلك في غابات جاجي) في شن إغارات خاطفة وكمائن صغيرة وكبيرة ..

وبفهم عميق لجوهر التكتيك لم يشن المجاهدون الأفغان معركة إلا إذا كانت الأرض مناسبة لهم .. واجتهدوا في أن يجتذبوا العدو إلى الموقع التي لا يلعب التفوق العددي فيها دوره .. كأن تكون المعركة مثلاً في ممر ضيق .. ويكون ذلك عادة باحتلال مرتفعات مسيطرة .. مشجرة .. وحيث تستطيع مجموعة صغيرة من الرجال المصممين إحباط عمل جيش بأكمله .. ومن الطبيعي أن ينسحب الجيش إلى أرض أكثر أماناً .. لكنه يوسّع بذلك المنطقة التي يشرف الثوار عليها ..فيحصلون على مجال أكبر للمناورة ..

وعلى الرغم من أهمية الوعورة إلا أن هناك عناصر أخرى لا بد من توفرها في هـذه المنـاطق .. وهي العناصـر التي تسـاعد على حيـاة العصـابات واستمرارها ..

العنصر الأول: هو وجود **المياه** السطحية أو على الأقل وفرة المياه الجوفية لإمكانية حفر آبار بها .. فمن أكبر الأخطار التي تهزم العصابات اختيارها السيئ لأرض الانطلاق .. لم تعاني قوات كاسترو من هذه النقطة لوفرة المياه السطحية في غاباتها وأراضيها .. وكذلك كانت أفغانستان ..

العنصر الثاني: قدرة هذه الأرض على **توفير الأطعمة** .. سواء صلاحيتها للزراعة أو قربها من الحدود والقواعد الخارجية للعصابات مما يساعد في شراء المواد التموينية .. أو اتصالها بالريف حيث يكون مصدراً مهماً في تموين العصابات .. فالعصابات لا ينبغي لهم انتقاء المنطقة الأكثر بعداً أو وعورة بحثاً عن الأمن .. إذ لا بد لهم من البقاء على اتصال دائم مع السكان .. حيث يجدون معين المتطوعين .. ومصادر التموين .. وحيث يمكنهم اختيار المراسلين الذين يؤمنون استمرار اتصالهم مع الحركة السرية في المدن .. وكذلك كانت أفغانستان ..

العنصر الثالث: هو **عمق** هذه الأرض بحيث يصعب على أي قوات اجتياحها في وقت قصير .. كما توفر للعصابات أماكن تبادلية سواء لقواعدها المستقبلية أو لتحركاتها اليومية .. هذا العمق يمثل متاهة يضل فيها العدو .. وعوائق تحدّ من تحركاته العسكرية .. كالجبال أو المستنقعات العصيّة على الدبابات والشاحنات .. وللعصابات تمثل بيئتها التي تسترها .. فالأحراش والأدغال تسمح بالتخلص من المرصد الجوي .. شريطة ديمومة التحرك والانتقال وعدم البقاء في نقطة تجمع ثابتة طوال المرحلة الأولى ..

لأن الأرض الوعرة تعيق تقدم القوات ولا تمنعها .. مما يتيح الفرصة لرجال العصابات لقطع التماس والانسحاب بعيداً .. كما تسمح بأعمال الكمائن على الوحدات المتقدمة .. وهذا ما قدمته الأرض للمجاهدين في أفغانستان.

كنموذج تكاملت فيه هذه المواصفات تأتي تجربة فيدل كاسترو بكوبا .. فقد مثلت وعورة منطقة (سييرا مايسترا) وسلسلتها الجبلية وما يحيط بها من قرى نموذجاً رائعا لنقطة انطلاق ثورية .. فهي بطول يصل إلى أكثر من مائة وخمسين كيلومتراً من الشرق إلى الغرب .. ويتراوح عرضها من خمسة وعشرين إلى أربعين كيلومتراً .. وتكفي عملية حسابية بسيطة لتبرهن عن أن مهمة أي قوات ستكون مستحيلة ..

ويجب أن يوفر عمق الأرض ملاجئ طبيعية .. كما يسمح بالمناورة الحرة دون الخشية من خطر الوقوع في حصار .. فكلما ازداد قطاع العمليات اتساعاً كثرت صعوبة الاستدلال على الثوار من قبل الجيش .. ولا بد للحكومة عندها من تشتيت قواتها وتطويل اتصالاتها .. وكذلك كانت أفغانستان ..

<u>العنصر الرابع:</u> المطلوب في الأرض وإن كان أقل أهمية من العناصر السابقة إلا أن له أثر كبير على الحرب في مراحل متقدمة .. هو وجود **إمكانية الاستثمار** بها لضمان الإنفاق على العصابات .. فإن لم تتمكن العصابات من اللجوء إلى أرض بها ثروات زراعية أو نفطية أو معدنية .. يكون في مخططها الاستيلاء مستقبلاً على أرض تساهم في تمويلهم .. ولقد وفرت الأرض للمجاهدين الأفغان هذه الثروات وأكثر إلا أن التمويل الإسلامي والدعم الدولي احتل الحيز الأول في العملية المالية ..

في كوبا أصبحت (السييرا) بسرعة أول المناطق الحرة للثورة .. وكُرّست السنة الأولى من الثورة لتنظيم قاعدة صغيرة - مشاغل لصناعة البزاة النظامية والتجهيزات وأدوات التفجير البدائية .. ولتصليح الأسلحة .. وتحضير الأغذية المعلبة ... إلخ - ولإجراء عملية التوعية بين سكان المقاطعة .. وشكل الثوار قوات هامة .. واقتصاداً قابلاً للاستمرار .. في قواعد خلفية آمنة .. ففي الأورينت الشمالية .. سيطروا على كل محصول البن المقدر ثمنه بستين مليون دولار .. ولم تستطع الحكومة أن تفعل شيئاً .. فذهبت مضطرة لاستعادته .. ودفع أتاوة للأنصار .. وحدث الشيء نفسه بالنسبة إلى منتجات زراعية أخرى .. مما جعل الثوار يحصلون على الأموال .. بالإضافة إلى سلع غير متوافرة في الأقاليم التابعة لهم .. وكانت الحكومة بحاجة إلى هذه المحاصيل من أجل اقتصادها .. كما توجب عليها الحفاظ على مظهر الموقف العادي .. والادّعاء بأن الأمور تجري كالمعتاد (وقد لعبت الرشوة دوراً ما) .. لكل الأسباب تحملت الحكومة تلك التجارة .. التي كانت تغذي الثورة.

هذه العناصر الأربعة مع عنصر الوعورة تتم السمات الخمس الرئيسية للأرض أو لبيئة انطلاق حرب العصابات .. وقد ساهمت الأرض في دعم كاسترو كثيراً .. فمن قاعدته الجبلية استطاع كاسترو تجنيد قوة غير نظامية كبيرة إلى حد ما .. ونجح في أن يجعلها تبدو أكثر ثقلاً مما هي عليه .. فشكلت دوريات سريعة الحركة .. لا يتعدى تعدادها غالباً ستة أفراد .. وأخذت هذه الدوريات بالظهور في عدة أمكنة وفي وقت واحد .. موسعة بذلك حقل عدم الأمن .. وبعد ثلاثة أشهر .. ألفى الجيش نفسه عاجزاً عن حماية المناجم الأمريكية الكبرى للنيكل والكوبالت على التخم الغربي من (الأورينت) .. إلا في ساعات النهار .. وقد سمح الثوار بتشغيل هذه المناجم

لأسباب سياسية .. لكنهم استعاروا منها العدة اللازمة لهم: عشرات من سيارات الجيب ومركبات النقل .. ومعدات لشق طرقات جديدة وتحسين الطرق الموجودة.

وتتوسع هذه القواعد في مرحلة لاحقة .. فيزاول الثوار ضغطاً مستمراً على قوات الحكومة في المناطق المجاورة للقواعد .. ويجبرونها على الالتجاء إلى مراكز محصنة .. يهاجمونها لاحقا .. حتى يحاصروهم في المدن الكبرى تمهيداً للحسم ..

في أفغانستان كانت رقعة القتال أكبر بكثير مما هي في كوبا .. ولكنها افتقدت للقيادة الموحدة والتنظيم الجيد اللذان توفرا في كوبا .. وبشكل عام انتشرت قواعد المجاهدين في كافة أنحاء أفغانستان على الحدود وفي الوسط وفي الشمال والجنوب وفي الشرق والغرب .. لكنها عانت من التركيبة الاجتماعية والأحزاب المختلفة والتدخلات الغربية والتدخلات من دول الطوق والخيانة العربية لها .. وأدى افتقارها للقيادة الموحدة إلى تأخير النصر ..

ملاحظات:

* الأرض المناسبة والمثالية هي ما كانت ريفاً أكثر منها مدناً .. وما كانت وعرة تكسوها الغابات الكثيفة .. والجبال الشاهقة المشجرة .. وتمر بها السكك الحديدية الطويلة .. والطرق السيئة .. وبها اقتصاد زراعي أكثر مما هو صناعي ..

* لتركيز السكان[٢٤] أو تبعثرهم النسبي أهمية كبيرة أيضاً .. فالمنطقة ذات السكان الريفيين المبعثرين هي أكثر ملاءمة من منطقة فيها تجمعات سكنية عظيمة .. تفصلها مساحات مزروعة غير مسكونة .. وهناك اعتبار آخر: إن حيازة المناطق المكتظة، يكفل للثوار نوعاً من الأمان .. لأن الحكومة – الواقعة تحت تأثيرات سياسية وإنسانية – لا تستطيع السماح بقتل المدنيين دون تمييز (مع أن ذلك ليس بقاعدة كما حدث في فيتنام).

* تتحكم الأرض بتشكيل[٢٥] وعدد وحدات العصابات العاملة .. ومن تجربة كوبا .. أن التشكيل الأكثر ملائمة لجبال السيرا مايسترا هو (الرتل) المؤلف من مائة إلى مائة وعشرين رجلاً[٢٦] .. وكان هذا التشكيل قادراً على مواجهة كل مجموعة عسكرية أقل مرونة ويصعب تموينها .. أما في القطاعات الزراعية .. فقد كان بإمكان ثلاثين أو أربعين رجلاً .. احتلال ضيعة أو قرية صغيرة مع ضواحيها .. وإقامة نقاط أمامية على حدود (المنطقة الحرة) وإدارة المنطقة .. وفي الضواحي فثوار العصابات الذين

---

٢٤ وقد برهنت التجارب في ماليزيا أو الفلبين، عن الخطر الناتج من الابتعاد عن المناطق المأهولة، حيث نجح العسكريون في كلتا الحالتين في عزل الثوار وفصلهم عن منبع قوتهم، وكانت النتائج قاتلة، بالنسبة إلى ثوار. ومن جهة أخرى، برهن مقاتلوا إيوكا القبارصة، بأنه يمكن أن تنجح حرب العصابات، حتى في جزيرة صغيرة لا تقدم المجال الكبير للمناورة، ولا الملجأ المنيع. وكان جنود غريفاس يرتدُّن إلى التجمعات السكنية إذا ازداد الضغط في الجبال كثيراً. أما أولئك الذين لا يستطيعون ذلك، فكانوا يعيشون كالثعلب في جحور أُحسن تمويهها، بحيث كان الجنود البريطانيون، يمرون غالباً فوقها دون أن يشكو فيها. وكان آخرون يتسترون خلال النهار في مخابئ مجهزة داخل المنازل، حتى إذا حل الليل، خرجوا منها للقيام بهجماتهم. تلك كانت المقاومة السرية الكاملة. (من حرب المستضعفين) ..

٢٥ ولقد أخذ جيفارا في الاعتبار، الظروف السائدة في معظم جمهوريات أمريكا الجنوبية، فقدّر بأن نواة من ثلاثين إلى خمسين رجلاً مسلحاً، تكفي للبدء بنشاط حرب العصابات، وتمتلك فرصاً حسنة لإحراز النجاح. فإذا تجاوزت هذه النواة (المنظمة والمسلحة بسرية تامة) عدد المائة وخمسين رجلاً، غدا من الضروري تقسيمها والبدء بالعمل في منطقتين تبعد أحداهما عن الأخرى. وعندما تتجاوز أية وحدة عاملة المائة رجل، ينبغي تقسيمها أيضاً، وفتح جهة جديدة. وهنا أسباب إيجابية وسلبية تفرض ذلك، فثوار العصابات دعاة، لا يقتصر دورهم على مواجهة الجيش، بل يتضمن أيضاً نشر العصيان بين الشعب، لذلك كان من الضروري توسيع منطقة الاتصال مع الجماهير. (من حرب المستضعفين) ..

٢٦ في ذلك الوقت حيث لم ترق التقنية العسكرية كما هو الحال في زماننا هذا فينتبه لذلك ...

كانوا يهاجمون حركة السير على الطرقات ويقطعون خطوط الطاقة .. كانوا يعملون ضمن مجموعات من ثلاثة إلى ثمانية رجال .. أما العمليات على المراكز العسكرية والمنشآت الصناعية المجاورة للمدن .. فكانت تسند غالباً إلى المغاوير القاطنين في المدينة .. والذين كانوا يعودون إلى بيوتهم مباشرة بعد ذلك .. وينصرفون في اليوم التالي إلى اهتماماتهم المعتادة ..

والخلاصة أرض ذات عمق جغرافي .. مع حدود طويلة .. أو لها سواحل كبيرة (الصومال) .. ذات وعورة (غابات جبال مناطق مزروعة مستنقعات) .. بها مقومات الحياة (الماء والغذاء) .. توفر مردود اقتصادي (ثروات معدنية أو محصولات استراتيجية .. أو آبار نفط) .. يصول ويجول فيها المجاهدون ..

***

ثامناً: الشؤون الإدارية

من القضايا المهمة التي تتعلق بكل مراحل حرب العصابات .. وتهم المفكرين على المستويين الإستراتيجي والتكتيكي والتي يجب أن تتناولها العصابات هي **الشؤون الإدارية** .. فالعصابات تحصل على إمداداتها من المناطق التي تقاتل فيها معتمدة علي دعم السكان مع عدم استغلالهم .. مع ملاحظة أن بساطة بداية العصابات تسهل دعمهم ..ولكن مع كبر حجم العصابات خلال مراحل الحرب يستلزم وجود جهاز إداري نشيط يباشر هذه المهمة ..

وفي بعض تجارب العصابات والتي انطلقت من مناطق حدودية .. كان طريق إمداداتها يأتي من الدولة الجارة .. مما يتوجب على العصابات العمل على حماية هذه الطرق .. والعمل على إنشاء طرق أخرى للتهريب بعيداً عن القوات الحكومية والنقاط الحدودية المعروفة لتلافي الضرب ..

تبتكر العصابات وسائل النقل وطرق المواصلات التي تنقل بها وعبرها الإمدادات الإدارية .. ففي أفغانستان لعبت الجمال والبغال دوراً هاماً على الدروب والمدقات الجبلية .. في نقل المواد التموينية والأسلحة والذخائر وحتى عمليات الإخلاء الطبي .. وفي مراحل متقدمة من الحرب ومع توفر المعدات الثقيلة "بلدوزر"[٢٧] أنشئت طرقاً أثرت في مجرى العمليات العسكرية ..

وقد تميزت أرض أفغانستان بوفرة المياه فلم تعاني منها قوات المجاهدين .. وهي أهم عنصر في المواد التموينية ولهذا في حالة تواجد العصابات في

[٢٧] وهي واحدة من كثير من الأعمال التي تحمد للشيخ المجاهد أسامة بن لادن رحمه الله .. فقد أدخل الكثير من المعدات الثقيلة والتي ساهمت في إنشاء الطرق وحفرت المغارات التي كان لهما عظيم الأثر على سير العديد من العمليات العسكرية .. وتأمين حياة المجاهدين خلال الفصول الموسمية طوال فترة الجهاد.. وقد حولت بعض الجبال إلى بوارج حربية ..وشقت بعض الطرق السرية ..

منطقة لا تتوفر فيها المياه السطحية فعليها أن تحفر وبسرية تامة مجموعة أبار .. وإلا سيتحتم عليها الانتقال لمنطقة أخرى تسمح لها بالإقامة ..

المصدر الرئيسي لسلاح وذخيرة العصابات وأيضاً المواد التموينية هو العدو .. قال رسول الله ﷺ«جُعِل رِزقي تحت ظِلِّ رمحي، وجُعِلَ الذِّلةُ والصَّغارُ على مَن خالفَ أمري» .. إن هذا المبدأ المستمد من الحديث الشريف منح المجاهدين الروح الهجومية .. وروح الاعتماد علي النفس .. والعصابات تباشر العمل الهجومي لتوفر إمدادات السلاح والمعدات والأجهزة والمواد التموينية لتسليح عناصرها الجديدة أو لتحصل على أسلحة نوعية تناسب مراحل الحرب المختلفة أو لتوفير تموين وحداتها .. كما تعمل وبمجهود أكبر على توفير الذخائر والمتفجرات لاستمرار فاعليتها القتالية .. أما المصادر الأخرى للتسليح فمن خلال الإمدادات الخارجية من الدول الحليفة فقد توفر للمجاهدين في أفغانستان إمدادات كبيرة جاءت من خلال التمويل الإسلامي ودعم الدول المعادية للإتحاد السوفيتي .. ومن مساوئ هذا المصدر تحكمه بسير الحرب والعمليات .. من المصادر الأخرى للتسليح التحاق الجنود والوحدات النظامية من جيش العدو للمجاهدين بأسلحتهم ومعداتهم وحتى طائراتهم العمودية .. ومن المصادر كذلك ورش التصنيع كما تفعل المقاومة في فلسطين فهذه الورش ساهمت في صناعة وصيانة الأسلحة وإعادة ملئ فوارغ الطلقات ..

ومن الأعمال الإدارية المهمة في الحرب في المرحلتين الثانية والثالثة هي إدارة المناطق المحررة .. ومن المهم ما تقوم به مجموعات المجاهدين في الشام في إدارة المناطق التي يسيطرون عليها .. وشفقتهم بالشعب وحسن تعاملهم

معه رغم حداثة التجربة وقلة فترتها الزمنية .. وهذا يدل على رقي وعي هذه العصابة كما يؤكد على حقيقة انتمائهم للشعب والتصاق الشعب بهم .. وهذا يستدعي الإعجاب بهم والدعاء لهم ..

تأمين وسائل الاتصالات من الأعمال الهامة التي يجب توفيرها طوال فترة الحرب .. قديماً وقريباً استخدم الحمام الزاجل والسعاة .. وفي هذا الزمان لم تعد الاتصالات وتأمينها مشكلة كبيرة كما في السابق .. فاليوم تتوفر أجهزة اللاسلكي بمعظم تردداتها القريبة والبعيدة .. كما أن الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي وإمكانية الحصول على إذاعة وحتى إنشاء قناة أو قنوات فضائية هي عملية متاحة للجميع .. سواء كانت على الأقمار الصناعية أو على الشبكة العنكبوتية .. وما يوفره الهاتف المحمول من خدمات الرسائل والمشاركات الجماعية .. كما أن وسائل التشفير والحماية أصبحت حسب الطلب .. ومن الممكن للمجموعات التقنية في وحدات العصابات ابتكار ما هو مناسب من شفرات واستخدامها مع الأجهزة[٢٨] المناسبة .. كل المطلوب من العصابات أن يكونوا متفاعلين مع عصرهم .. ويستفيدوا من التقنية .. من أجل سلامة وآمان اتصالاتهم ..

من الشؤون الإدارية الهامة أيضاً والتي تتطور مرحلياً خلال الحرب هي الخدمات الطبية .. فتقديم العناية الطبية ضد الأمراض الموسمية .. وإخلاء الجرحى .. وعلاج الإصابات .. وتوفير الإسعافات الأولية .. وإنشاء المراكز الطبية .. وتوفير المواد والأدوات والأدوية .. كلها ثمرة عمل الجهاز الإداري .. ومن المفيد القول أن الخدمات الطبية من الوسائل الدعوية الناجحة مع السكان القريبين من مناطق العصابات ..

---

[٢٨] رحم الله الأخ أبو عطاء (أبو زيد التونسي) فقد كان من أوائل الإخوة الذين ابتكروا شفرات وبرامج على أجهزة الكمبيوتر اليدوي .. نفع الله بها كثيراً في الاتصالات السرية ..

من أهم أعمال الوحدات الإدارية هي فن اختيار وإنشاء المستودعات ومخازن العتاد .. سواء في المناطق الوعرة أو لمجموعات العمل السري بالمدن .. ففي المدن يتم إنشاء حوائط وهمية يتم تخزين كميات كبيرة بين الحائطين .. وهذا بخلاف المخابئ السرية في منقولات البيت .. والنجارين والحدادين لديهم خبرات رائعة .. كما أن المهندسين المعماريين يمكنهم التخطيط لبناء غرفة سرية لا تكتشف ضمن تخطيط البيت ... وهكذا .. أما في المناطق الوعرة لمجموعات العصابات فإعداد المخازن يخضع لما تقدمه طبيعتها وحسب ميدانها لضمان عدم تعرضها للمياه .. وهناك أبحاث كثيرة على الشبكة العنكبوتية تصف المخازن والمخابيء السرية لوحدات العصابات ومجموعات العمل السري فيرجع إليها ..

تتطور وتنموا الشؤون الإدارية مع تطور الحرب وكثرة الغنائم وما يوفره الحلفاء للمقاتلين .. فمن البغال إلى الشاحنات الضخمة .. ومن طلقة الكلاشنكوف إلى صواريخ سكود وستنجر .. ومن المشي على المدقات إلى شق الطرق .. ومن الحمام الزاجل إلى الهاتف المحمول .. ومن العلاج بالأعشاب إلى المستشفيات المتخصصة في طب الحروب ...الخ .. الشؤون الإدارية تستحق كتاب كامل .. وهي بلا شك أحد المدافع الرئيسية لحرب العصابات.

وعليه فلا بد أن تقوم قيادة العصابات في كافة مراحله بتخصيص واحدا من كبار القادة فيها في المجال الإداري ويختار له مجموعة ممتازة تعاونه لإنجاز المهمة الإدارية على أكمل وجه .. هذه المجموعة الإدارية عليها تأمين البنود التالية التي تتطور تدريجياً خلال الحرب حلها المختلفة .. الخطة الإدارية تشمل مجموعة من الخطط وهي: خطة الإمداد بالمواد التموينية والمياه .. خطة الإمداد بالمهمات .. خطة الإمداد بالوقود .. خطة الإمداد

بالأسلحة والذخائر .. خطة التأمين الفني للأسلحة والمعدات .. خطة عمليات النقل ومنها إنشاء الطرق وصيانتها .. خطة التأمين الطبي .. خطة الإمداد بوسائل الاتصالات ..

إن وضع الخطة العسكرية من هجوم أو دفاع أو انحياز يعتمد بالدرجة الأولى على ما يمكن أن يوفره قائد الشؤون الإدارية من إمكانات .. وبالتالي لا بد من التأكيد على أن الرجل الأول في قيادة الحملة الإدارية يجب أن يكون من كبار القادة المعتبرين ومن أكثرهم تركيزاً واهتماماً بالتفاصيل ..

إن الخطة القتالية تتعلق بالتقدم والتقهقر في المعركة .. أما الخطة الإدارية فهي تتعلق بشرايين الحياة من أجل التقدم أو التقهقر .. والخطة المعنوية تمثل روح الاندفاع القتالية .. وهذه هي الخطة العسكرية الشاملة ..

***

تاسعاً: الحليف:

من أهم العناصر المساعدة للنصر في حرب العصابات هو فن إيجاد الحليف .. ومن المهم أن نعرف أن الحلفاء تتنوع أشكالهم ولهم إيجابيات وسلبيات .. فالأرض الوعرة هي حليف مثالي للعصابات إلا أنها قد تؤدي إلى عزلته إن لم يحسن التعامل مع الجيران ويتخذ منها نقطة ارتكاز وانطلاق .. وليس نقطة هروب وكمون .. والليل حليف جيد لعمليات التسلل والتملص .. كما أن الأنهار والبحار تعمل كحليف رائع للمجاهدين في أعمال الالتفاف لمفاجأة العدو الغافل عن حراستها .. وهكذا يجب تحويل البيئة المحيط بالعصابات إلى حليف يمنع عنهم الخطر ويمكنهم من النكاية بالعدو ..

ولكننا نقصد تحت هذا العنوان الحليف الآدمي .. لأنه أخطر من الأرض والليل .. وهو أيضاً متنوع وتختلف أسس التحالف معه .. فالحليف قد يكون عقائدياً تجمعهما رسالة أو منهجاً واحداً .. كما قد يكون سياسياً .. تجمعهما مصلحة مؤقتة وتفرقهما عناصر كثر .. ومن الممكن أن يكون بفعل الجوار الحدودي كامتداد عرقي .. أو نظام حكومي مجاور ..

حينما تلتقي إرادات الساسة أو العسكر في حلف ما فإنهم يلتقون لعدة أهداف[٢٩] .. منها ما هو خاص بالعصابات ومنها ما هو لمصلحة الحليف .. قد تكون نقطة التقاء واحدة وقد تكون عدة أهداف .. أما المسائل الأدبية

[٢٩] [... لقد كانت قضية المدافع تشكل عذاباً أبدياً بالنسبة لي ......كنا نطلب منه أن يستحضر هذه المدافع مرفقة بطاقمها أو غير مرفقة .. كان يجيب أن العرب لن يحسنوا معاملة رجالها أو أن العرب لن يحسنوا استعمالها .. وكان الثمن الذي يطلبه إنزال لواء بريطاني في رابغ وهذا لم نكن مستعدين لدفعه .. لقد كان يخشى أن يجعل من الجيش العربي جيشاً قوياً ...... فبريطانيا لم تكن سيئة النوايا ...... فمساعدتها للحركة العربية بالسلاح والمال تجاوزت عشرة ملايين من الجنيهات .... وكانت هذه المدافع المعطلة في السويس الدليل القاطع على خبث النوايا الفرنسية تجاه الحركة العربية ..] لورنس العرب أعمدة الحكمة السبعة ص ١٢٥ - ١٢٦ طبعة ١٩٦٣ المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر - بيروت ..

والعقدية فهي لا تمثل هدف ولا نقطة لقاء وإنما هي لتزين الحلف أو خداع الشعوب .. الحلف العقدي يكون بين المجاهدين وأمتهم .. وهو ما سنذكره لاحقاً ..

نقطة اللقاء قد تكون في ظن العصابات هي القضاء على عدو مشترك .. أما عند الحليف فهي إضعاف العدو فقط.. إن لفظ إضعاف العدو هو توصيف دقيق وواقعي لهذا التحالف .. وبالتالي يعطي الحليف العصابات بقدر حاجته لإضعاف العدو لا بقدر ما ترغب العصابات .. فالحليف السياسي لا يمكن أن يعمل على تقوية جاره الجديد لأن المستقبل متقلب .. وعادة ما يطلب الحليف في مقابل الدعم خدمات مستقبلية كامتيازات اقتصادية أو خدمات سياسية .. وحتى عسكرية .. أو تنازل حدودي .. فالعمل السياسي أساسه الابتزاز لا الأخلاق ..

قادة المجاهدين يجب أن يكونوا على درجة من الوعي لإدراك حيل ومتقلبات السياسة .. إن بعض الدول تتحالف مع العصابات وتتحالف عليهم في نفس الوقت .. فالحليف لن يمنح دون مقابل .. ولن يقوي خصم مستقبلي بل يبقه مقيداً .. ولن يقضي على العدو بل يبقيه ضعيفاً .. ليشغل كلا الجارين ويبقى مستفيداً .. فالحرب وطولها يشكلان دخلاً اقتصادياً رائعاً للحليف سواء لسلب المواد الخام أو لتصريف المنتجات .. وأحياناً في هكذا مناخ من الفوضى لزراعة المخدرات .. حدث هذا في أمريكا اللاتينية كما حدث في أفغانستان .. فبعد أن منعت إمارة أفغانستان زراعة المخدرات فيها .. عادت الولايات المتحدة وأحيت واستثمرت زراعة المخدرات فيها .. وهو نفس ما تقوم به في أمريكا الجنوبية ..

وفي كل الأحوال وأي ما يكون نوع الحليف فأكثرهم خطراً على العصابات هو الحليف الحكومي .. لأن له حساباته الخاصة التي تسمح للعصابات بالتفوق على الخصم المشترك .. ولكنه يبقيهم ضعفاء في حاجة إليه دائماً .. وتظل العلاقة بينهما قائمة بحساسية شديدة حتى تأتي لحظة الانفصال أو الطلاق .. (الطلاق السياسي) .. وهي اللحظة التي يصبح فيها مستقبل العصابات يشكل خطورة على الحليف .. أو تكلفتهم أكبر من الفائدة العائدة منهم للحكومة التي قد ترى أن النظام السابق قد ضعف ويمكن التفاهم معه .. أو يصبح عبء تحملهم تهديداً للحكومة داخلياً وخارجياً .. عند هذه النقطة تصبح المساعدات في أقل صورها ويندر أن تنعدم المساعدات .. لأن السياسة ليس فيها أبواب موصدة ..

عادة ما تكون نقطة اللقاء[٣٠] هي نقطة الطلاق .. لأن الهدف الذي اجتمعوا عليه قد اكتمل أو بالأصح ضعف خطره .. ومن الصعب أن تكون نقطة الطلاق هي نقطة عداء لكنها نقطة خصام .. فالطلاق في السياسة لا يعني الانفصال التام .. إنه أشبه بشهور العدة التي لا تنتهي .. وتبقى العلاقة في أضعف صورها .. وتعمل العصابات على كبت مشاعر الضيق من حليفها

[٣٠] وفي نقطة تحليلية رائعة لخبير الجهاد في أفغانستان المهندس مصطفى حامد "الشيخ أبو وليد المصري" يقول عن جهاد الأفغان "حركة طالبان" ضد أمريكا [المقاومة الأفغانية مازالت تتمتع بميزتين هما: "الوحدة" و "انعدام الحلفاء" .. ويبدوا أن الأمرين مرتبط أحدهما بالآخر أي أنهم موحدون لأنهم يفتقدون إلى الحلفاء الخارجيين .. ولا شك أن الوحدة الداخلية أهم كثيرا من وجود حليف خارجي] ... [لا ترى الدولة في بداية الأمر أن حركة مقاومة مسلحة تجرى على حدودها سوى فرصته للاستفادة للتمدد في مجالها "الجيوسياسى" وتعاظم دورها الإقليمي على كافة المستويات الاقتصادية والسياسية والعسكرية .. وهى تضع منذ البداية حدودا لتعاملها مع تلك الحركة بما يحقق أقصى عائد ممكن .. بعد ذلك الحد توجد نقطة الافتراق .. وعادة ما تكون نقطة الفراق هي نقطة العداء ذاتها .. وحركة المقاومة وقيادة حرب العصابات من واجبها أن تحدد لكل حليف قريب أو بعيد نقطة الافتراق .. وأيضا نقطة العداء .. وهى تلي نقطة الافتراق بقليل بالطبع عليها أن تجد لنفسها بدائل وحلول قبل وصول نقطة الفراق ومن المهارة ألا تدع الأمور تصل إلى نقطة العداء .] أهـ من حرب المطاريد مصطفى حامد ..

لممارسته الاستغلالية أثناء الحرب .. وبعدها .. إنها الحاجة السياسية التي تجعل من المصالح محور العلاقات ..

وإذا كانت قيادة العصابات على قدر من الدهاء فعليها أن تضع في اعتبارها منذ بدأ التحالف حقيقة ما يريده الحليف من صراعها .. وتستعد بشكل عقلاني متجرد من مشاعر حسن الظن أو حسن النية وما شابه .. وتعد لهذا اليوم قبل أن تدركه .. وهنا قمة المهارة ..

ومن المهم أيضاً عند تحالفها أن تعرف أنها الطرف الأقوى رغم ضعفها الظاهر .. فلولا حاجة الحلفاء لها لما اجتهدوا في التحالف معها .. لأنها قد تمثل خط دفاع أول عنهم وعن مصالحهم .. وبالتالي يجب أن تكون القيادة واعية ومنتبهة حتى لا تكون مجرد بيدق في صراع الكبار وتحرم من الغنيمة أو تمنع من النصر أو يتلاعب بمستقبلها ومستقبل جهادها .. كما كان الوضع في أفغانستان .. فقد كان الأفغان يدافعون عن دينهم واستقلالهم .. ولكنهم على مستوى خريطة العالم في الحقيقة يدافعون عن أمن ومصالح باكستان من طرف وثروات الخليج النفطية من طرف ثاني .. ولا شك أن باكستان ودول الخليج ومن ورائهم أمريكا يعتبرونها مصلحة حيوية .. وبالتالي سارعوا بالتحالف مع الأفغان وتم تمويل الحرب بسخاء من طرفهم.

نقطة أخرى مهمة في قضية الحلفاء السياسيين الحكوميين هي مدى صدقهم وجديتهم .. فالبعض منهم خاصة الذين يكونون واجهة لقوى أخرى .. لا يقدمون خدماتهم إلا من أجل تحقيق أهداف خفية .. وأعمالهم تحتاج إلى الخضر عليه السلام ليفسرها .. ولنأخذ على سبيل المثال النموذج السعودي في الجهاد الأفغاني .. فهو واجهة لجهاز المخابرات الأمريكية ..

فسخروه بكامل طاقته لتلبية الأمر الأمريكي .. فبدأ بالمنابر الإسلامية لتوضيح حقيقة الخطر السوفيتي على الأمة الإسلامية -كأن الأمريكيين يحبون الإسلام - .. وما به من حقد على الإسلام والمسلمين .. ولم يقصر الخطباء والوعاظ فألهبوا حماسة الناس للجهاد في سبيل الله بالمال والنفس .. وحشدت المخابرات السعودية طاقتها وعناصرها .. فوصلت مبكراً لساحة بشاور الباكستانية .. وعملت على تنظيمها لاستقبال الأموال والشباب .. وكان جهاز المخابرات الباكستانية قد رتب قبلهم الساحة الأفغانية .. والتقى الجهازان على أمر قد قدر .. وتحت المظلة الأمريكية .. **تخطيط أمريكي بنكهة باكستانية بتمويل سعودي** .. كان هدفهم العام: (إضعاف روسيا وإخراجها بشكل لائق من الحرب .. عدم تمكين المجاهدين من الاتحاد وتعميق الخلافات بينهم .. عدم حسم الحرب عسكرياً وأن الحل يجب أن يكون سياسياً لخلط الأوراق وضمان التبعية .. وتشكيل حكومة مشتركة بين الشيوعيين والإسلاميين .. القضاء على التواجد العربي بعد الحرب .. عدم تصدير التجربة .. وباختصار التأكيد على أن الجهاد قادر على التدمير لا على البناء .. وأن مرحلة تواجدهم انتهت والمرحلة القادمة للساسة[٣١] لا للمقاتلين .. وبهذا الشكل لا يحقق المجاهدون إلا أهداف الحلفاء ويخسروا كل شيء .. وعلى المستوى الإسلامي تصاب الأمة بخيبة أمل وتفقد الثقة في إقامة دولة عن طريق الجهاد وبقوة السلاح) .. علق على ذلك العميد محمد يوسف صاحب كتاب فخ الدب وأحد المشاركين في الحرب بقوله **لقد تم انتزاع الهزيمة من بين فكي النصر** .. يا له من تشبيه عجيب .. لقد كان نصر المجاهدين وشيكاً إلا أنهم حالوا بينهم وبين النصر .. وحولوا نصرهم إلى كارثة ..

[٣١] أليس هذا ما يحاولونه في ليبيا الآن .. وسوف يعملون عليه مستقبلا في سوريا إن أمكن لهم ..

لقد أحكم الأمريكان الخناق على التجربة الأفغانية من خلال وكيليه .. أفسد التمويل السعودي الضخم والمهول القادة الأفغان .. كما أفسدت باكستان المجهود العسكري بتحكمها في شراينه .. وأفسدوا جميعهم متعمدين الحوار الأفغاني الداخلي (الجركا) ..

ورغم ذلك حقق الجهاد الكثير من أهدافه المباشرة وغير المباشرة .. وشب عن الطوق بفضل الله أولاً ثم من خلال بعض القادة الميدانيين وإخوانهم الأنصار من كافة الدول الإسلامية .. لم يكن الأمريكان ونظامي باكستان والسعودية هم فقط اللاعبون في أفغانستان .. فعلي الطرف الأخر من أفغانستان مارست فرنسا وإيران نفس الدور ولكن شمال البلاد ..

نموذج الحلفاء الأفضل دائما للمجاهدين هو الشعوب التي تتعامل عقائدياً أو حتى إنسانياً .. فهذا النوع من الحلفاء يندر أن تكون له أهداف خفية .. فعادة ما يقدم ما لديه دون أن ينتظر مقابل أكثر من الشكر والعرفان بالجميل .. فكثير من الأطباء وفدوا إلى أفغانستان لأسباب شخصية نابعة من معتقدهم أو إنسانيتهم .. وكذلك كان من أصحاب الأموال وغيرهم ..

وما فعله ويفعله أمراء السعودية من محاولة لجعل أنبوب التبرعات الإسلامية تمر من خلالهم إلا لهدفين: الأول سرقتها .. والثاني لإخراج هذا الحليف الشعبي من المعادلة .. فيضمن السيطرة على مجريات الأحداث ..

ولهذا فعلى عيون المجاهدين في الشام أن تكون منتبهة لما يحاك بهم .. فالأمريكان والسعودية وباقي الأذناب لهم تجربة عميقة من خلال الجهاد ضد الروس في أفغانستان .. ويستحيل أن يجتمع حلف الشيطان هذا لنصرة الإسلام .. وإنما هي مصالحهم ومصلحة حليفهم اليهودي .. وأيما تيار

نال رضاهم ودعمهم فلا شك أنه بعيد عن مراد الله وقريب من مرادهم .. وسيعملون على تعاظم التنظيمات الجهادية وتعددها .. **ثم يعمدوا إلى الأسوأ[٣٢] منها فيختاروه ليدعموه ويقاتلوا سوياً المجاهدين ثم يعالجون القضية سياسيا مع النظام** .. وأما التنظيمات الأخرى ففي الوقت المناسب سيقطعون التمويل عن هذه التنظيمات التي تضخمت وترهلت .. ويهددونها في قواعدها الخارجية فلا يقوى قادتها على رفض التوجه الأمريكي السعودي التركي .. وبالتالي فهم سيمولون الحرب بسخاء حتى إذا بدا النصر في الأفق حالوا بين المجاهدين وما يريدون .. واخترعوا لهم حلا سياسيا يناسب بقاء اليهود واستمراريتهم في المنطقة .. يجب أن نكون على بصيرة من الأسرة السعودية وذيلهم الإماراتي .. إذ لا هم لها إلا حرب الإسلام والمسلمين وتأمين وجود اليهود ..

وعليهم أيضاً أن يكونوا منتبهين لحلفاء النظام .. وهم روسيا وإيران والعراق وبعض المنظمات المذهبية .. على المجاهدين أن يفسدوا هذا التحالف ويعملوا على تفتيته .. خاصة وأنه حلف سياسي مصلحي يصل مع النظام سريعا إلى نقطة الطلاق إذا توفر لهم علاج لنقطة اللقاء معه ..

فإيران مثلا عندما تعالج مع الأمريكان مشكلاتها الاقتصادية وتُحلحل قضيتها النووية وتجد لها دوراً أكبر في المنطقة في كلا من البحرين واليمن .. وتطمئن على سلامة مصالحها في لبنان وسوريا القادمة .. خاصة بعد أن تمكنت من العراق .. وقتها لن يجد النظام السوري من الدعم إلا ما يبقيه بين الحياة والموت فقط ..

[٣٢] وهذا عين ما فعلوه مع عبد (رب) الرسول سياف في أفغانستان .. وحينما نبغت حركت طالبان ما كان من سياف إلا أن انضوى تحت راية العداء لها .. وهو اليوم لا دور له إلا في كواليس السياسة الخفية أو واقفا على أبوابها الخلفية .. بعد أن كان ملئ السمع والبصر يوم أن كان في موكب المجاهدين ..

وكذلك الروس فهم يحاولون من وراء حلفهم هذا محاولة إعادة التوازن إلى العالم من طرف .. ومن آخر يعالجون قضاياهم المؤجلة مع الأمريكان .. فيسيطرون على مساحة أوسع في العالم .. يعيدون بها أمجادهم ..

ويَهزم كل هذا العبث السياسي **توفيق الله** للمجاهدين .. ثم **عناد المجاهدين وإصرارهم** على البقاء والنصر والتمكين للدين ..

وعلى المجاهدين في كل مكان أن يكونوا على درجة عالية من الوعي والانتباه .. سواء كانوا في أفغانستان أو سوريا أو الصومال أو مالي أو الجزائر أو ليبيا أو اليمن أو مصر أو باكستان .. أو أي مكان .. فعدوهم مشترك .. وستلاحظون دائما في القضايا التي تدار على الأرض الإسلامية اسمين لا يفترقان ولا هدف لهما إلا ضرب أي تحرك إسلامي أو حرفه عن مساره أو نصب العداء له .. إنهما "الولايات المتحدة الأمريكية والمملكة العربية السعودية" .. ومن شد أزرهم من "فرنسا وبريطانيا والإمارات العربية المتحدة" ..

إنه نموذج القوة العسكرية المؤجرة بالتمويل العربي .. لمحاربة الله والإسلام والمسلمين على هذا الكوكب ..

ولن يكون بعيداً أن تشارك الدول العربية عسكرياً ضد المجاهدين .. فبعد إسقاط نظام الإخوان في مصر بانقلاب عسكري .. فلا مانع من تخطيهم استئجار الجيوش الغربية إلى قيامهم بضرب المجاهدين بقوات عسكرية عربية ضمن تحالفات شاذة .. لضمان بقائهم في الحكم وبقاء اليهود في فلسطين .. وتحررهم من الإسلام ليرتعوا في شهواتهم ..

***

عاشراً: الزمن

الوقت في الحرب هو أحد الركائز الأساسية .. وعلى المباشر لها ولحرب العصابات خاصة أن يعرف أهميته .. فالتعجل والإقدام قد يكونا تهوراً يقضى على مستقبل الحرب وكذلك التراخي والتهاون يفعلا بها .. وحرب العصابات بشكل خاص تعتمد على الوقت بشكل جوهري فهو عامل التغيير في الموازين ..

المهارة في الانتقال بين العمليات العسكرية من هجوم ودفاع وانحياز هو محور النجاح في عقيدة العصابات شريطة أن يتم ذلك في الوقت المناسب .. فالسياسة والحرب فيهما إقدام وإحجام كلاهما يؤتي ثماره إذا استخدم في وقته .. والعبارة الأخيرة دقيقة جداً .. فالتنقل في المناورات السياسية قبولاً أو رفضاً أو تمهلاً .. وأيضا التنقل في المناورات العسكرية إقداماً أو إحجاماً أو انحيازاً .. وكذلك التنقل بين ما هو سياسي وعسكري يؤتي ثمرته إذا كان في الوقت الصحيح ليس قبله ولا بعده .. وهذا لا يتأتي إلا للقائد الموفق من الله .. المؤيد بالرأي والمشورة .. الدارس لقدراته وقدرات عدوه ..

هذه العلاقة بين الوقت وحسن اتخاذ القرار شديدة الحساسية تعتمد كما أسلفت على توفيق الله ابتداءاً ثم الفهم العميق لما لدى العصابات من نقاط قوة ونقاط ضعف وأيضاً فهم ما لدي العدو من نقاط قوة وضعف .. وإدراك إمكاناتها والعوامل المؤثرة من أرض وجنود وأسلحة وتحالفات ...الخ .. والقيام بما هو مناسب في اللحظة الزمنية والتاريخية التي تؤهل لقطف الثمرة .. فما كان بالأمس مؤهِلاً للنجاح قد لا يكون اليوم كذلك ..

ليس لحرب العصابات عمر محدد تبدأ فيه وتنتهي بنهايته .. فكل تجربة لها خصوصيتها .. فقد تستمر الحرب عدة شهور أو عدة عقود .. السبب في

طول زمن الحرب هو رغبة[٣٣] العصابات بل حرصها على ذلك رغم المعاناة والمخاطر .. من أجل تحقق عدة أهداف غاية في الأهمية: التوعية السياسية .. بناء قوتهم الذاتية .. استنزاف موارد الحكومة المالية .. استهلاك معنويات العسكر .. تفتيت تحالفاته الداخلية والخارجية .. تعرف الشعب عليهم ونيل ثقته .. محاولة ضم أو اتحاد كافة الجبهات .. إظهار رموزهم القيادية .. بناء تحالفات سياسية .. إنشاء اقتصاد مستقل عن إملاءات الجيران .. تشكيل قيادات إدارية للمناطق المحررة وإفشاء روح التكافل فيها .. بناء نظام سياسي واقتصادي يلبي متطلبات شعبهم .. نشر ثقافتهم في الشعب والاندماج معه في علاقات اجتماعية خاصة إذا كان الوسط قبلي .. فالزواج في هذه الحالة يمثل رابطة اجتماعية وسياسية تزيد من تماسك وترابط الجبهة الداخلية ...الخ ..

---

[٣٣] يمكننا ملاحظة فقدان أثر عامل الزمن بالنسبة للتيار الإسلامي في ليبيا .. فعلى الرغم من تحمله لأكبر نسبة من أعباء الحرب وربما كان عمودها الفقري .. في حين افتقدناهم في المشهد السياسي بعد الحرب .. إن السرعة التي دارت بها الحرب من شأنها أن تعيق أي عصابات أو قادة أي انتفاضة مسلحة عن برامجهم المستقبلية!! .. لماذا؟ .. الشعوب تحتاج إلى وقت لتتعرف بشكل جيد وشبه كامل على القادمين الجدد .. تحتاج أن تحتك بهم في مناطق محررة وتعيش تحت إدارتهم ورعايتهم لوقت كاف .. ومن ثم تحصل العصابات على ولائهم وتكسب تأيدهم .. وينضم إلى صفوفهم العديد منهم .. وأيضاً لتنصهر بعض المجموعات المقاتلة معاً .. وتتشكل منهم جبهة متنوعة (من شتى القبائل) تكبر تدريجيا ويدخل تحت لوائها مجموعات أخرى .. وهكذا تتطور عملية التغيير ويظهر أثر العصابات فيها .. وهذا لم يتوفر في ليبيا فقد تمت عملية التغيير بسرعة دون أن يكون المجاهدين قد ساهموا في تربية أو إدارة شعبهم خلال الحرب فهم بالكاد قد خرجوا من الأسر .. كما اشترك في عملية التغير المسلحة الكثير من العناصر ذات التوجهات المختلفة .. علاوة على الوسط القبلي الذي له حسابات وإملاءات لا تقوى عليها إرادة التغيير الإسلامية دون أن تكون قطعت شوطاً دعوياً طويلاً معها .. ويبدوا أن اجتماعهم تحت إدارة المستشار مصطفى عبد الجليل كان للتنسيق العسكري دون العمل على إيجاد وحدة فكرية وبقيت رؤاهم المستقبلية كما هي .. إضافة أنها نالت دعما جوياً أجنبياً كان له شروطه أيضاً .. ويبدوا أنه ساهم بخبث لتسريع عملية إسقاط النظام قبل أن يتبلور للشعب قيادة ينضوي تحتها .. ونأمل ممن عاش التجربة أن يكتب عنها بشكل مفصل (العملية العسكرية .. التحالفات السياسية .. العون الأجنبي وشروطه وتكلفتها المادية .. الأثر السلبي لسياسة العفو التي دعا إليها المستشار مصطفى بعد دخول العاصمة .. أسباب بعدهم عن المشهد السياسي .. سبل علاج ذلك وعودتهم لريادة المشهد) .. ليستفيد المجاهدون منها مستقبلاً ..

في البدء يكون العدو قوياً سياسياً واقتصادياً وعسكرياً وأمنياً .. ولا يتوقع أن يفقد قوته بين ليلة وضحاها .. والزمن هو الدرب الذي يتم عليه "عملية التحول" في موازين القوة .. فالزمن يساعد الضعيف لينشر دعوته ويبني قوته .. والتي يستخدمها الضعيف في تفتيت قوة الخصم .. مستنزفاً للاقتصاد ومنهكاً للآلة العسكرية ومدمراً للنظرية الأمنية ومفتتاً للنهج السياسي .. فيكشف عورته .. ويهيج عليه العامة والخاصة بتظاهرات واضطرابات .. التي تتطور يومياً منتشرة في كل مكان .. فتحقق للثوار الاصطفاف الشعبي والتعبئة السياسية .. فالزمن يعمل لصالح الثوار في إسقاط هيبة النظام .. كما يعمل لخلق الإرادة لمقاومة العدو .. وذلك هو جوهر حرب العصابات ..

حينما يستعذب الشعب التضحية .. ويتحول من مشاهد إلى فاعل .. ويواجه الآلام والمآسي بصبر ورضا .. ويقدم روحه مع ما يملك في سبيل ما يؤمن به .. ويقدم الغيرة على منهجه على الانتقام الشخصي .. فقد نجحنا في إكسابه الإيمان بقضيته .. وهذا هو المقصود بخلق الإرادة ..

من العبارات البديعة لماو تسي تونج: (لا بد من الزمن .. ليس فقط لتحقيق التعبئة السياسية .. لكن أيضاً للسماح لنقاط ضعف العدو الداخلية بأن تتفاقم تحت تأثير توتر الحرب) ..

إن الإجراءات القمعية التي تعمد إليها الحكومة أو دولة الاحتلال لمواجهة حرب عصابات .. تجعلها تخسر يومياً تحالفاتها السياسية ومناصروها .. في الداخل والخارج .. لتقف في نهاية المطاف وحيدة تنتظر السقوط الأخير .. هذه آثار الزمن على محور قوات النظام الحاكم أو المحتل ..

على المحور الآخر .. يعمل الزمن فعله في بيان صدق حركات التغيير سواء كانت انتفاضات أو ثورات أو حرب عصابات أو حتى انقلاب عسكري .. فعلى درب الزمن إما أن تتآكل أو تنهار مصداقيتها والتزامها بالمبادئ التي تحركت من أجلها .. وحركت لها أبناء أمتها .. وهيجت العالم لمساندتها .. وربما تمكنها قوة انطلاقها الذاتية لتصمد؟! في مواجهة عوامل التعرية عبر الزمان ..

بعض حركات التغيير ومن تصدى لقيادتها .. لم تكتمل مسيرتهم كما كانوا يرجون أو اكتملت على غير ما يحبون .. ولأسباب عديدة[٣٤] لست بصدد دراستها الآن .. فما يهمني هو عرض تأثير الزمن في مسيرة التغيير وبالتالي ما آلت إليه تجربتهم ..

البعض منهم وحتى ممن استخدم السلاح للقيام بالتغيير .. إلا أنه فاجأنا في المرحلة النهائية أو قبلها بقليل بقبوله بأطروحات كان يحمل عليها فيما سبق .. الأغرب أن يدعوا لهذه الإطروحات .. وبدلاً من مناصبتها العداء يتبناها .. وربما يجعلها الفيصل بينه وبين خصومه يتحاكمون إليها .. ومن العجائب في أن ينضوي تحت لواء خصومه السابقين ..

البعض في مرحلة متوسطة من الصراع يزداد عداؤه بدرجة تصاعدية .. ليس تجاه الحكومة فقط .. بل حتى تجاه شعوبهم .. فعندما تحركت للتغيير كانت تحمل هم الشعب وآلامه .. وتشفق عليه وتتأوه له .. ثم تفجع

[٣٤] من المهم جداً دراسة الأسباب التي أدت إلى توقف حركة التغير أو إنقلابها على أفكارها أو انحرافها عن مسارها .. سواء كانت حركات دينية أو لادينية .. فكل هذه دروس تصب في مصلحة العصابات وتساهم في نجاح تجاربها .. فإخراج كتاب يستعرض نبذه عن التجربة ومبادئها ثم عرض الأسباب التي أدت إلى أن تتغير بدلاً من أن تغير .. ربما لا تكون بعيدة كثيراً عن الأسباب التي أدت إلى فشل أو هزيمة حركة التغيير .. ولكنها إضافة مهمة ومطلوبة .. سواء كان تحركهم سلمي أو مسلح .. وأيا ما يكون ميدان عملها وبيئتها ..

الجميع بأن سلاحها لم يعد يفرق بين الحكومة والشعب .. هنا لم تتراجع عن التغيير ولكنها انحرفت عن مسار التغيير إلى مسار الانتقام .. وهذه الحركة لا مستقبل لها ..

ومنهم وفي المرحلة الأولى بمجرد أن تبدأ الحكومة بإغراءها حتى تقبل .. وتتحول الحركة إلى حزب يساهم في تثبيت نظام الحكم .. ربما تنتهي الحركة أو تنشطر .. وربما يتركها مؤسسها .. أو ينقلب عليها بالكلية ..

بعض الحركات تصل لما خططت له وتتولى الحكم .. وهو قمة ما كانت تصبوا إليه .. ثم تبدأ تتخلى عن مبادئها واحدا تلو الأخر .. من أجل بقاء مكتسباتها وبقائها معها حتى لو تنازلت عن نصف البلاد التي شق الشعب في أرضها نهراً من دمه وجداول من عرقه ..

والبعض أيضاً وبعد وصوله للحكم واستتباب الأمر له .. وحال وفاة المؤسس تدفن معه المبادئ الثورية التي آمن بها .. ويعمل ورثته وفق المفاهيم السياسية المعاصرة بعيداً عن الشعارات والمبادئ وحتى العقيدة ..

للزمان أثره على قوة العدو .. وأيضاً على حركات التغيير .. فالانحراف أو التراجع أو الانهيار وما يتفرخ من ممارسات .. نقطة عالية الحساسية لا يظهرها إلا الزمان خلال مسيرتهم طالت أم قصرت .. لكن .. هل كان يمكن أن نستشرف ما يرد عليها من تغيير ؟ ..

الدوام لله وحده .. سبحانه يغير ولا يتغير ..

ومن المهم إضافة فقرة تأخذ بيد العاملين للإسلام إلى الأمام .. وترفع من همتهم لينجزوا المهمة الملقاة على عاتقهم .. وهي السعي الدئوب للتمكين لدين الله على الأرض .. وإخراج العباد من الظلمات إلى النور .. أما نتائج

ذلك الآنية أو المستقبلية هي من شأن الله عز وجل .. قال تعالى { وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ {١٢٦} آل عمران .. وقال سبحانه { وَمَا جَعَلَهُ اللّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ {١٠} الأنفال .. أسأل الله أن يوفق عباده المجاهدين لنصرة دينه .. وأن يلهمهم رشدهم .. وأن يكسر شوكة عدوهم .. وأن يمن على خلقه بالهداية .. روى أحمد في مسنده ... قال حذيفة[٣٥] : قال رسول الله ﷺ: (تكون النبوّة فيكم ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .. ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها .. ثم تكون ملكاً عاضاً فيكون ما شاء الله أن يكون ثم يرفعها إذا شاء أن يرفعها .. ثم تكون ملكاً جبرية فتكون ما شاء الله أن تكون ثم يرفعها إذا شاء الله أن يرفعها .. **ثم تكون خلافة على منهاج النبوّة** .. **ثم سكت**) ..

***

[٣٥] قال الألباني: والحديث حسن على أقل الأحوال إن شاء الله تعالى ..

الحادي عشر: الأمن

العملية الأمنية مرتكز هام في التجربة الجهادية .. ومع مرور الوقت يبرز عنصر الأمن بشكل أكثر وضوحاً .. ويتحول من مجرد احتياطات بسيطة عند البدء إلى جهاز ضخم له مهامه وبرامجه وعناصره .. فمن احتياطات كسر المراقبة وتأمين الرسائل والسرية في التنقلات وحراسة القادة إلى أمن الأمة في الداخل والخارج ..

وجهاز الأمن ليس جهاز شرطة .. فالشرطة هي جهاز اجتماعي مسلح يجب أن تشرف عليه المؤسسة الشرعية في الدولة .. ولا يترك كما هو الآن بين أيدي منظومة لا تعرف إلا استعباد مجتمعاتها .. وإذلالهم .. والحط من قدرهم .. جهاز الشرطة يجب أن تكون رؤوسه وضباطه مشايخ وعلماء .. لا جلادين وسفهاء .. إن رسالة جهاز الشرطة الأساسية هي حفظ أمن وسلامة المجتمع ولا يتم هذا إلا بحسن التربية بشقيها "التعليم والتربية" و"الجزاء للمحسن والعقوبة للمسيء" .. ولو كانت عناصر الشرطة مؤهلة علمياً بالفهم التربوي الإسلامي لانتهى الكثير من المشكلات قبل أن تصل للقضاء .. ولكن تربيتهم وتعليمهم يخضع لبرنامج من الجهل الاجتماعي والشرعي والقسوة والحقد بسبب خبراء حمقى ونتائج تجربتهم الحمقاء في حربهم مع مجتمعاتهم .. وبالتالي لا يمكن للأجهزة الحالية أن تفلح في مهمتها إلا عندما تفهم أنها ليست في حالة حرب مع الشعب .. وعلى العصابات المجاهدة .. أن تصبغ أجهزتها الحالية بالصبغة والفهم الشرعي .. لتؤمن مجتمعها وتحسن تربيته .. ولتيسر سيادتها على دولتها المستقبلية .. أما العمل ضد المهربيين وتجار المخدرات وقطاع الطرق والعصابات المنظمة

والجواسيس والمخربيين فهذا يحتاج إلى جهاز أمن آخر بتربية أخرى وبفلسفة إستخباراتية .. فالعمل عليهم يبدأ من الاختراق إلى الحرب ..

تواجه العصابات المجاهدة نوعين أساسيين من المخاطر وهما: (الأمن الفكري وأمن الممارسة الجهادية) .. يندرج تحتهما كل الأخطار التي تتعرض لها حركة المجاهدين ومسيرتهم العملية ..

في المرحلة الأولي في الحرب يكون الاهتمام خاصة بالكوادر "التي تقود الصراع" بالأمن الفكري وتربية العقول لتواجه ما قد يعترضها من شبهات قد تفسد عليها مسيرتها وتطورها الطبيعي .. فيهتم فيها بالبناء العقدي السليم .. والتفقه في مجال تخصصهم المتعلق بعملية التغيير شرعياً وسياسياً وعسكرياً واقتصادياً وأمنياً واجتماعياً[٣٦] .. يكون الاهتمام موجه بشكل كبير على كوادر العمل بشكل تخصصي لأنهم يحملون عبء القيادة .. ولأن العديد من فئات الشعب[٣٧] تنضم لهم تبعاً ولأسباب مختلفة .. وهؤلاء قد يكون الاهتمام في تربيتهم منصب على الجانب الروحي أكثر من الفكري .. الجانب المتعلق بالآداب وتزكية النفس بالترفع عن الصغائر واجتناب الكبائر وأخلاقيات الدين من الصدق والإيثار والرحمة

---

[٣٦] من الخلل أيضاً أن تكون الكوادر تربت على التنظير والجدل .. وعاجزة عن الدعوة والتربية .. وبمعنى أدق الفائدة المحصورة في التنظير تعود على شريحة محدودة من الشعب في حين أن التحرك الجهادي في أمس الحاجة للشعب والأمة .. وبدونهما تفشل حربه المستقبلية .. وعليهم أن يفهموا التركيبة المجتمعية ونوعية الخطاب المناسبة لهم من باب مخاطبة الناس على قدر عقولهم .. ومن عناصر التركيبة المجتمعية أهل الكتاب من يهود ونصارى .. فهم وإن كان محرم عليهم جزيرة العرب إلا أن لهم تواجد في باقي الدول الإسلامية .. ونحن مطالبون بمخاطبتهم ودعوتهم بالتي هي أحسن .. كما قد يكون هناك بعض الطوائف الوثنية في بعض أجزاء الأمة الإسلامية .. ولذلك من المهم لكوادر "الصراع" أن تهتم بدراسة بعض كتب علم الاجتماع ومن المفيد فيها مقدمة ابن خلدون .. والثقافة المتنوعة تعطي الداعية أرضية جيدة لفهم الكثير من التصرفات الجماهيرية ..

[٣٧] ومن الأمن أن لا تقع القيادة في خلل حركي وهي أن تنطلق لعملية التغيير بالصفوة فقط .. فهي بهذا تعزل نفسها عن الشعب وتتعالى عليه .. ومع الوقت تقع في عدائه وتفشل في دعوتها وقضيتها .. وهو نفس ما فعلته مجموعة جمال عبد الناصر العسكرية وورثتهم .. وللأسف سقطت فيه أيضاً بعض الجماعات الجهادية ..

والإحسان والتضحية والفداء وتفهم قضية أن يكون الحب والبغض كما أراد الله .. ولا بد أن ينالوا نصيبهم مما يمكن أن نسميه العلم العيني الذي يجب على كل مسلم أن يعرفه .. ويتم تثقيفهم فقهيا خلال المسيرة الجهادية ..

من هنا وغيره نبع الاهتمام بالأمن الفكري حتى لا تسرق العقول أو يشوه التفكير .. وبالتالي تحبط عملية التغيير ..

يصاحب التربية الفكرية (الشرعية) .. تربية أمنية وسياسية .. للقيادة والقاعدة الشعبية .. تتعلق بالممارسة الجهادية ..

الأمن الحركي[٣٨] "الأمن المتعلق بالممارسة الفعلية للجهاد" .. فهو يحتاج إلى جهاز متخصص تكبر مهامه وحجمه كلما تجاوزت العصابات المجاهدة مرحلة من مراحل الحرب .. وكلما انضم أفراد أو مجموعات لتعمل مع العصابات المجاهدة .. وكلما عرضت شبهات أو شائعات أو دعاية مضادة أو شنت حرب نفسية .. أو في حال الرغبة في القيام ببعض هذه العمليات على العدو .. شريطة أن تكون منضبطة وفق القواعد والأصول الإسلامية ..

الكتابة عن الأمن تحتاج لمجلد خاص بها ولذلك نرجع القارئ للعودة عما كتب فيها بتخصص .. سواء الأمن المصاحب للحرب السرية في المدن أو الأمن المصاحب لحرب العصابات في المناطق الوعرة .. أو أمن العمليات الخاصة جهوياً (الإغارة والكمائن والاستطلاع) أو أمن العمليات النوعية

[٣٨] راجع مذكرة الأمن للقاعدة .. وموسوعة الجهاد الأفغاني جزء الأمن .. وعلى الرغم من أنهما كتبا في تسعينيات القرن الماضي إلا أن بهما الكثير من المعلومات المناسبة .. ولكن يجب مراعاة التطور العلمي والتقني خاصة في باب الاتصالات والمراسلات والاستفادة منهما .. كما يجب أن يتابع قراءة الجديد من كتب الأمن والاستخبارات .. ومن المهم أن أحذر من وجود بعض المعلومات والتوصيات في جزء الأمن من موسوعة الجهاد الأفغاني تتنافى والآداب الإسلامية فينتبه لها .. لم يتعمد جامع الموسوعة الشيخ أبو برهان السوري وجودها ولو راجعها لحذفها .. فهو من أفاضل الإخوة الذين شرفت أرض أفغانستان بهم ..

على العدو وحلفاؤه بعيداً عن المواجهات الجهوية .. وطرقنا هنا لموضوع الأمن لبيان أهميته كأحد مدافع الحرب التي لا بد أن تستخدمها العصابات وتعطيها قدرها من الأهمية .. والفاعلية الحقيقية ..

للأسف أن ميزانية الأمن من أوجه الإنفاق الكبيرة في التنظيمات خاصة السرية منها في المدن والتي تعمل تحت أنظمة حكم قائمة .. ولكنها من الضروريات التي إن أهملت أجهضت العمل في المدن ..

تحتاج حركة العصابات لجهاز أمن واعي يضم عدد من التخصصات التي تناسب كل مرحلة .. وبشكل عام من الأجهزة المهمة في الأمن في المرحلة الأولى هو الوحدة المتخصصة بعملية التجنيد .. ووحدة المتطوعين الجدد وكلاهما يتعامل مع تاريخ الأفراد المنضمين للعصابات المجاهدة وسلامتهم الأمنية حتى لا يتم اختراق العصابات ومن ثم يتتابع عليها سلسلة من الأخطار كالانشقاقات والانقلابات والإرجاف والتثبيط و...الخ .. وأسوءها أن يصل من عناصر الاختراق[٣٩] عنصر متميز إلى مصاف القيادة فيضر بعملية التغيير وقد يحرفها عن مسارها أو حتى أخلاقها .. ولأن العناصر عادة التي تبدأ إنشاء وتأسيس حركة العصابات المجاهدة تكون هي المرشحة لقيادة الصراع .. وجب التحري وبعمق ودقة عن كل العناصر التي يتم ضمها في المرحلة الأولى من الحرب ..

في المرحلة الثانية من الحرب يظهر الأمن بشكل أكبر حيث تنشأ القواعد العسكرية والتي تحتاج لتأمين أكبر .. يلاحظ أن المرحلة الأولى كان الغالب على اهتمام الأمن فيها بالعنصر البشري أما في المرحة الثانية يضاف له

---

[٣٩] الاختراق قد يتم بزرع عنصر في التنظيم ..وقد يتم بتجنيد عنصر من صلب التنظيم ..راجع مذكرة الأمن للقاعدة ..

الاهتمام بالمستودعات والأراضي المحررة والعملية الاقتصادية وأمن المعلومات والوثائق وأمن الطرق والمدقات و...الخ ..

كما تتسع وتكثر المناطق المحررة في هذه المرحلة .. وتتنوع فيها التركيبة السكنية والتي قد تكون بها قبائل محايدة أو عرقيات معادية أو أصحاب ديانات مختلفة .. فينتبه لكل ذلك بالتدابير الأمنية المناسبة حتى لا يكونوا خنجراً في خاصرتهم .. مع مراعتهم على المستويين الدعوي والاجتماعي .. فيتكفل ببعض نفقاتهم من باب كف آذاهم أو تألفهم .. وتتجنب مرحلياً أموالهم حتى لا يزيد عدائهم للعصابات .. وليس من الحكمة فرض جزية على أهل الكتاب في هذه المرحلة المضطربة أو يقاع عقوبة التهجير عليهم قبل أن يتبين جدية عمالتهم .. فتكون هذه دعوة فاشلة لباقي المناطق .. ورسالة تفتقر للذكاء .. فتحذر من العصابات وما ترتكبه من أخطاء فيقاوموا تقدمهم .. ولكن وجب على العصابات أن تخط مع التركيبات السكانية المختلفة عقود وعهود أمان .. وبيان ذلك يأتي لاحقا عندما نتكلم عن المدفع السياسي .. وإنما ذكرناه هنا من باب ما يترتب عليه من خطر يهدد تواجد العصابات في المناطق المحررة ..

أما المرحلة الثالثة يستكمل جهاز الأمن بناء وتخصيص وحداته ليؤهل نفسه لاحقاً للإشراف على مستوى الدولة داخلياً وخارجياً .. وفي مرحلة البناء تتنوع أقسامه وتخصصاته وفقاً لمتطلبات الدولة ومجريات العصر ..

وخلال مرورنا على مراحل الصراع على المستوى الاستراتيجي والتكتيكي والسياسي ومرحلة البناء سنورد فيها ما يناسبها من الناحية الأمنية ..

***

الثاني عشر: الاقتصاد

تطرقنا في جميع البنود السابقة تقريباً لقضية اقتصاد العصابات .. ومصادر تمويله .. وأهمية الاقتصاد لا تخفى على أحد .. فهو المحرك الأول للحروب الاستعمارية .. والسبب وراء تعاسة العديد من الشعوب .. وركن زاوية في قوة الدولة خارجياً .. وتماسكها داخلياً .. ومما يؤكد على أهمية هذا المدفع في نجاح الحرب واستقلال القرار .. علاقات القوة التي أوردناها في بند الثائر العقائدي .. العلاقة الثنائية (قوة الاقتصاد + قوة التسليح = القيمة السياسة) ترتبط بقوة في مُخرج أساس وهو الاستقلال .. الاستقلال في اتخاذ القرار .. والتنفيذ .. وقطف الثمار .. دون أن تتشارك مع أحد .. وبأنانية مطلقة لأن الحكومات تعود بالأرباح لأفرادها وليس شعبها .. وهذه العلاقة كما أسلفنا من قبل في الدول التي لا تدين بالإسلام .. والاستعمارية منها خاصة ..

أما العلاقة الرباعية في قوة الدولة الإسلامية وهي (الرسالة "عقيدة وعبادة" + الإنسان "روحا وجسد" + الاقتصاد "اكتساباً وإنفاقاً" + التسليح "تملكا واستخداماً") فهي ترتبط بنفس المخرجات وتزيد عليها .. الاستقلال في اتخاذ القرار .. والتنفيذ .. وقطف الثمار .. وتوزيع الأرباح على أمتها[٤٠] .. ولكنها تضيف قيمة أخرى لها أكثر جمالاً وأعمق هماً .. وهي حمل رسالتها إلى البشرية جمعاء .. لينعم بها سكان المعمورة ..

والوضع الاقتصادي للعصابات يتفاعل مع العملية الجهادية بحسب قوته .. فكلما كان اقتصاد العصابات المجاهدة قوي كلما كان برنامجها العسكري

---

[٤٠] في الدول الاستعمارية عوائد الاقتصاد وثمار الحرب يعود نفعها على الجهاز الحكومي وكبار الجنرالات وأصحاب الشركات التي تهيمن عليهم ..

والاجتماعي نشط .. والعكس بالعكس فقد توقف العصابات بعض العمليات مع أنها تملك التمويل المباشر للعملية .. ولكنها لا تملك تكاليف ما بعد العملية كما سيأتي بيانه لاحقاً .. وهكذا يكون النظر السليم والبعيد أثناء التخطيط للحرب .. فالنظر في المآلات مطلب هام لا ينبغي إهماله أو معالجته ببرود ..

العصابات[٤١] عندما تبدأ حربها تخضعها لقرار الشريعة وعندما تبدأ عملياتها يكون من العبث أن تخضعها للإمكانية العسكرية فقط بل لا بد من إدراك أبعادها السياسية .. وتكاليفها الاقتصادية .. ومردوداتها الاجتماعية ..

إضافة لما سبق يهم رجال العصابات في مسيرتهم الجهادية وحتى بناء دولتهم هو مسألة الاستقلال في اتخاذ القرار .. فالتمويل في الحرب يعني صناعة القرار .. ولاستقلال القرار وضع رسول الله ﷺ إستراتيجية إن اتبعها المجاهدون أداروا حربهم وأقاموا دولتهم تبعا لما أقره الإسلام .. لا لما يفرضه عليهم أصحاب الأموال .. "وجعل رزقي تحت ظل رمحي" .. ليس المقصود هنا غنائم المعركة من أموال وأسلحة وإنما أيضا مكاسب الحرب من خلال الثروات التي تحفظها خزائن الأرض المحررة أو فوق سطحها من مناطق زراعية .. وحسن استثمارها وعائداتها .. وحسن التعامل مع أموال الناس في هذه المناطق قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. ...» .. رواه مسلم .. وأكد سبحانه أن معيته مع المحسنين قال تعالى { وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ {٦٩} العنكبوت .. وقال تعالى { إِنَّ اللّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَواْ وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ {١٢٨} النحل ..

[٤١] راجع محاضرة الإستراتيجية في الجزء الثاني من الكتاب (الثورة .. الاستراتيجية) ..

نستعرض هذا البند من خلال ثلاث ركائز أساسية: مصادر التمويل .. أوجه الإنفاق .. المخاطر النابعة من العملية الاقتصادية ..

أولاً مصادر التمويل: ويمكن تقسيمها إلى ثلاثة مصادر رئيسية:

١- التمويل التطوعي: من خلال مساهمات عناصر العصابات المالية والعينية وهي اللبنات الأولى في العملية الجهادية .. والتبرعات والهبات والأوقاف من الشعب التي يقدمها للعصابات تطوعاً بغير إجبار .. الزكوات التي يخرجها المسلمون بطيب خاطر للعصابات بعيداً عن أعين النظام .. تمويل بعض التجار الذين فروا إلى خارج البلاد خوفا من النظام .. التمويل العقدي للشعوب الإسلامية العابر للحدود .. التمويل الشعبي هو العمود الفقري لوحدات العصابات .. ومن دعم الحلفاء الذين يراهنون على نجاح العصابات في مقابل الامتيازات والاستثمارات التي سيحصلون عليها بعد الحرب أو في المناطق المحررة .. هؤلاء الحلفاء قد يكونوا رجال أعمال أو دول لها مصالحها كما سبق وأوضحنا في بند الحليف ..

٢- التمويل بالقوة: ويمكن تصنيفه تحت قسمين:

أ- غنائم العمليات الجهوية: عائدات المعارك الميدانية من أسرى وأسلحة وذخائر ووثائق ومعلومات .. وأيضاً الأراضي الغنية بالخيرات ..

ب- عمليات التمويل: الخطف من الأعداء وهي تشبه الأسر ودفع فدية لقاء إنقاذ رهائن .. الاستيلاء على الشحنات التجارية للخصم والتي تمر على أرضنا أو في مياهنا أو سمائنا بحسب قدرتنا .. أو التعويض عن مرورها مقابل تمويل مادي أو عيني بنسبة من البضائع المنقولة .. أو عبر غارات على مصادر تمويل العدو أو أمواله المنقولة ..

وهذه العمليات (الخطف أو الاستيلاء على قوافلهم) يجب أن تكون منضبطة بضوابط الشريعة ..

٣- عوائد الاستثمار:

إن التوفيق في إدارة المناطق المحررة يبشر المجاهدين وعصاباتهم بالتوفيق في إدارة الدولة .. وكما ذكرنا سابقاً ما قام به كاسترو في إدارة واستثمار مزارع البن .. وأيضاً ما تقوم به (جبهة النصرة وأخواتها بسوريا) في إدارة حقول النفط وصوامع القمح .. وأن كلاهما يعطي نموذج ناجح لعصابات التصقت بشعبها .. وأدارت الثروات في الأراضي المحررة .. ووفرت بها مردود اقتصادي تقوم بإنفاقه على الجهاد وعلى الشعب في هذه المناطق بتدبير لا ببخل ..

من الممكن أيضا أن تقوم العصابات بمشروعات اقتصادية في الأرض الحليفة لتوفر نوع آمن من الاقتصاد يساهم في نفقاتها .. أيضاً تَدخل الدولة الحليفة في نوعية الاستثمار والشخصيات التي قد تساهم فيه .. وعلى العصابات أن تكون حذرة دائما عند التعامل مع الحلفاء .. خاصة فيما يتعلق بمسألة الاقتصاد .. إذ قد يطرح الحليف عليها فكرة استثمار بعض المناطق الهامة عن طريق إستئجارها لعدة سنوات أو استخراج أنواع من المعادن أو النفط .. الحذر هنا من أن تُغبن العصابات في الصفقة فتفقد أرباحا مهولة تكون دولتها الوليدة في أمس الحاجة إليها .. وبحسب نوع وحجم الثروات التي تكون تحت سيطرة العصابات تتوالى عليها الصفقات وكلما كان لديهم عناصر مؤهلة لإدارة هذه الثروات أفضل من المشاركة فيها مع غيرهم ..

ثانياً أوجه الإنفاق:

يمثل الإنفاق حجر الزاوية في محافظة التنظيم على استقلاليته ونجاته من التبعية .. إن زاوية الانحراف الأولى تبدأ عندما تفقد العصابات المجاهدة حريتها واستقلالها في اتخاذ القرار .. وعليه يحتاط المجاهدون في الموازنة بين المدخلات والمخرجات المالية .. التي تعطي للتنظيم - عادة - استقلالية في اتخاذ القرار ..

المصروفات الأساسية التي تكون العصابات المجاهدة بأمس الحاجة إليها هي ما تتعلق بالعملية العسكرية من شراء أسلحة وذخائر .. شراء المواد والمعدات العسكرية .. نفقات مراكز التدريب .. نفقات عمليات النقل والتهريب .. نفقات مجموعات العصابات المعيشية .. علاج الجرحى .. نفقات المعيشة للأسر .. ونفقات أسر الشهداء والأسرى تحديداً لأنه واجب شرعي وأدبي ..

مع الوقت تتزايد نفقات العصابات المجاهدة خاصة عندما تنتقل من مرحلة إلى أخرى من الحرب أو حالة ممارسة عمليات نوعية .. فهي تبدأ بمواجهة التزامات جديدة .. ونفقات أدبية أكثر منها عسكرية .. ولكنها مطلوبة بحكم وجود العصابات المجاهدة في منطقة ما مثل النفقات الطبية .. أو تنفيذها لعمليات مهمة كانت ذات ردود فعل سلبية على أهل المنطقة .. إذ يجب على المجاهدين أن يتحملوا هذه النفقات بصدر رحب وبمسؤولية تامة .. مثال ذلك المناطق التي تصبح تحت سيطرتهم وما يسكنها من الأهالي كيف ما كان دينهم فهم قد أصبحوا تحت إدارة العصابات .. وعلى العصابات أن توفر لهم على الأقل الحد الأدنى من الحياة الكريمة .. أيضاً من النفقات المصاحبة للعملية الجهادية .. هي وقوع

بعض الضحايا بسبب أخطاء القادة التنفيذيين[٤٢] أو تواجد الضحايا ومرورهم أثناء القتال دون تعمد من المجاهدين لهم .. ومن النفقات أيضاً ما يترتب على بعض العمليات من تهجير قسري للمواطنين ودفعهم للمناطق المحررة كعقوبة على مساعدتهم أو تسترهم أو مجرد الالتزام الديني .. فالعدو ماكر ويحاول إشغال المجاهدين بنفقات جانبية تستنفذ إمكانات المجاهدين المالية .. فعلى المجاهدين العمل على استيعاب ذلك واستثماره لصالحه .. أيضاً من النفقات الجانبية والتي تصاحب العمليات العسكرية وتكون فطرية وضرورية على مستوى الأفراد ومساعدتهم في تكاليف بدأ الحياة الاجتماعية خاصة للمصابين في سبيل الله .. وهكذا تنفتح الكثير من النوافذ المالية .. وبالتالي يجب على قيادة العصابات أن تتسم بالتدبير لا بالتبذير .. وأن تضع المال حيث يجب أن يكون حتى لا تتعرض لظروف وضغوط تعيق برنامجها الرئيس .. ومن حسن التدبير أن تتوقف العصابات عن مهاجمة مركز ما أو توقف عملية ما لأن تكاليف تحمل ما بعد العملية قد يستنزف ما لديها من إمكانات مادية .. فالعصابات التي تريد أن تبني أمة يجب أن تكون مسؤولة عن كل تصرفاتها خاصة إذا مست حاجات الأهالي الأساسية .. **العصابات المجاهدة دعاة**

[٤٢] أرسل رسول الله ﷺبالدية لمن قتلهم جيش خالد بن الوليد ﵁ من بني جزيمة .. واكتفى رسول الله ﷺ بأن تبرأ مما فعل خالد ﵁ ولا شك أنه ﷺ قام بتوجيهه ونصحه .. ولكنه ﷺ لم يعزله ولم يحاكمه ولم يشن عليه حرباً إعلامية كما يفعل بعض إخواننا وللأسف يتمادى البعض ويخلط بين خطأ واجتهاد المؤمنين وتعمد وظلم الحكام المرتدين .. بل أكثر مما ذكرت ففي قصة خالد ﵁ في غزوة مؤته ومنعه أحد جنوده السلب وتعرض أحد الصحابة لخالد أغضب رسول الله ﷺ فقال: «يا خالدُ لا تَرُدَّهُ عَلَيْهِ، هَلْ أَنْتُمْ تارِكُوا لي أَمَرَاءَ لِي، لَكُمْ صَفْوَةُ أَمْرِهِمْ، وَعَلَيْهِمْ كَدِرُهُ» .. وإضافة لما سبق فقد رد الصديق ﵁ كل ما قيل في خالد ﵁ وأبى أن يقتله أو يعزله وقال (لا أغمد سيفا سله الله على المشركين) .. وأضاف الصديق ﵁ سمعت رسول الله ﷺ يقول «نِعْمَ عَبْدُ اللَّهِ وَأَخُو الْعَشِيرَةِ خَالِدُ بْنُ الْوَلِيدِ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ سَلَّهُ اللَّهُ عَلَى الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ» .. فينتبه لذلك ويخاطب المجاهدون بما يستحقوه من النصح .. وتجبر أخطاؤهم بما يناسب .. وندعوا لهم بالتوفيق والسداد والرشد ..

قبل أن يكونوا مجاهدين .. وعليهم دائما التنبه لهذه الأبواب قبل طرقها .. أو الولوج فيها. .

من المصروفات التي تصاحب التحول من مرحلة حربية لأخرى أيضاً .. وقد تتحول إلى ميزانية تثقل كاهل العصابات المجاهدة هي مصروفات الأمن .. وكثير من هذه المصروفات يكون لاحتياطات قد تحدث أو لمفاجآت لم تكن في الحسبان .. إن تأمين العمليات والأفراد وخاصة القادة منهم يساعد في استقرار العمل وتحقيق الأهداف المرحلية .. والإهمال في معالجة هكذا قضايا يجعل العصابات تواجه هزات فكرية تزلزل استقرار الإستراتيجية .. وقد تبتلى عند اختراقها بما لا تحمد عواقبه كما أسلفنا في بند الأمن .. ومن المصروفات التي تفرق دمها بين الأمن والسياسة مصروفات تأليف القلوب .. فقد تُعطي العصابات المجاهدة بعض عيون الناس وشيوخ القبائل ما تتألف به قلوبهم حتى تأمن مكرهم .. أو تسمح للحليف باستثمارات لتضمن استمرار تعاونه ..

وهكذا تتشعب المصروفات من مرحلة لأخرى .. ولا يمكن لكاتب أو كتاب أن يشمل كل جوانب الإنفاق .. ولكنه يفتح الباب لينبه ويحذر ويترك بعد ذلك لكل تجربة خصوصيتها وما يستجد فيها .. وبالتالي على قادة العصابات المجاهدة أن يكونوا حازمين ومدبرين في الإنفاق المالي .. وعندما ينفقون يدركون عوائد هذه النفقات المادية والنفسية .. والفارق كبير جداً في مردود التدبير ومردود الشح .. فالشح يثير الضغائن .. والتدبير يداوي الجرح ..

ثالثاً المخاطر النابعة من العملية الاقتصادية:

لا تسلم العملية الاقتصادية كغيرها من المخاطر وقد يكون الخطر من ورائها أكبر بكثير مما يتوقعه البعض .. وعادة ما يكون خفياً غير ظاهر في البدء .. حتى إذا تمكن منه بدت أنيابه وظهرت خطورته وقبح وجهه ..

أ- أهداف الحلفاء الخفية: الخطر الأعظم الذي يواجه العصابات المجاهدة هو عبث الحلفاء بها وتحقيقهم لمآربهم من وراء دماء المجاهدين .. فهم يوفرون التمويل المجزي للعصابات بحيث ينسيهم الاعتماد على تمويل خاص بهم .. ويصبحون يعتمدون على التمويل الحليف بشكل رئيسي .. هنا تظهر الأهداف الخفية والتي كانت من وراء التحالف .. فربما كان الهدف هو إضعاف الخصم وتحلل اتحاده كما تحقق من حرب أفغانستان للاتحاد السوفيتي .. أو إبقاء التيار المقاتل في حالة من عدم الحسم والضعف هو وعدوه كما فعلت باكستان بأفغانستان .. أو عدم قيام دولة إسلامية من خلال الجهاد في سبيل الله وهذا ما تكفلت به أمريكا والدولة السعودية الثالثة .. أو الرغبة في تسوية خلافات قديمة على بعض المناطق الحدودية ..

وعلى العصابات المجاهدة أن تكون منتبهة لمصدر تمويلها الذي يختلف معها في التوجهات والمصالح النهائية وهما نقطة الطلاق .. وبالوصول عندهما إذا لم يكن للعصابات تمويلها الخاص فستخضع لطلبات المولين راغمة حتى يستمر التمويل ولو بمعدل أقل .. وستضل الحركة في مسيرتها نحو أهدافها .. لأنها ستخضع قرارها لإرادة وإملاءات المولين ..

ب- غرس الفرقة والانشقاق: وهو من باب سابقه ولكن لأهميته انفرد بنقطة .. فقد تعمد الجهات الممولة لدعم بعض القيادات الصغرى في الحرب لكي يتضخموا على قيادتهم الأصلية .. وخاصة مع المندوب المالي

للتنظيم فهو عادة ما يرى أهميته ويغلبه شيطان النفس والمال والممول فيبدأ سلسلة من الحيل مع القيادات الكبيرة أو حتى الصغيرة أو المتوسطة للسيطرة عليها وعلى التنظيم أو الانشقاق بمجموعة منهم .. وتكوين مجموعة جديدة تنافس المجموعة الأم .. وهكذا .. فالمطلوب من القيادة أن تنتبه لمندوبها ومموليها .. فالمندوب يجب تغيره بشكل دوري حتى لا ينجرف مع شلال المال .. أما الممولين فيجب ضبط تحركاتهم المالية خاصة مع القيادات الميدانية الشجاعة .. فيمنع تعاملهم المالي مع غير البوابات التي تم إعدادها لتلقي التمويل ..

ج- الهزات المالية: في فترات الحرب الأولى يتم دعم التنظيمات بحماسة وتصلها كميات كبيرة من الأموال العينية والنقدية .. في ضوئها وقلة خبرة قادة الحركة .. تقوم القيادة بفتح المزيد من الجبهات وفتح باب التجنيد وتتصرف وكأن التمويل سيل لا ينقطع .. ومع أول هزة مالية متعمدة أو غير مقصودة تقع الحركة في ورطة كبيرة أمام التزاماتها .. قد تؤدي إلى انشقاقات أو انقلابات وحتى إلى ترك الجبهات .. وقد حدثت كثير من هذه الصور في أفغانستان .. وكنا نشاهد المواقع القتالية في الجبهات خاصة الخطوط الثانية منها مهجورة بسبب توقف تمويل المقاتلين ..

د- فشل الاستثمار[٤٣]: لقلة الخبرة في إدارة الموارد نصل للنتيجة السابقة .. وربما لتلاعب الحلفاء بنا .. وسيطرتهم على الموارد الاستثمارية لحسابهم .. وإعطاء العصابات الفتات .. فعادة ما تؤخذ الخامات والمواد الأولية بأبخث الأثمان .. وربما بتواطؤ في المحيطين الإقليمي والدولي من أجل إيقاف تطور العصابات والسيطرة عليهم فيتم تعمد إفشال استثماراتهم ..

---

[٤٣] يقول الشيخ أبو جهاد المصري (أحمد حسن أبو الخير) على مستوى التنظيمات لم يعول أحد على جدوى الاستثمار إلا نادر لأن الأمركان دائما محفوفا بالمخاطر الأمنية ..

هـ- التمويل بالإجبار من سكان المناطق التي بها العصابات بفرض نوع من الضرائب عليهم: وهذه كارثة أخلاقية وخطأ حركي قاتل .. يفقد الحركة أنصارها ويسيء إلى سمعتها .. ويحولها من مقاتلين من أجل الشريعة إلى بلطجية وفتوات يفرضون الإتاوات على الأهالي .. ومن العبث فرض الجزية على أهل الكتاب والحركة المقاتلة لازالت في حالة فر وكر ولم تمكن بعد وتمسك بزمام الأمور في الدولة .. وقد يُحتج بأن أبو عبيدة ﷺ أخذ الجزية من سكان دمشق ثم ردها إليهم وهو في حالة كر وفر .. ويتناسون وجود خليفة مُمَكن عمر بن الخطاب ﷺ أمير المؤمنين يقود دولة إسلامية مستقرة ولها ثقلها على المستوى الدولي .. فقد أطاحت بالإمبراطورية الفارسية .. والفارق كبير بين جهاد الطلب الذي تقدم فيه أبو عبيدة ﷺ خارج حدود الدولة .. ويتناسون أنها أخذت بعقد صلح لاستلام المدينة .. وبين وضع العصابات التي لم تستقر لها الأمور بعد إلا فيما يمكن أن نطلق عليه اسم مناطق محررة .. أما باقي الأراضي فهي محل صراع قد تفقد مع أول حملة .. وسبق وبينا الخطر المترتب على ذلك أمنياً ..

و- الحذر من الإغداق المادي: "قل لي من يمولك أقول لك من أنت" .. في نقاش مطول مع الشيخ أبو جهاد المصري يقول أن "الإغداق المادي" يؤدي إلى "تورم التنظيم" وهو ما يوصل إلى "الإغراق الإداري" .. فالتنظيم يجب أن ينمو طبيعياً وخلال سنوات للأهداف الكثيرة التي أوردنها في بند الزمن .. وضرب لذلك مثالاً .. وهي قصة ظهور تنظيم الاتحاد الإسلامي تحت قيادة "سياف" .. فولي عهد السعودية آنذاك أعطاه عدداً كبيراً من السيارات من كافة الأنواع والأحجام التي يحتاجها المجاهدون .. كما رصد له عدة ملايين من الدولارات لتمويل الاتحاد الذي أقسم عليه قيادات المجاهدين في جوف الكعبة .. ولكن "سياف" خرج منها لينشئ تنظيم خاص

به أسماه الاتحاد الإسلامي .. بدلاً من أن ينشئ مجلسي قيادة وشورى للمجاهدين .. ولم يكن لدى "سياف في ذلك الوقت سائقين بعدد السيارات ولا جهاز إداري يستوعب برنامج رأسماله عدة ملايين .. فوقع في إشكالية عجزه الإداري إذ لا يمكن تصريف أي عمل حتى لو بسيط كإصلاح إطار سيارة إلا بالعودة إليه والحصول على قيمة الإصلاح منه .. وهكذا سارت معه الأمور في بناء تنظيمه والذي استمر فوضوياً حتى قضت عليه حركة طالبان عندما وفقها الله لاستلام حكم أفغانستان ..

موضوع هذه المحاضرات هو فلسفة حرب العصابات .. وهنا نطرق بعض الموضوعات والتعريف والإشارة لأهميتها .. ومن ثم كما أسلفت في بند الأمن يجب العودة في الاقتصاد إلى الدراسات والمتخصصين ورجال المال للتثقيف من طرف .. وإحسان العمل من طرف أخر ..

***

الثالث عشر : الاستراتيجية

(تعتمد كل حرب على الخدعة .. فعندما تكون قادراً تصنّع العجز .. وعندما تكون نشطاً تصنّع التراخي .. وعندما تكون قريباً .. أعط الخصم انطباعاً بأنك ما زلت بعيداً .. وعندما تكون بعيداً اجعل العدو يؤمن بأنك قريب .. قدم للعدو طعماً لتجذبه .. تظاهر بالفوضى واضربه .. وعندما يحتشد تحضر له .. وتجنبه عندما يكون قوياً .. أزعج قائده .. وسبب له الاضطراب .. تظاهر بأنك أضعف منه لتزيد من ثقته بنفسه .. ركز عليه ضغطاً مستمراً لاستنزافه .. عندما يكون متجمعاً جزّئه .. هاجمه عندما لا يتوقع ذلك .. واظهر عندما لا ينتظر ذلك .. تلك هي مفاتيح النصر بالنسبة إلى الاستراتيجي)[٤٤]

حرب العصابات في جوهرها "إستراتيجية دفاعية ذات طابع هجومي" .. تهدف إلى إنهاك العدو بضربات سريعة ومستمرة ولفترات طويلة .. لا تعتمد المواجهات الحاسمة إلا في مراحل متأخرة .. تقدم الأرض مقابل الوقت .. تحسن الانتشار والتجمع .. تعيش في بحر الشعب .. ويتطلب تنفيذ هذه الإستراتيجية .. الاحتفاظ بالمبادرة .. الاستمرار في الحركة .. تفهم العلاقة بين الهجوم والدفاع .. تطوير العمليات المتحركة .. طرح الفكرة السياسية التي تستقطب السكان ..

تمر حرب العصابات بثلاث مراحل أساسية الفاصل بينها عملي وفني مرتبط بالزمن وصلابة العدو .. تهدف الحرب من خلال مراحلها الثلاث إيصال العدو إلى مناخ الانهيار .. سواء بانهيار النظام قبل تدمير قوته العسكرية .. أو تدمير القوة العسكرية لتدمير النظام .. فالانفصام

---

[٤٤] صن تزو كتاب فن الحرب

الاجتماعي السياسي والفشل الاقتصادي يؤدي إلى استنزاف القوة العسكرية .. والعمل العسكري غير المفيد يقطع الروابط الاجتماعية السياسية ويؤدي إلى استنزاف وفشل اقتصادي .. نفس المناخ ..

وأفضل الأمثلة التي ضربت على إنهاك وانهيار النظام هو مثال البراغيث والكلب[٤٥] ..فالعصابات تشن حرب البرغوث .. ويعاني عدوها العسكري من السلبيات التي يعانيها الكلب: مساحة كبيرة للدفاع عنها .. عدو شديد الصغر .. منتشر في كل مكان .. سريع الحركة بحيث يصعب القبض عليه .. فإذا دامت الحرب ما يكفي من الزمن .. فإن الكلب لا بد أن ينهك وينهار ويسقط في ساحة المعركة بسبب الإجهاد وفقر الدم والعزلة .. وفشله في أن يجد ما يعضه بأنيابه أو أن يحكه بقوائمه .. خاصة وأن الكلب يعيش في محيط من العزلة الاجتماعية .. ومناخ من الاستنزاف الاقتصادي ..

عملياً فإن النظام يضعف باستمرار بسبب (انتشاره عسكرياً .. وعدم شعبيته اجتماعياً .. وعزلته سياسياً .. وزيادة كلفته اقتصادياً)[٤٦] .. وفي النهاية يفقد القدرة للدفاع عن نفسه .. في الوقت عينه تكون العصابات نمت وانتشرت وتحولت إلى وباء .. بفضل مجموعة طويلة من انتصارات صغيرة .. استطاع في كل واحدة منها أن يقضي على جزء من قوة العدو العسكرية .. ويضيف لعناصره عناصر جديدة من القوة على شكل أسلحة مسلوبة يسلح بها أنصاره الجدد .. وفي اللحظة التي تسقط فيها القوة العسكرية باركة .. تركز العصابات قوتها للانقضاض الحاسم ..

---

[٤٥] حرب المستضعفين .. روبرت تابر

[٤٦] وهذا باختصار هو ما يجب أن تنجح فيها العصابات "فبقدر ما تضعف عدوها في هذه الميادين بقدر ما تضاعف قوتها فيها".

كان هذا استعراض داخلي أما على المستوى الدولي .. فإن رجال الأعمال والبنوك والشركات العملاقة لا تقوم بإقراض أو استثمار أموالها بلا فائدة لانعدام الأمن .. وزعزعة الأمن الداخلي تمارسه العصابات بحرفية .. وطرق المواصلات الدولية تقطعها العصابات بعمليات نوعية لتمنع وصول أي دعم للنظام ..

أما ما يسمى (الرأي العام العالمي) فإنه فقد الكثير من أهميته بعد استئثار الولايات المتحدة بالسلطة العالمية .. فالقضية التي ترغب في تهيج الرأي العام لها .. تحشد ماكينتها الإعلامية والسينمائية الجبارة لنصرتها .. وتلبس على العالم الحقائق .. أما مالا رغبة لها في نشره فربما لا يأتي ذكره ولو على سبيل التأبين .. والتجارب المفجعة في أمريكا اللاتينية تشهد بذلك .. ولم يعد لإدانة الأمم المتحدة أثر ولا للجان حقوق الإنسان أو لجنة حرية الصحافة .. ولا حتى للقانون الأمريكي بعد الانقلاب العسكري في مصر في ي٣وليو ٢٠١٣م واستمرار الدعم المادي .. فهي لا تهتم إلا بالمنفعة المتمثلة في حماية المصالح الأمريكية في دولة الصراع ..

وبالتالي على العصابات أن تكون حازمة في عملياتها الخارجية .. فالعمل العسكري يجب أن يكون على الأرض الأمريكية إن مثلت حليفا قوياً للنظام .. ويكون من القوة والضخامة بحيث لا تنساه الأجيال القادمة ولا تخفيه الآلة الإعلامية .. وتكون الرسالة من وراءه مكتوبة بوضوح ليفهمها كل مواطن أمريكي .. ويعلم أن ما حدث هو رد فعل وتعبير عنيف لكنه أقل بكثير مما تفعله حكومة أمريكا بالعصابات وشعبها ..

يجب على حرب العصابات وتنظيمها السري في المدن أو بالخارج .. أن يهدفا إلى تدمير صورة الحكومة وحلفائها الدوليين .. لتحريك (الرأي العام

الداخلي) في الدولة الحليفة لأعداء العصابات .. ضد حكومتهم .. وإحداث انشقاق سياسي وامتعاض اجتماعي بها .. تساهم في تحجيم مساندتهم لعدوهم المباشر .. أو انسحابهم من خريطة الحلفاء بناء على عمليات الردع الخارجية .. وكذلك اكتساب حلفاء جدد للعصابات ..

لعبة الكراسي الموسيقية التي دارت في مصر تؤكد ذلك " مبارك .. العسكر .. مرسي .. العسكر" .. نموذج الانتفاضة المصرية في ع٢٠١١م مثالي لفهم الدور الدولي الأمريكي .. أدخل نظام مبارك مصر في كهف مظلم .. عمل في داخله على إفساد الشعب على المستوى النفسي والأخلاقي والاجتماعي .. وتدمير عقيدته الإسلامية .. وحرمانه من فرص الحياة الكريمة .. واستأثر له ولابنه بالسلطة .. واحتكر وطبقة من العسكر ورجال الأعمال الثروة .. وخارج الكهف عمل على تأمين العدو اليهودي وحماية المصالح الأمريكية .. وعلى الرغم من هذه الفوائد العظيمة للأعداء إلا أنهم اختلفوا ومعهم الجيش في قضية خليفته .. وإن لم يكن الخلاف جلياً لكنه كان كبيراً .. فقد خان مبارك العسكر .. وبالتالي عندما قامت الانتفاضة ضده ترك نظام مبارك ليسقط .. ورحب العالم وعلى رأسه أمريكا بالانتفاضة وروعتها إعلامياً .. أما في الكواليس فقد أعطت الانتفاضة الفرصة كاملة لتضع نظامها .. وقد أعدت للوليد الجديد قبره .. فسواء تبين لها أن القادم يهدد مصالحها على المدى البعيد فخططت للانقلاب .. أو أنها خططت للانقلاب منذ اندلاع الانتفاضة .. أو أن حلفاؤها من العسكر أو المحيط الإقليمي يرفضون التغيير ويخشون العدوى .. وأيا ما يكون السبب فقد كان سيناريو "أجاكس٢" جاهزاً .. ويبدوا أن الجيش كان مدرباً عليه مسبقا .. فأصدرت أمر تنفيذه سراً .. ودعمته علناً سياسياً واقتصادياً من خلال حلفائها في

المنطقة .. وأطبقت فمها وأغمضت عينها عن كل الجرائم المفزعة التي لم تشهد مثلها مصر .. منذ حقبة الهالك جمال عبد الناصر ..

***

مراحل حرب العصابات:

أولاً: مرحلة الدفاع الاستراتيجي:

هكذا أطلق عليها وبه اشتهرت .. إلا أن تكتيك الحرب هجومي .. يمارس فيها كل أشكال الهجوم عدا المواجهات .. والعملية الدفاعية فيها سلبية تماماً .. إذ لا يوجد لدى العصابات ما تدافع عنه إلا الفرد المقاتل نفسه .. والمطلوب منه البقاء على قيد الحياة .. ويتحقق ذلك بالتملص والذوبان .. التملص من العدو والذوبان في المجتمع .. ولا يدخلون في معارك لم يبدؤها .. والتي يبدؤها يجب أن تكون سريعة وحاسمة سرعان ما يتسللوا منها .. ويتركون الأرض مقابل الوقت .. ليس لهم مقر ثابت يرجعون إليه .. وذلك سواء في كل الميادين (المدن .. المناطق الوعرة) .. فالعصابات لا تتخذ قاعدة ثابتة .. إلا في أرض الحلفاء إذا كان الجيش لا يجرؤ على عبور الحدود للاشتباك معها .. فإن كان لدى الجيش القوة والجرأة فتظل العصابات متحركة في المناطق الوعرة بلا قاعدة ثابتة يمكن كشفها وتدميرها ..

*** العصابات:**

في هذه المرحلة لا بد للعصابات على المستوى الاستراتيجي من تحقيق المطلوب منهم في ميادين الصراع الأربعة .. "الاجتماعي .. السياسي .. الاقتصادي .. العسكري" ..

على المستوى الاجتماعي تكون العصابات ظاهرة جديدة .. تسعى لكسب التأيد الشعبي .. والشعب ينظر إليها بشك وأمل .. شك في قدرتها على

النصر وأمل في تحريره من معاناته .. وتعمل العصابات على أن لا تحمل الشعب فوق طاقته من المصروفات حتى يثق فيها .. وهي علاقة طردية فكلما وثق الشعب في العصابات كلما زاد تحمله لنفقاتها .. وعلى العصابات ألا تأخذ شيئاً إلا بحقه أو بنفس راضية ..

وهكذا في المجال السياسي فتعمل أيضاً من أجل تنمية الوعي السياسي وروح التمرد .. وعليهم أن يستدرجوا النظام لزيادة حدة القمع السياسي .. لزيادة التوترات الاجتماعية والسياسية بهدف تنشيط المعارضة وزيادة التفتت للتركيبة السياسية .. ولهذا تبذل العصابات مجهوداً دعوياً وسياسياً يهدف إلى كسب الانتماء الشعبي .. أي أنها تنتمي للشعب بنفس القدر الذي لا ينتمي به النظام للشعب .. والنسبة بين طرفي المعادلة عكسية فكلما زاد ارتباط العصابات بالشعب قل ارتباط النظام ..

المجال العسكري هو أفضل عنصر يزيد من ارتباط الشعب بالعصابات من خلال النجاح في العمليات العسكرية حتى لو كانت صفعة على وجه ضابط .. وكلما كانت العمليات سريعة ودقيقة ولا يصاب فيها أحد من الشعب وتجني منها العصابات غنائم عسكرية كلما التصقت العصابات بشعبها .. وكلما تركت عملياتهم انطباعاً جيداً في الشعب إزداد عدد المنضمين للعصابات يومياً .. في هذه المرحلة يتم استنزاف العدو وإنهاكه .. وتفتيت وحداته وزيادة الانشقاق في صفوفه .. وتكبيده نفقات مالية وقطع عسكرية تعود بالنفع على المجاهدين .. من المهم في هذه المرحلة أن يتوفر لدى العصابات الأسلحة المضادة للطائرات من الصواريخ المحمولة على الكتف .. العمليات العسكرية يجب أن تعود دائماً بمردود اجتماعي وسياسي واقتصادي وغنائم عسكرية .. المطلب الرئيسي في هذه المرحلة من

العصابات أن يبتعدوا عن كل مواجهة عسكرية حتى اليوم – وهو إن شاء الله لا بد آت – الذي يحققون فيه توازن القوى ..

يجب أن تسير العمليات وفق رؤية اقتصادية تفقد العدو مصادر أمواله وتحقق للعصابات مصدر تمويلي .. سواء بالأسلحة أو المعدات أو المعلومات أو الأموال .. ومن العمليات المالية خطف عناصر لها تأثيرها في النظام أو في الدولة الحليفة مقابل فدية مالية أو حتى معدات أو أجهزة اتصالات .. ومن المهم أن نذكّر بأن السبب الرئيس لغزوة بدر كان قيام الرسول ﷺ بمحاولة الاستيلاء على قافلة أبي سفيان قال تعالى { وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتِيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللّهُ أَن يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ {٧} الأنفال .. ومن المهم في المجال الاقتصادي أن تعمل العصابات على تخفيف معاناة الشعب .. ففي حين يسعى النظام لتحميل الشعب بنفقاته وفساده .. تعمل العصابات في هذه المرحلة على تحمل نفقاتها والبعد عن تحقيق أضرار بالمشروعات الاقتصادية الأهلية ..

وتقدم جبهة النصرة وأخواتها في سوريا نموذجا رائعاً في تعاملهم مع الشعب على المستويات كلها ..

* **العدو:**

في هذه المرحلة يكون النظام في حالة هجوم استراتيجي يهدف من خلاله إلى القضاء على أي معارضة في أقصر وقت وأقل عدد من المعارك .. ويحاول أن يستدرج العصابات لمعارك حاسمة .. يستخدم في سبيل الوصول إلي أهدافه أبشع الأساليب الهمجية .. وأقذر الأعمال الوحشية .. وأقسى الإجراءات التعسفية .. بهدف إرغام الطرف المعتدي عليه على الاستسلام ..

وإذلاله عن طريق تنفيذ معركة خاطفة للوصول إلي حدود الخارطة الجغرافية للبلاد .. للقضاء عليهم ولا يلقي بالاً لما ستعانيه البلاد من الخسائر المادية والمعنوية الكبيرة ..

الأدهى والأمر أن النظام يقوم بعمليات تخريب للمنشأت الخدمية ويلصقها بالعصابات ليغضب الشعب عليهم .. ويقوم بعمليات قتل لجنوده .. أو يتخلص من بعض العناصر السياسية والإعلامية والأمنية ويلصق ذلك بالمجاهدين .. وكثيراً ما يثير الفتن الداخلية بين طبقات الشعب أو مكوناته الدينية .. وذلك من أجل إرهاب الشعب وإخافته من أبنائه المجاهدين ..

وسواء كان النظام عدو محتل أو وكيل له أو نظام ظالم مستبد .. ففي هذه المرحلة يكون في منتهى الظلم والقسوة والوحشية .. ويتعامل مع الشعب بقمع ويستخدم كل وسائله من قوات جوية (الهليكوبتر خاصة) وأرضية واستخبارات وأمن داخلي .. ويلقي بالقبض العشوائي على العديد من أفراد الشعب من خلال حالة الطوارئ .. ويضعهم في سجون ومعتقلات سرية يذيقهم فيها ألوان العذاب بلا شفقة أو رحمة يسانده في ذلك المحاكم العسكرية .. وأحيناً يقوم بتسريب صور التعذيب لإخافة الناس مثلما حدث من الأمريكان بالعراق في قضية سجن أبو غريب الشهيرة ..

ويفرض على الشعب تعتيم إعلامي من خلال: أولا عزل المناطق إعلاميا بمنع الإعلاميين من الدخول إلى مناطق الإبادة .. وثانياً من خلال جهازه الإعلامي الذي ينقل ما يريد من خلاله .. فيظهر المجاهدين على أنهم قلة مرفوضة .. وأنهم مفسدون في الأرض ويحشد على شاشاته وخلف ميكرفوناته علماء باعوا دينهم يتعاطون مع الكذب تعاطي المدمن على المخدر .. ومن طرف أخر يظهر رحمة أجهزته العسكرية في التعامل مع

الشعب المستضعف الذي يعاني من المجاهدين .. ويخفي تماماً ما يرتكبه من جرائم إبادة ضد الشعب .. ويروج لذلك داخلياً وينشر الشائعات ويتركها تسري لتخويف الشعب وإرهابه لكسر جرأته وتحويله من قدوة إلى عبرة ..

تماما كما يحدث هذه الأيام في مصر سواء في سيناء أو مركز دلجا بالصعيد أو في كرداسة التي سوتها بالأرض دبابات نظام جمال عبد الناصر من قبل .. وبحماقة العسكر المعهودة تجدهم تركوا حماية الحدود وانتشروا في العديد من الأماكن .. والغريب أن تصل حماقاتهم أن يتواجدوا في المدارس الابتدائية يفرضون على الصغار أناشيد وكلمات تأتي دائماً بمردود عكسي .. إن أغرب بل أعجب منظر رأيته هو: دخول تلاميذ إحدى المدارس الابتدائية في مصر إلى المدرسة بين صفين من جنود الجيش؟!!! ..

على المستوى الاقتصادي يعمل العدو على إخفاء الحقيقة عن المستثمرين .. معلناً أن ما يحدث لا يعدو كونه إضرابات عادية وأنه سيعمل على تلبية رغبات الجماهير .. في هذه المرحلة يكون العدو قوي اقتصادياً وما زال مدعوماً من حلفاؤه المحليين والإقليميين والدوليين ..

*** الأهداف المطلوب تحقيقها في هذه المرحلة:**

من المهم في نهاية هذه المرحلة أن تظل العصابات متفوقة سياسياً منظمة اقتصادياً محبوبة اجتماعياً أما في الجانب العسكري فيجب أن تتعادل كفتي الميزان العسكري بين كفاءة المقاتلين وإمكانات الجيش المقابل .. فالعصابات تحركت في المجالات الأربعة السابقة لكي تصل إلى نقطة التحول لمرحلة التوازن .. نقطة التحول هي: تلك الفترة الزمنية التي يبدأ فيها الجيش تحت وطأة ضربات العصابات بالتخلي عن الهجوم الاستراتيجي

.. ويبدأ بترك حصار العصابات في الأراضي الوعرة أو الأطراف .. ويعمل على تأمين المدن الهامة والأماكن الحساسة .. عند هذه النقطة ينتقل العمل العسكري للمرحلة التالية .. وعليه تكون العصابات قد حققت الأهداف التالية في هذه المرحلة:

١- كسب التأييد الشعبي العام .. إذ لا يمكن كسب تأييد كل الشعب حتى بعد الحسم واستلام الحكم.

٢- بناء منظومة اقتصادية توفر الدعم المادي للمجاهدين من خلال المشروعات الصغيرة والمساهمات الشعبية .. أو السيطرة على بعض الثروات ففي الحرب الكوبية سيطر الثوار على تجارة البن التي قدرت بستين مليون دولار .. وفي المناطق الإسلامية يمكن السيطرة على منابع النفط أو مناجم الذهب والأحجار الكريمة ..

٣- نشر الفكر والتوعية السياسية وإرادة التمرد بهدف تعديل موازين القوة ..

٤- كسب حليف وأرض صديقة يقدمان العديد من الخدمات الإدارية ..

٥- بناء منظومة أمنية لرفع مستوى الاستخبارات لتأمين العصابات ويعتمد فيها على تعاون الشعب وما يقدمه من معلومات تساهم في تحقيق التوازن..

٦- استكمال بناء مجموعات العمل السري في المدن والقرى .. وتنسيق العمليات بينهما وبين المناطق الوعرة ..

٧- إرهاب الجيش وإيقاف حدة هجومه وجعله يكتفي بتأمين مدنه الهامة ووحداته العسكرية ..

٨- وضع العدو أمام معضلة كبيرة تتمثل بالتبعثر لحماية كل الأهداف الأمر الذي يضعفه في كل مكان .. أو التجمع للحصول علي القوة الأمر الذي يفقده السيطرة علي مناطق شاسعة تسقط بيد العصابات وتزيدها قوة ..

٩- تحرير بعض المناطق الوعرة أو على الأطراف لإنشاء قواعد عسكرية ثابتة تناسب المرحلة المقبلة .. أو إنشاء هذه القواعد على أرض الحليف إن كانت قوته العسكرية تساعد على حماية أرضه ..

*** محازير على المستوى الاستراتيجي:**

يهدف العدو في هذه المرحلة لتطبيق ثلاث نقاط:

- إنشاء تيارات سياسية للتصدر المشهد السياسي على أنهم يمثلون المعارضة الحقيقة ويشكلونهم من كافة المرجعيات (وطنية .. علمانية .. لبرالية .. شيوعية .. سلفية .. إلحادية) وربما يشكلون منهم جميعاً جبهة للإنقاذ الوطني ..

- إنشاء مجموعات عسكرية تمارس القتل والإرهاب في صفوف الشعب .. كما تقاتل العصابات المجاهدة .. ولا ترفع سلاحها في وجه الحكومة .. وقد تت الحكومة عن بعض المناطق لتعيث فيها فساداً .. وأثر ذلك معروف على مستوى الصف الداخلي للعصابات أو لرؤية الشعب لهم ..

- تمويل بعض العناصر الطموحة والأنانية داخل صفوف العصابات بهدف إختراقهم وبث روح الانشقاق فيهم .. وضرب تماسك العصابات خاصة إذا كان القائم على الحرب تيار فكري واحد ..

أما على صعيد العصابات فيجب أن تحذر من عدة أمور أهمها:

- الدعم الخارجي للحلفاء الجانب الخبيث منه والذي يهدف إلى خلق مناخ من الفرقة بين عناصر العصابات لتفتيت وحدتها ..

- وكذلك تحذر من نشأة تيار أخر يريد أن يستفيد من وضع الدولة الضعيف لتحقيق مأربه الشخصية وربما مأرب من يعمل على دعمه ..

على العصابات أن تكون واعية للانقسامات الداخلية كما تكون منتبه لمن يريد أن يقطف ثمار عملها .. وعليها في الحالتين أن تكون حازمة معهم ومع الحلفاء بشكل أكبر .. ولا تترك الفرصة أبداً لانتشار عوامل الضعف والتفتت فيها .. وهو ما عانت منه أفغانستان .. فبدلاً من أن تجتمع أحزاب المجاهدين فيها وكلها كانت إسلامية الانطلاق إلا أن الدور السعودي والباكستاني ومن ورائهم أمريكا وأيضاً الدور الإيراني والفرنسي .. عمقت نقاط الخلاف ولعبت على العرقية والتنافس بين البشتون والفرسوان من جهة .. ومن جهة أخرى لعبت على الخلافات المذهبية والتوجهات الصوفية .. ودقت أسافين الفرقة والشقاق .. وعمقت حظوظ النفس والرغبة في الرياسة .. في حين كان يمكن أن تجتمع رايتهم ويجدوا لهم في النظام الإسلامي ما يجعلهم يبنوا دولة لها مستقبل واعد .. تنطلق منها الرايات السود ..

هذه المخاطر والمحازير تجعل من الأمن بند لا يستهان به في المرحلة القادمة ..

ثانياً: مرحلة التوازن الإستراتيجي:

نجحت العصابات في إرغام العدو مع نهاية المرحلة الأولي للحرب علي إيقاف هجومه الاستراتيجي عند نقاط محددة تمليها طبيعة الأرض .. كما أرهقت وحداته المقاومة الضارية التي حطمت آماله .. وقصور قواته المسلحة عن التوغل في العمق خلال هجومه أكثر مما وصل إليه .. وفقدها الرغبة والإرادة للقيام بذلك .. وهذا أول وأهم مؤشرات النصر .. إراهاق الإرادة .. لتصل في نهاية هذه المرحلة إلى فقد الإرادة .. وفي مرحلة تالية لاحتلال إرادة العدو .. فقمة النصر هو القضاء على إرادة العدو القتالية ..

في هذه المرحلة (مرحلة التوازن العسكري) يضاف إلى ميادين عمل العصابات الأربعة " الاجتماعي .. السياسي .. الاقتصادي .. العسكري" ميدان خامس وهو "الأمن" .. عنصر الأمن قائم دائما ولكنه في هذه المرحلة يولى أهمية خاصة .. لأن العصابات سوف تتخذ لنفسها قواعد ثابتة تحتاج إلى رعاية أمنية ومخابراتية .. ضد القوات المضادة للعصابات .. وكذلك ضد عمليات التخريب التي تقوم بها الاستخبارات الحربية .. ولحماية مقار إقامتها من عناصر الاستطلاع الالكتروني الأرضي والجوي .. سواء بالطائرات أو الأقمار الصناعية .. أو حتى من الجواسيس والصحفيين ..

يتم الانتقال إلى هذه المرحلة بشكل عفوي يتطور تدريجياً .. فبعد أن كان المقاتل يدمر معدات العدو ليمنعه من استخدامها أصبح يخبئها ويحافظ عليها ليستخدمها مستقبلاً .. وحينما انكمش العدو في اتجاه المدن تمدد المقاتل على أطراف المناطق الوعرة وأقام في عمقها مراكز للتموين سرعان ما تتحول لقواعد إدارية .. يسحب إليها ما يغنمه من معدات ووسائل .. وهكذا ..

إن علامات الدخول إلى هذه المرحلة هي انكفاء جيش العدو لحماية المدن وتحوله من الهجوم الاستراتيجي إلى الدفاع .. وتبدأ العصابات بإنشاء قواعد ثابتة بعد أن كانوا أشبه بالبدو الرحل .. كفاءة العصابات القتالية التي بلغت من القوة ما أوقفت به زخم المهاجم وزادت من جروحه حتى جعلته يتبنى فلسفة جديدة فينظم نفسه بشكل يمكنه من صد عمليات العصابات ويقصر عملياته الهجومية على القرى النائية أو أطراف المناطق الوعرة .. وهذا يفسر المقصود بالتوازن .. فالتوازن ليس في العدد والعدة .. وإنما في الكفاءة والفاعلية القتالية .. فكلا الفريقين عاجز عن تحقيق الحسم على الآخر .. فقوة العدو تزداد ضعفاً وارتباكاً وإحباطاً واضطراباً .. وقوة العصابات النامية تزداد قوة وكفاءة لتمكنها في مرحلة لاحقة من الحسم ..

* **العصابات:**

السمة الأساسية في هذه المرحلة هو إنشاء القواعد الثابتة في المناطق الوعرة .. ثم تحرك العصابات من المناطق الوعرة والأطراف إلى المناطق التي تليها وعادة ما تكون القرى القريبة والمحافظات البعيدة عن العاصمة .. وبالأصح تسيطر على المناطق التي تواليها سياسياً أو التي نجحت فيها فكرياً أو خدمتها إدارياً ..

من السمات الرئيسة للمرحلة هي بدأ تشكيل العصابات لوحداتهم الكبرى التي تجهزها للمراحل القادمة .. كما أنها تمارس القتال بوحدات أكبر حجما .. وتبدأ في الدفاع عن مناطقها ولكن بحسابات مرنة .. فتدافع بشراسة عن القواعد الثابتة في المناطق الوعرة وتدافع بمرونة عن المناطق التي تليها .. وتتمدد باتجاه العدو كبقعة الزيت ..

أيضا من سمات هذه المرحلة هو توفر الأسلحة الثقيلة للعصابات سواء دبابات أو مدفعية أو راجمات صواريخ .. وتزيد مضادات الطائرات الثابتة .. وذلك في محاولة لإبعاد الطائرات عن قواعدها المخفية في الجبال والمحمية جيداً ..

وكذلك من سمات المرحلة هي السيطرة وإدارة بعض مصادر التمويل في المناطق الوعرة أو التي حررتها .. لقد استطاع كاسترو في كوبا أن يسيطر على مزارع البن التي كانت توفر دعما ماليا يقدر بـ مليـ٦٠ـون دولار سنوياً .. وفي أفغانستان سيطر المجاهدون على مناجم الأحجار الكريمة ..

<u>مهام القاعدة الثابتة:</u>

يمكن أن نقول أن هذه القاعدة تنشأ وتتطور بشكل آلي أيضاً .. فحينما تتمكن العصابات من كسر حدة الطيران وإيقاف زخم المهاجم .. تبدأ في التجمع في أكثر الأماكن حصانة وأمناً .. فيتم جمع الغنائم بها والتي لم تستطع العصابات استخدامها من قبل مثل الدبابات والمدفعية الثقيلة وذخائرهما .. وغيرها من الأسلحة الثقيلة والمواد التموينية والوقود .. والمضادات الجوية المحمولة والثابتة .. فالقاعدة تبدأ كمركز شؤون إدارية ثم تتحول تدريجياً إلى مركز قيادة للعمليات .. ومع زيادة كفاءة العصابات ينشأ في القواعد مراكز تدريب .. ورش صيانة .. ثم مقر قيادة يتم منها إدارة المناطق المحررة ..

كما تقام فيها محطة بث إعلامي مستفيدة من حصانة الموقع والإمكانات اللامحدودة للعصر لوسائل الإعلام المتنوعة .. في هذا الزمان يكون من علامات فشل العصابات هو عدم قدرتها على إيصال صوتها للعالم أجمع ..

إذ يتعذر تماماً على أي عدو مهما بلغ من القوة أن يكتم صوتاً أو يحجب صورة ..

هذه الواجبات التي تقوم بها القاعدة لا يعني أبداً أنها لا بد أن تكون مجمعة في مكان واحد .. بل على العكس تكون منتشرة بحسب خطة أمنية راقية .. فمهمة الأمن أن تمارس كل الوحدات مهامها المنوطة بها تحت حماية نشطة تمنع من تعرضها لخطر يستأصلها .. ومن هنا تبرز أهمية الأمن والاستخبارات في هذه المرحلة ..

فيعمل أيضاً على توفير المعلومات عن نوايا العدو وتحركاته خاصة التي تستهدف القاعدة .. وهذا يساهم كثيراً في حمايتها .. كما أن بناء المراكز في القاعدة على أسس حصينة تمنع من تدميرها .. وتصبح غارات العدو مجرد إزعاج بلا خسائر تذكر ..

* **العدو:**

يخرج جيش العدو من المرحلة السابقة محبطاً .. فقد مارس كل ما أمكن وقاتل بكل ما توفر له من معدات .. ولكنه لم يزد العصابات إلا قوة ومهارة وصلابة .. فتعمد القيادة لبناء إستراتيجية جديدة تعالج بها الخلل الذي تسببت به هجمات العصابات ويتناسب مع الوضع الاقتصادي الذي ينهار تدريجياً ..

على الرغم من أن الجيش لازال لدية عناصر قوة تمكنه من التحرك في كل مكان إلا أنه من الناحية العملية يظل فاشلاً في استخدامها ..

يوقف الجيش حدة عملياته الهجومية على الأطراف والمناطق الوعرة .. ويلجأ إلى ما يظنه حصاراً للعصابات بإنشاء دفاعات ثابتة على حدود

المناطق التي تتحرك فيها العصابات .. يحاول الجيش أن يقتحم بعض القواعد للعصابات .. وقد يتمكن إلا أن التكلفة تكون في صفوفه على كافة المستويات ثقيلة جداً (جاور- أفغانستان) .. فيكون نصراً له بطعم الهزيمة .. تثمر تلك العملية عن فقد الجيش الرغبة في معاودة المحاولة مرة أخرى ..

يحاول في هذه المرحلة تقوية الأراضي المحتلة لصالحه .. سواء في إقامة التحصينات الاصطناعية المختلفة .. أو بتشكيل حكومات وسلطات صورية مهلهلة تخدم أفكاره وتأتمر بأمره .. ولا يتواني علي أي حال عن أعمال السلب والنهب جهد طاقته ..

إلا أنه تحت وطأة العصابات تتحرك نقاط الدفاع التي أنشأها الجيش تدريجيا حتى تصبح حول المدن الهامة والأماكن الحيوية في الدولة فقط .. وكأن الجيش والقيادة السياسية تطيل أمد الصراع على أمل أن تتحقق معجزة تنقذهم .. ولكنهم يسقطون تدريجياً قبل الانهيار الأخير ..

إن الخطط على المستوى الإستراتيجي للعدو في هذه المرحلة تدور في فلك أنه لازال موجوداً فقط .. وأن عليه أن يمارس دوراً ما .. أما كونها تحقق له انتصاراً حاسما فلا .. ولاحظ الخبراء أن دخول العصابات للمرحلة الثانية للحرب هو مؤشر على نجاحها .. بل إن البعض أكد على صعوبة هزيمة عصابات بلغت مرحلة التوازن إلا بحرب إبادة .. وهو ما لم يعد متوفراً .. كما أنه لم ينجح من قبل ..

محازير هذه المرحلة:

تستمر الأخطار التي ذكرناها في المرحلة السابقة تهدد العصابات .. لكن العصابات في هذه المرحلة تواجه خطراً أكثر رعباً .. على مستوى الأمن الفكري ووحدة العصابات .. ينطلق الخطر من داخل المجموعة القيادية

المركزية أو حتى القيادات الفرعية أو قيادات الولايات البعيدة .. لقد كبرت واشتهرت عناصر العصابات .. وأصبح لها مكانتها في الحرب .. سواء كانوا في المجال السياسي أو العسكري أو الشرعي أو الأمني أو الاقتصادي .. ففي هذه المرحلة يكون الخطر الأكبر هو الانشقاقات .. سواء بسبب تدخلات الحلفاء أو للأطماع الشخصية .. وربما لأسباب عرقية أو حتى قطرية .. في هذه المرحلة تظهر جودة البنيان الداخلي مع براعة جهاز الأمن وقدرات الأمير العام النفسية والفكرية .. فعلاج هذا الخطر يعتمد على برامج التربية الفكرية (الشرعية والسياسية والأمنية) التي تصقل الغيرة وتنضج الطموحات وتقوم روح التمرد .. هذه البرامج نفذت في المرحلة السابقة وتزيد أهميتها يوماً بعد يوم في المراحل التالية .. وإذا أهمل فيها أو لم تنجح في كسر الطموحات الفردية فيجب مراجعتها وإضافة ما يقوم الفشل .. كما يعتمد **العلاج** على براعة جهاز الأمن في الحد من خبث الحلفاء ومحاولتهم زرع بذور الفرقة والانشقاق داخل صف العصابات أو كشف محاولات أجهزة المخابرات المعادية دس عناصر تم تطويعها أثناء فترات الحبس والاعتقال .. ويأتي **العلاج** الأهم من الأمير .. إذ يترتب على طيب نفس الأمير وحسن خلقه ودماثة طباعه وتواضعه وكرمه وفراسته ومسامحته وحلمه ووفاؤه وسماحته ولينه وحزمه .. وكذلك حسن فهمه الشرعي والسياسي وبراعته الإدارية .. فلهذه الصفات النفسية والفهم العملي دور كبير في وأد أي فتنة داخلية .. كما تحفظ وحدة العصابات الفكرية .. فالأمير جنة ..أخرج البخاري ومسلم واللفظ له: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ عَنِ النَّبِيِّ قَالَ: «إِنَّمَا الإِمَامُ جُنَّةٌ .. يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ .. وَيُتَّقَى بِهِ .. فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ .. كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ .. وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ .. كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ» .. وقوله: «إنما الإمام جنة» بضم الجيم أي سترة .. لأنه يمنع العدو

من أذى المسلمين ويكف أذى بعضهم عن بعض .. أهـ من فتح الباري لإبن حجر العسقلاني ..

قال النووي «الإمام جنة» أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته .. ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد والظلم مطلقاً .. أهـ من شرحه على صحيح مسلم .. وقال الخطابي: معناه أن الإمام هو الذي يعقد العهد والهدنة بين المسلمين وبين أهل الشرك .. فإذا رأى ذلك صلاحاً لهم وهادنهم فقد وجب على المسلمين أن يجيزوا أمانه لهم .. ومعنى الجنة العصمة والوقاية .. وليس لغير الإمام أن يجعل لأمة بأسرها من الكفار أماناً .. أهـ من عون المعبود ..

قال القرطبي: أي يقتدى برأيه ونظره في الأمور العظام والوقائع الخطرة ولا يتقدم على رأيه ولا ينفرد دونه بأمر مهمّ .. «يقاتل من ورائه»: أي أمامه ووراءه من الأضداد يقال بمعنى خلف وبمعنى أمام وهذا خبر عن المشروعية أي يجب أن يقاتل أمام الإمام ولا يُترك يباشر القتال بنفسه لما فيه من تعرضه للهلاك فيهلك كل من معه .. قال: وقد تضمن هذا اللفظ على إيجازه أمرين أن الإمام يقتدى برأيه ويقاتل بين يديه فهما خبران عن أمرين متغايرين وهذا أحسن ما قيل في هذا الحديث .. «ويتقى به» أي شر العدو وأهل الفساد والظلم «فإن أمر بتقوى الله وعدل فإن له بذلك أجراً» قال القرطبي: أي أجراً عظيماً ..

***

ثالثاً: مرحلة الهجوم الاستراتيجي:

في هذه المرحلة (مرحلة الحسم العسكري) تنظم العصابات قواتها إلى وحدات كبيرة بغية الهجوم الحاسم على العاصمة والمدن الكبرى التي بقيت بيد العدو .. ففي المرحلة السابقة تمكنت العصابات من الحصول على غنائم ودعم من الحلفاء وفر لها شتى أنواع الأسلحة التي يحظى بها الجيش النظامي .. ولم يعد أمام العصابات إلا أن تقوم بالدَفْعَةِ الأخيرة لجيش العدو ليسقط النظام .. أو تفر عناصر النظام ليستسلم الجيش .. فتدخل العصابات العاصمة وتنتقل إلى مرحلة جديدة هي مرحلة الدولة .. والتي تكون بدايتها كنشأتها .. ثورية في كل شيء .. يبنون فيها نظامهم السياسي والاقتصادي وفق معتقدهم .. ويحققون العدالة الاجتماعية التي وعدوا الشعب بها .. ويعيدون صياغة المجتمع ليتماسك بنيانه من جديد ..

من السمات الأساسية لهذه المرحلة: كثرة العروض الراغبة في المفاوضات والمساومات التي يقوم بها النظام مع العصابات .. كما تقوم العناصر الكبيرة في الجيش بالفرار مع أسرهم وأموالهم للخارج خشية المحاكمات .. وكذالك يفعل السياسيون .. ويقوم العديد من الجنود والقيادات الصغرى بتسليم أنفسهم للعصابات .. كما يفر الكثير من السكان خشية أن يطالهم القتال القادم إلى المدينة ..وعلى العصابات أن توفر للسكان الفارين منافذ آمنة للخروج .. فكلما خرج الأهالي كلما اقتربت عجلة الاقتصاد من التوقف..

ولكن يجب على العصابات أن لا تسمح للمفسدين والمجرمين بالفرار .. فتدقق في الخارجين وتعتقل المجرمين منهم ..

*** العصابات:**

خرجت العصابات من المرحلة السابقة وقد تمكنت من تقوية نفوذها السياسي والعسكري ولاقت دعوتها قبولاً حتى داخل المدن التي لازالت تحت سيطرة العدو .. وعلى العكس منها العدو الذي انكمش في كل شيء .. فقد تمددت العصابات كبقعة الزيت .. هابطة من الأطراف والمناطق الوعرة .. وقد تعددت مناطقها المحررة وقواعدها فيها حتى بات الوضع الحقيقي على الأرض أنها تسيطر على الدولة اللهم إلا العاصمة وعدة مدن كبرى وما حولها من قرى ومدن صغيرة فقط بقيت بيد العدو ..

تعتمد إستراتيجية العصابات على إحكام الحصار على المدن وتبدأ من المدينة الأضعف فإذا نجحت في إسقاطها (خوست – أفغانستان) .. فقد نجحت في تحطيم النظرية الأمنية وإستراتيجية العدو الدفاعية للمدن .. وهنا تبدأ نظرية الدومنو في تساقط المدن تباعاً حتى تسقط العاصمة في لحظة انهيار محتومة .. ليس بالضرورة أن تسقط العاصمة بالقتال فربما تستسلم في إطار تسوية وأي ما يكون نوعها فستكون بحسب قوة العصابات .. وقد تستسلم العاصمة بسبب فرار قادتها وتسليم الحامية العسكرية أنفسهم للعصابات ..

إن سقوط المدينة الأولى يعطي العصابات الثقة في استكمال المدن الباقية .. وينبههم أن وقت تفاوض النظام قد انتهى .. وليس أمامه إلا الاستسلام والمحاكمة أو الفرار أو القتال ..

في هذه المرحلة يحذر المجاهدون من أمرين:

الأول: قادة جيش العدو (الجنرال شاه نواز تناي – حكمتيار) الذين يحاولون الاتفاق معهم من أجل الانقلاب على النظام (دوستم – مزار

شريف) .. ومحاولة مشاركتهم في النظام القادم والخطورة هنا أن يقوم قادة الانقلاب باحتواء العصابات وتدمير جهدهم السابق والاستئثار بالسلطة والواجب على العصابات الصبر لتصفية هذه العناصر التي استمرت في القتال إلى هذا الوقت المتأخر .. إن الاقتراب من العاصمة يغلق باب التوبة السياسية للقيادات العسكرية والسياسية والدعوية وغيرها على السواء فلتنتبه العصابات ولا تتعجل الفتح .. يجب أن تتذكر العصابات دائماً جرائم هؤلاء ضد أمتهم .. فلا يتسرع فصيل ليدخل معهم في تحالف ليتمخض عنه انقلاب أو تسليم من أجل تثبيت أقدامهم قبل غيرهم من الفصائل .. فهذه هي الخيانة الحقيقية لدماء الشهداء ومن قبلها للدين والأمة ..

الثاني: القادة الفاشلون من ضمن دائرة العصابات .. فالنصر يعني نهايتهم ولذلك يحاربون الحسم العسكري .. ويكرهون النصر .. ويعملون من أجل عدم تمكن العصابات حتى يكون لهم دور في المستقبل .. ويجتهدون في القبول بأي تسوية سياسية تحافظ على مكتسباتهم .. حتى لو كانت التسوية على حساب الدماء التي أريقت منذ سنوات (السودان والانقسام – قبول مجددي بدور لنجيب في كابل) .. لا بد من تحجيم هؤلاء القادة بفضحهم وعدم السكوت عليهم .. لأن البلاد بسببهم ستعاني لسنوات من أزمات تعيق البناء والتقدم .. وربما دارت البلاد في دائرة من الإحباط لا تخرج منها .. وهذا يفتح مجال للاقتتال الداخلي والنزاع على السلطة لأطماع شخصية .. وما كان في أفغانستان بعد التسوية السياسية من فتن ومظالم تؤكد ما ذهبنا إليه ..

*** العدو:**

يعاني النظام من كثرة الانشقاقات والانقلابات وهروب العديد من عناصره .. كما أن السكان يشرعون في الخروج من المدن مما يعطل آخر آلاته الإنتاجية .. ويصبح في حالة إفلاس تام .. فيشرع في المساومات مع العصابات سواء لتقاسم السلطة إذا كان لازال به قوة .. أو لتأمين خروجه وخروج عناصره وعدم محاكمتهم .. أو بقائهم مع ثرواتهم وضمان حصانة لهم من المحاكمات ..

في هذا المناخ الذي انكمش العدو فيه حول مدنه الكبرى يسعى لتسوية سياسية سواء بجهود محلية أو دولية مع العصابات .. ولهذا يعمد إلى تأمين المدن الكبرى بقوة لأنها ورقته الأخيرة في المساومات وليس في الصراع .. فالصراع باتت نهايته محتومة .. وبقي فقط القدرة على التفاوض .. فيحاول إرهاق واحباط العصابات باستنزافهم أثناء حصار المدن .. وإضعافهم .. كما يلقي بكل ما لديه من مجهود حربي جوي أو تسليح لمعارضي العصابات .. أو إعطاء بعض الطامعين من العرقيات المختلفة حكماً ذاتياً لمناطقهم ليعيق الوحدة القادمة .. وقد يقوم بقصف القواعد التي في الأرض الحليفة .. ما يقوم به لن يؤدي إلى أي نصر .. الهدف الرئيس منها تحسين موقفه التفاوضي فقط ..

وقد يقدم لحلفاء العصابات تنازلات عن بعض المناطق بهدف إعانته بالضغط على العصابات لقبول مشاركته معهم في السلطة .. عموما إستراتيجية العدو هدفها حمايته وتأمين مصالحه .. وتبقى عملياته العسكرية لخدمة هذا الباب الذي سرعان ما يُفتح .. أو يُكسر ..

العلاقة بين الإستراتيجية والتعبئة والتكتيك[٤٧]:

هي علاقة انسجام في الفهم والتطبيق بين المستويين .. وبالتالي تخضع هذه العلاقة لمبدأ مهم .. وهو "أن الإستراتيجية والتوجيه السياسي العام في العصابات مركزيان .. في حين أن التكتيك القتالي غير مركزي .. والتعبئة هي التجهيز والمدد والحشد والمساندة " ..

ولهذا يُعد قادة العصابات بشكل يرفع مستوى بداهتهم وقدرتهم علي اتخاذ القرارات في حالة عملهم بمعزل عن رؤسائهم .. ومن المؤكد أن علي هؤلاء القادة أن يهتدوا بالخط الاستراتيجي العام وبتوجيهات المركز السياسية .. وأن يعودوا في أمور التكتيك إلي القيادة المركزية إذا كان الظرف والإمكانات تسمح بذلك .. وأن يستخدموا بداهتهم في التوجيه السياسي لمقاتليهم .. وفي رسم الخطط التكتيكية إذا وجدوا أن العودة إلي القيادة المركزية متعذرة أو أنها تضيع وقتا ثمينا .. وتأتي أهمية وحدة المرجعية من ضرورة خلق وحدة فكرية داخل العصابات .. ومنع التجنح و التشرذم الإيديولوجي ..

أما المركزية الإستراتيجية فتأتي من ضرورة تنسق الجهود التكتيكية كلها لخدمة خط استراتيجي محدد .. فإذا كان الهدف الاستراتيجي مع العدو هو "منع الحركة" مثلا .. كان اختيار الأهداف التكتيكية التي تعرقل هذه الحركة "نسف جسر .. قطع طريق .. كمائن .. خلع قضبان السكك الحديدية .. قصف المطارات ....الخ" أمرا ضروريا .. أما إذا كان الهدف الاستراتيجي السماح للعدو بالتملص أمام ضغط العمليات لمجموعة من العصابات .. كان الحفاظ علي سلامة طرق المواصلات لتستخدمها

[٤٧] راجع محاضرة الإستراتيجية (الجزء الثاني من كتاب الصراع ورياح التغيير) ..

العصابات الصديقة خلال المطاردة .. وبالتالي كانت العمليات التكتيكية الرامية إلي عرقلة الحركة ضارة بالمخطط الاستراتيجي العام ..

والتعبئة هي مجهود يبذل من المستوى الاستراتيجي لإنجاح العملية التكتيكية .. فتقوم بتوفير وحشد الطاقات والإمكانات المطلوبة في المكان والزمان المناسبين وبالقدر المطلوب ..

***

الرابع عشر : التكتيك

علي الرغم من أن إستراتيجية حرب العصابات إستراتيجية دفاعية .. فإن تكتيك هذه الحرب تكتيك هجومي .. ورغم اختلال ميزان القوى ضد مصلحة العصابات علي المستوى الاستراتيجي .. فإنها تسعي إلي تأمين التفوق علي المستوى التكتيكي .. ولتحقيق ذلك تطبق العصابات تكتيكات هجومية الطابع: كالإغارات .. والدوريات .. والهجمات علي المواقع المنعزلة .. والكمائن .. والاغتيالات وحرب الألغام والمتفجرات .. وقصف المواقع الحساسة بوحدات قصف متحركة .. والحرب السرية في المدن ..

ولا تستطيع العصابات تنفيذ مهامها التكتيكية وتحقيق التفوق الاستراتيجي إلا إذا لجأت إلي الإفادة من الديناميكية .. وسرعة الحركة .. والعمل ليلا .. وتجنب الاشتباك في الظروف غير الملائمة .. والخداع .. والانتشار قبل العملية والتجمع خلالها ثم الانتشار بعدها .. والمباغتة .. والإفادة من المعلومات الصحيحة عن العدو .. والإفادة من معرفة الأرض .. والاعتماد علي الشجاعة والبداهة والروح المعنوية العالية .. وحسن اختيار الأهداف الحساسة التي يؤدي ضربها إلى التأثير على مكامن حساسية العدو (قوته البشرية .. أو خطوط مواصلاته .. أو مستودعات تموينه ..الخ) .. وإتقان عمليات الانسحاب والاختفاء والذوبان بين السكان .. أو في المناطق الوعرة ..

من الأوامر الجميلة لتشي جيفاراً للحملة: اضرب العدو بثبات .. دعه يشعر بأنه معرض للإنهاك والتطويق .. علم السكان المحليين أهداف الفرقة الفدائية .. بحيث يرون مصالحهم في الانتفاضة .. استخدم التخريب كي تنال من معنويات العدو وادفع به إلى الارتباك والعجز بقطع مواصلاته ..

تجنب الأعمال الإرهابية عديمة النفع .. لا تحاول أن تحتفظ بأراضي واسعة جداً .. جدد مجموعات العصابات بضم عدد كاف من المتطوعين ..

اعتمد جيفارا ثلاثة مفاهيم[٤٨] أساسية لحرب العصابات: **أن القوات الشعبية قادرة على هزيمة الجيوش .. وأن البؤر الثورية تستطيع الامتداد لتخلق ثورة شاملة .. وأن الثورة لا بد أن تنتصر في الريف** (الأماكن البعيدة عن السلطة المركزية وقوتها الأمنية)..

***

---

[٤٨] للأسف الشديد أن كثير من أهل العلم يجهلون هذه الحقائق رغم أنها واضحة كالشمس في رابعة النهار خلال المائة سنة الأخيرة .. فما من قوة عصابات إلا وهزمت الجيوش المقابلة لها .. وما من تحرك ثوري مسلح إلا وأسقط النظام الحاكم .. ولكن هؤلاء المنتسبون إلى العلم والمتصدرون للناس قهراً يمارسون دوراً خطيراً في تخدير شعوبهم بعضهم بقصد وتعمد لأنه امتداد للنظام .. ومنهم من ينصاع لأوامر أهل العلم بنجد الخاضعين لأجهزة أمن الكيان السعودي .. وبعضهم تقليدا أو جهلاً .. وبعضهم جبناً وكسلاً .. وبعضهم للحفاظ على وجاهته ومكتسباته ...الخ .. وكلهم يمثلون - مع قلة خبرة الثوار أو العصابات بهم وبفتنتهم - سبباً رئيسيا في بقاء الطواغيت يحكمون المسلمين إلى اليوم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

أولاً: تكتيك المرحلة الأولى (الإنهاك)

تستخدم تقنية الضعيف ضد القوي .. فالضعيف لا يمكن أن يواجه القوي لأن النتيجة معروفة سلفاً .. وبالتالي فجهد الضعيف هو التملص الدائم من المواجهة .. ويكتفي بقذف الحجارة والاختفاء سريعاً .. أو إطلاق السباب من مكان محصن لإبقاء القوي مستفزاً وغير قادر على التركيز .. أو عرض دعوته أمام غيره من الضعفاء ليكسب أصدقاء وحلفاء جدد يتقوى بهم .. وكذلك حرب العصابات ..

كما أسلفنا تعمد العصابات لإطالة هذه المرحلة .. لتحقيق عدة أهداف: الأول: بناء قوة العصابات وتفاعل الشعب إيجاباً معهم .. الثاني: منح النظام الوقت لتفشي عوامل التفتت فيه .. الثالث: تنمية كفاءة العصابات وإحباط مجهود العدو .. الرابع: تحقيق استقلالية مصادر تمويل .. وخامسة: غاية في الأهمية وهي صبغ الشعب بمنهجهم الحركي وبمبادئهم التربوية ومعتقدهم الذي يدينون به .. وبالتالي فلا أهمية للاحتفاظ بالأرض أو الدفاع عنها في هذه المرحلة ..

مرحلة الإنهاك .. هذه التسمية واقعية تماما .. فالجبهة التي تجيد الجيوش العمل عليها غير موجودة .. وبالتالي فالجيوش تكون تائهة على مساحة ضخمة من الأرض .. إنها تعمل في مناطق لم تجهز لها فقد تم إعدادها للعمل على جبهات مواجهة مع الأعداء المحتملين .. أما مع أبناء الوطن وداخل الوطن وفي ميدان تكتيكي مختلف فهذا لم يكن في الحسبان .. كذلك التكتيكات التي تستخدمها لا تنسجم مع حجم العدو وأسلوب عمله

.. ولهذا تبقى الجيوش تائهة من اليوم الأول إلى الأخير .. رغم القسوة والبطش اللذان تحرق بهما الأرض التي تعمل عليها ..

تصرفات العدو الإستراتيجية هي التي تمنح العصابات الفكرة التكتيكية .. فالأسلوب الهجومي الذي يتبعه العدو يلزمه إنشاء قواعد ومؤخرات في مناطق مختلفة من الدولة .. فتعتمد العصابات تكتيك الإغارة عليها .. كما أن الأرتال العسكرية التي تتحرك بحثاً عن العصابات خاصة عندما لا تتوفر لها تغطية جوية تعتمد لها العصابات تكتيك الكمائن .. القوات الحكومية تسعى لتطويق العصابات التي تتسلل وتذوب ببراعة في الشعب .. ثم تعود وتعمل على مؤخرات الطوق الحكومي .. تستثمر كل هذه العمليات لضم أنصار والحصول على أسلحة وذخائر .. وتدمير معنويات الجيش .. وتأمين مصادر تمويل مادي بالاستيلاء على عربات الأموال القادمة أو الميزانيات المرافقة لوحدات العدو العسكرية ..

ومن الرسائل التي وصلتني حينما كنت في الصومال وفيها فقرة قيمة تناسب الموضوع .. « ... مقترحاتك جيدة ضع قواعدك في الجبال .. وتحرك في كل مكان .. واقتلوهم حيث ثقفتموهم .. وتوسع في إرهاب المدن وبث الألغام على الطرقات .. واستخدم كل ما يمكن من أسلحة الحرب الخفية من الإشاعة إلى السموم إلى الخنق إلى التفجير إلى الهجوم الصاعق على أهداف صغيرة .. وكن زئبقيا لا تدعهم يمسكونك أو يحددون مكانك أو يجروك إلى مواجهة عسكرية .. إملاء عليهم الفضاء مثل الهواء أي تكون موجودا وغير مرئي » .. عمك أبو وليد (جهاد وال) الخميس ٣٠ سبتمبر ١٩٩٣..

ماو[٤٩] تسي تونج أحد أشهر قادة حرب العصابات طويلة الأمد .. فقد تميز بالقيادة الميدانية والتنظير لها وانتصر في حربه وتولى زمام القيادة في بلاده .. يقول ماو "إن تكتيكنا هو تكتيك حرب العصابات" وأهدافه الرئيسية هي:

١- تقسيم قواتنا لاستنهاض الجماهير .. وتركيزها للعمل ضد العدو ..

٢- إذا تقدم العدو فإننا نتراجع .. وإذا خيّم نناوش .. وإذا تعب نهاجم .. وإذا انسحب نطارد ..

٣- توسيع مناطق القواعد .. والتقدم بموجات .. وعندما يهاجمنا عدو قوي .. فإننا نتسلل على أجنابه لنصل إلى مؤخرته ..

٤- إثارة أكبر كتلة جماهيرية ممكنة .. في أقصر وقت ممكن .. وبأفضل الوسائل الممكنة ..

ويعادل هذه التكتيك – رمي الشباك .. فيجب أن تستطيع في كل لحظة قذف الشبكة أو سحبها .. إننا ننشرها على أوسع نطاق ممكن .. لنكسب الجماهير .. ونضيقها لنمسك بالعدو .. ونرمي الشبكة في المناطق حيث تكون المقاومة ضعيفة .. وينتشر ثوار العصابات للقيام بالتوجيه السياسي .. وتحسين الاقتصاد الداخلي للحركة الثورية .. وإقامة قواعد خلفية .. قواعد قد تنتشر .. أو تتقلص .. بل قد تترك من لحظة لأخرى .. وتسحب الشبكة عندما تكون المقاومة قوية..

ويتركز رجال العصابات - كما يقول ماو - بمعدل اثنين أو ثلاثة أو أربعة أو ستة ضد واحد .. ويركزون جهدهم على نقطة معادية ضعيفة .. إنه هجوم

---

[٤٩] وترجع صحة مبادئ ماوتسي تونغ إلي عاملين: أولهما أنه مارس العصابات وقادها بنفسه منذ العام ١٩٢٧ حتى العام ١٩٤٩، فاستطاع أن يستنبط مبادئها ودروسها بشكل عميق من خلال التجربة العملية .. أما العامل الثاني، فهو أن التجربة الصينية في حرب العصابات طويلة غنية تراكمت فيها الخبرات والدروس عبر السنين.

الخمس دقائق كما يقول ماو .. إذ يجب الانسحاب قبل تدخل الطائرات .. مع الغنائم ..

أما أستاذه "صن تزو" فقد أورد مجموعة من النصائح غاية الأهمية .. تصلح جميعها لحروب العصابات .. في شتى مراحلها وبالذات مرحلتها الأولى .. كما تصلح لأي حرب تقليدية فيقول: **كل الحروب قائمة على الخدعة .. إذن .. عندما تكون قادرا على الهجوم .. لابد أن تظهر أنك غير قادر عليه .. عندما نستخدم قواتنا .. لابد أن نظهر أننا غير فعالين .. عندما نكون قريبين لابد أن نجعل العدو يعتقد بأننا بعيدين .. عندما نكون بعيدين لابد أن نجعله يعتقد بأنا قريبين .. ضع طعما لاستدراج العدو اخلق (لدى العدو) حالة من عدم النظم .. ثم اطحنهم .. إذا كان العدو أعظم منك قدرة .. فتجنبه .. إذا كان عدوك عصبي المزاج .. أزعجه .. تظاهر أنك ضعيف حتى يزيد من إهماله .. إذا كان في حالة استرخاء لا تتركه يستريح .. إذا كانت قواته متحدة .. فرقها .. هاجمه حيث لا يكون مستعدا .. اظهر حيث لا يتوقعك أحد ..**

الجنرال المنتصر هو الذي يجرى كل حساباته قبل نشوب المعركة .. الجنرال المهزوم يجرى القليل من الحسابات قبل المعركة الحسابات الكثيرة تقود إلى النصر .. والحسابات القليلة تقود إلى الهزيمة ..

*** العصابات:**

في البدء تقوم العصابات ببعض الأعمال المحدودة .. وفي قطاعات معزولة .. وهم هنا يهدفون إلى نقطة في منتهى الأهمية: وهي التعرف على رد فعل العدو تكتيكياً ومدى قوته وسرعة حضوره .. وهذا يطلق عليه استطلاع بالقوة لكشف أسلوب العدو .. الذي عادة ما يكرر سلسلة من ردود

الأفعال يجب أن يتعرف عليها المجاهدون ويبنون عليها خططهم التكتيكية ..

وعندما يتزايد عدد الثوار .. يقسمون قواتهم إلى مجموعات .. بغية حمل رسالتهم إلى مناطق جديدة وإزعاج الجيش على نطاق أكثر اتساعاً .. وإجباره على تمديد خطوطه .. الأمر الذي يضعفه .. ويمنح الثوار فرصة تدمير وحداته الصغيرة .. واحدة تلو أخرى ..

إرشادات تساند الأعمال العسكرية: ثلاث مجموعات من الإرشادات توجه العصابات في المناطق الوعرة أو المتطرفة كما توجه مجموعات العمل السري في المدن وتحفظ أمنهم .. الأولى: تتعلق باختيار الهدف .. والثانية: بأسلوب العمل علي الهدف .. والثالثة: بسمات العمليات ..

أولاً: "اختيار الهدف":

١- في بداية الحرب تختار الأهداف الصغيرة والضعيفة .. فالمطلوب في هذه المرحلة هو تأمين انتصارات سريعة حتى لو كانت صغيرة .. بهدف تدريب القوات وإكسابها الجرأة .. والحصول على أسلحة وذخائر ومعلومات ومعدات .. ورفع معنويات العصابات والمتحالفين معها .. وتأمين انضمام عناصر مترددة إلى العصابات .. فكل هدف تختاره العصابات يجب أن يحقق النقاط السابقة ..

٢- اختيار الأهداف الأقل حماية .. والأكثر بعداً عن وصول النجدات .. فالعصابات لم تتعرف على قوة عدوها بعد ولا على ردود أفعاله .. ومثل هذه الأهداف تتيح للعصابات التعرف على ردود فعل العدو .. وحساب سرعته في تقديم النجدة لوحداته .. جرت العادة أن يكرر العدو خطواته

لمقاومة الهجوم .. وتطويرها يأخذ منه بعض الوقت .. ومع كل تطوير تتفنن العصابات بالتغلب عليه ..

٣- موقع الهدف يجب أن يساعد في سرعة ذوبان العصابات بعد الهجوم .. قد يكون التحضير للهجوم وتنفيذه هو الجزء الأسهل في العملية العسكرية .. أما الجزء الأخطر فهو عملية قطع التماس والانسحاب والذوبان .. والتي تحتاج إلى مهارة وتدريب وحسن إعداد .. يتناسب مع الوسط المحيط بالهدف .. بحيث يتحول المهاجم خلال فترة وجيزة جداً إلى واحد من عناصر المحيط ..

لقد تغلبت العمليات الاستشهادية على هذه النقطة التكتيكية .. فالمهاجمون يختفون في لحظة التنفيذ وينعدم وجود خيوط تدل على غيرهم .. إلا أن العمليات الاستشهادية هي أرقى سلاح يستخدمه المجاهدون .. وبالتالي يجب استخدامها بحكمة وعلى أهداف نوعية تستحق المخاطرة بعدة أرواح لمقاتلين أبطال .. كما يجب أن تخضع لضوابط شرعية حازمة .. ولا تطلق اليد فيها لكل أحد ..

ثانياً: "أسس خطة الهجوم":

١- الاستطلاع والمعلومات ويكون ذلك من خلال المتعاونين من الأهالي أو الجنود أو أفراد العمل السري في المدن أو بعض أفراد العصابات التي تراقب تحركات الجنود على الطرقات أو طلعات الطائرات في المطارات .. أو التنصت على شبكات اللاسلكية للجيش .. أو حتى الهاتف المحمول لكبار الضباط .. وكذلك توفر شبكة الإنترنت معلومات رائعة عن العدو وأساليبه ومذهبه العسكري .. بخلاف ما ينشر في الصحف أو الإعلام .. مع الانتباه لخطط الخداع ..

٢- الاتصالات والمواصلات يتميز العصر بقوة الاتصالات لكافة العناصر سواء العصابات أو الجيش .. ولم يعد لها سقف .. فهي من الحمام الزاجل إلى الشبكة العنكبوتية .. وأصبح كل الناس لديهم وسائل اتصالات يدوية محمولة في كل مكان وتكمن البراعة هنا في حسن استخدامها دون الوقوع في شراك الحكومة ولعل شبكة الإنترنت تمنح المتعاملين بها فرصاً أفضل من الهاتف المحمول .. وتبقى الوسيلة الأكثر أمنا وسلامة هي السعاة وهم الأفراد الذين يحملون المعلومات بين القادة .. ويمكن للعصابات استخدام وسيلة الاتصال المناسبة للعمل المناسب .. فتستخدم بعضها في الخداع وبعضها في العمليات ..

أما المواصلات فينطبق عليها من ناحية التقدم والتنوع وسرعة الانتقال ما ذكرناه على الاتصالات .. فهي من الدواب للطائرات الخاصة .. وتستخدمها العصابات بحسب ما يمليها عليها الموقف التكتيكي أو الأمني .. وبعيداً عن المواصلات التي تخضع لتدقيق أمني ..

٣- أسلوب التنفيذ .. الاستطلاع الجيد والمعلومات المتوفرة يساهمان بقدر كبير في رسم خطة الهجوم التي تعتمد في النهاية على تكتيكين أساسيين هما: الإغارة والكمين .. وهما قد يكونا بالسلاح أو المتفجرات .. وقد يهدفا إلى التدمير أو الحصول على أسلحة أو معلومات أو أموال أو خطف شخصيات هامة .. راجع الجزء الأول محاضرات الاستطلاع والإغارة والكمين ..

٤- خطة الخداع .. التي تهدف إلى لفت انتباه العدو وسحب قواته إلى نقاط بعيدة عن مجال الهجوم الرئيسي .. والتي تمكن العصابات من العمل على الهدف والتملص منه قبل استعادة العدو وعيه ..

ثالثاً: كما يجب أن تتسم العمليات بسمات هامة لنجاحها:

١- الهجمات السريعة الخاطفة .. أي إنهاء الهجمات قبل أن يبدأ العدو هجومه المعاكس .. بل قبل أن يتدخل سلاح طيران العدو... اضرب واهرب .. الشعار التكتيكي الأشهر لمرحلة الدفاع الإستراتيجي فالضربات سريعة .. عنيفة .. وخاطفة يعقبها انسحاب سريع .. الهدف منه تفادى ردة فعل العدو .. بالذات رد فعل القوات الجوية التي تحتاج عدة دقائق حتى تبدأ الهجوم المضاد .. يحب أن يستقر في فهم العصابات: ألا تظهر إلا عندما تريد ذلك .. وحيث لا يتوقعهم العدو .. وبالكيفية التي لا يرغب فيها أو يتوقعها ..

٢- تبعاً لمبدأ الانتشار والتركيز .. تكون هجمات العصابات كثيرة وعلى أوسع مساحة ممكنة .. يجب الانتباه بين نوعي الانتشار.. فالعصابات يجب أن تكون منتشرة وقت الاستعداد مجتمعة وقت التنفيذ .. ويكون الجيش على النقيض يكون منتشر وقت الهجوم على وحداته ومجتمع وقت الانفلات منه .. هذا من طرف ومن طرف آخر .. تكون عمليات العصابات منتشرة على رقعة كبيرة من أرض الدولة .. في شمالها وجنوبها وشرقها وغربها .. وحتى أثناء الضرب في المحيط الدولي .. مما يجعل العدو يقسم جيشه إلى وحدات مستقلة ومكتفية ذاتياً .. لتعمل كل وحدة في اتجاه .. وحتى هذه الوحدات (المستقلة) يجب أن تجبر العصابات قادتها على إعادة تقسيمها مرة أخرى وهكذا .. وحتى أثناء حركة الوحدات (المستقلة) يسهل العمل على مؤخراتها أو العناصر التي تتخلف عنها لأي سبب ..

تكتيكات العصابات في هذه المرحلة تبقى قوات العدو في حركة دائمة وطائراته تشغل الأجواء بشكل مستمر .. وقواته الخاصة تركض من ساحة

إلى أخرى .. وطوابير المشاة المدعومة بالمدفعية والدبابات تشن الحملة تلو الأخرى تحت مظلة جوية مرعبة تثير حمية الجنود وتخيف الأهالي .. ولا تمس العصابات بسوء ..

العدو يأخذ نظامه وقواته إلى حافة الإنهاك .. وهذا تماما ما تسعى إليه العصابات .. وينتظرونه بلهفة كي يطوروا عملهم وينتقلوا إلى مرحلة إستراتيجية تالية ..

٣- يجب أن تؤدي الهجمات لاستنزاف القوة الاقتصادية والعسكرية للجيش .. إن تكتيكات المطاريد (العصابات) القتالية أثناء مرحلة الدفاع الإستراتيجي .. القائمة على شعار اضرب واهرب .. أثبتت فعالية كبيرة جدا في مواجهة الجيوش المتخمة تكنولوجيا .. بل أن أهميتها زادت عن ذي قبل لأنها تشكل استنزافا غير مسبوق لموارد الحكومة أو الدولة المعتدية .. ونفسيات جنودها الذين خاب أملهم فيما كان يمكن أن توفره لهم التكنولوجيا المتطورة من مناعة ضد الموت .. وإمكانات النصر الخاطف بلا حرب حقيقية .. خاصة ضد أعداء ما زالوا يمشون على أولى مداخل التكنولوجيا البدائية ..

أنفق السوفييت ٥ مليار دولار كل عام في أفغانستان .. أما الأمريكان فإنهم ينفقون نصف هذا المبلغ شهرياً في أفغانستان والعراق .. هذا بخلاف الخسائر البشرية أو الخسائر في المعدات وآلة الحرب ..

٤- الشجاعة والإبداع الفردي .. ونميز فيها بين عنصرين رئيسيين الأول: هو الشجاعة الخارقة وسرعة البديهة والذكاء المبدع في جميع هجمات وتكتيكات المطاريد لها جاذبية خاصة لدى جمهور الناس .. حيث تعتمد على قوة الإيمان والعزيمة والقدرة البدنية والإبداع الفطري .. أكثر من

اعتمادها على المعدات المعقدة والدراسات الأكاديمية المتقدمة لذا نرى في صفوف القادة الميدانيين البارزين الكثير من أبناء الطبقات الشعبية ("ساز نور" راعي غنم وقائد ميداني كبير في جلال آباد – أفغانستان) .. وحتى الكثير من الأميين .. لقد كانت مجموعات البدو بارعة جدا في عمليات الاقتحام والتدمير في أفغانستان ..

العنصر الثاني: الأداء الإداري والإبداع السياسي والسلوك الدعوي الأخلاقي الرفيع .. إذا كانت الشجاعة تلفت انتباه شريحة من الشعب فإن العنصر الثاني يجذب الأمة كلها .. ومدى التوفيق في هذا العنصر يؤثر على مجريات الحرب سلباً وإيجاباً .. فكلما نجحت العصابات فيه تحول الشعب والأمة إلى درع واقي وحصن يحمي العصابات .. وإذا فشلت فيه تنكر لها الشعب وترك العصابات لتعزل شعبيا وتنهار .. في أفغانستان كان هناك دوما قادة ممتازون .. من بين طبقة علماء الدين والمدرسين والأطباء والمهندسين والضباط السابقين .. وإن ظل لعلماء الدين التواجد الأكبر بالنسبة لباقي الفئات .. ("انجنير محمود[٥٠]" مهندس مدني وأحد أبرع القادة في جلال آباد - أفغانستان) ..

٥- الإيمان بعدالة القضية .. إن روح هذا العنصر في الحرب الجهادية هم العلماء .. الذين بتقواهم وورعهم وما يصدرونه من فتاوى وشجاعتهم وتقدمهم للصفوف وحسن سياستهم للناس .. يغرسون الإيمان في القلوب

---

[٥٠] المهندس محمود رحمه الله أحد أكبر القادة الميدانيين في أفغانستان صاحبته فترة طويلة حتى وفاته رحمه الله .. كان زعيم جلال آباد وكبيرها .. تنازل لحركة طالبان عن كل ما تحت يديه .. وقبل أن يتحرك لاستقبالهم أخبرني أنه سوف يسلم حركة طالبان كل شيء وسوف يشتري مزرعة أبقار من أجل أن يقدم للمهاجرين العرب الحليب يومياً .. رحمه الله كان ينكر ذاته متواضعاً رؤوفاً ودوداً باراً .. تحرك لاستقبال وفد حركة طالبان لتسليمهم ولاية ننجرهار وعاصمتها جلال آباد فقتله بعض المجرمين على الطريق مع "ساز نور" في نفس السيارة .. إن أخلاق "انجنير محمود" تذكرنا بالصحابي الجليل أبي عبيدة عامر بن الجراح ﷺ..

ويحولون كثيراً ممن يعيشون على هامش الحياة إلى فدائيين أبطال يفدون دينهم وأمتهم .. ويتحملون تكاليف الحرب وآلامها .. وسواء كان هؤلاء العلماء على مستوى الدولة أو مستوى الميدان أو مستوى التحريض .. "الشيخ يونس خالص .. الشيخ جلال الدين حقاني .. الشيخ عبد الله عزام" .. وفي الحرب الدولية على الولايات المتحدة الأمريكية يبرز اسم الشيخ المجاهد أسامة بن لادن وإخوانه الأبطال في القاعدة .. على صعيد العمل والتحريض ..

٦- الأرض والدفاع[٥١] .. الأرض في الحرب عنصر في منتهى الأهمية والتشبث بها يساعد الجيوش في النصر إلا أنها تفقد هذه الأهمية في حرب العصابات .. تمركز العصابات في نقطة بمثابة شهادة وفاة لها .. الزمن يأتي بالأرض .. تعتمد العصابات على عدم التمركز لتفقد القوات المعادية أهم ميزاتها وهي العمل الجبهوي .. الأرض هي الحليف الأول للعصابات من أجل إخفاءهم عن الرصد وحمايتهم من القصف ووقايتهم من الأسر وتساندهم في

[٥١] أحيانا تقود شجاعة بعض الأبطال إلى الوقوع في مخالفات إستراتيجية .. فلقد بلغ التحدي بين الشيخ جلال الدين حقاني وهو من أبرز القادة الميدانيين في أفغانستان ومن أبطال الحرب وعلماء الدين .. وعلى الرغم من تجربة الرجل الطويلة وخبرته الكبيرة .. وقد تحالف مع النصر في جل معاركه .. فقد قارع الروس في معارك شتى .. وكسر شوكة النظام الشيوعي الأفغاني بقيادة نجيب الله فكانت مدينة خوست أولى المدن الكبرى التي تسقط بيد المجاهدين .. ثم وتحت قيادة حركة طالبان صارع تحالف الشمال المدعوم من الغرب وإيران .. وما زال أسد خوست العجوز إلى يومنا هذا يقف بكل قوة وشجاعة مع أبنائه أمام الغزو الصليبي بقيادة أمريكا .. وقد تجاوز الشيخ السبعين من عمره .. ولكن قبل أكثر من ٢٥ عاماً على خط هذه السطور .. بلغ التحدي بينه وبين الروس إلى الوصول إلى معركة جاور .. والتي خالف فيها الشيخ أسلوبه السابق تحت استفزاز وتحدي الروس .. فقال لهم "إن دخول الجنة أقرب لكم من دخول جاور" فقامت معركة رهيبة على بقعة من الأرض لا تتجاوز كيلومتر مربع .. استخدم الروس فيها ما وصلت إليه تقنيتهم ومعداتهم وأحدث طائراتهم .. وتشبث فيها الأسد الأفغاني بالأرض .. دفعه إلى ذلك الصلابة والعناد المشهورين عن الأفغان .. لقد انتفضت الشجاعة الأفغانية على الإستراتيجية .. ورغم ذلك استمرت المعركة قرابة الشهر لم يتزحزح منها حتى خرج مصاباً .. وأقام الروس في جاور ٢٤ ساعة ثم غادروها .. لمعرفتهم أنها كانت معركة إعلامية وانتهت .. يستحق الشيخ جلال أن يسجل باسمه كتاب في حرب العصابات .. وكنت أظن أن المهندس مصطفى حامد سوف يقوم بهذا العمل بسبب تواجده الدائم في خوست ومرافقة الشيخ جلال .. وهو من أقرب العرب إلى الشيخ جلال ويعرف أغلب أعماله وعملياته .. وتربطهما صداقة وأخوة عميقة امتدت طوال فترة الجهاد في أفغانستان ..

الإغارات والكمائن .. العصابات تستفيد من الأرض في كل أعمالها وتحركاتها عدا التشبث بها .. أو الدفاع عنها .. لا يوجد في قاموس المطاريد في هذه المرحلة شيء اسمه الدفاع (ما لم يفرضه طارئ الدفاع عن النفس).

٧- أسلحة ووسائط تؤثر في سير العمليات .. اليوم أكثر من الأمس يسهل الحصول على كافة أنواع الأسلحة .. فالتواصل على مستوى العالم بلغ أعلى مستوياته ولم يعد حكراً على حكومة أو أحد .. وما كان مجهولاً بالأمس أصبح معلوماً ومتاحاً اليوم .. وبالتالي فأسلحة كثيرة لم تتوفر للمجاهدين في أفغانستان إلا في مراحل متأخرة يسهل اليوم الحصول عليها كغنائم أو بالشراء من أسواق السلاح ومن المهربين ومن إمدادات الدول المجاورة والمتعاطفة .. (رأيت في بيت تاجر سلاح في اليمن ١٧ صاروخا مضاد للطائرات) ..

على رأس هذه الأسلحة الصواريخ المضادة للطائرات .. التي لها أثر كبير على سير العمليات حيث تقلل بشكل كبير من قوة الطيران للجيش .. وإذا كان سلاح الطيران مهترأ وخردة كما في أفغانستان أو سوريا فقد تخرجه تماما من الحرب ..

أيضاً المتفجرات تمثل عنصر رعب للجيوش المتحركة أو الأهداف الحساسة (السفارات .. مراكز القيادة .. المحطات الإعلامية .. المطارات والقواعد الجوية .. مخازن الذخيرة .. مستودعات الوقود .. العناصر البشرية ...الخ) .. خاصة بعد ما تنوعت أدوات التفجير عن بعد أو بالوقت .. كذلك المقذوفات الصاروخية أرض أرض قصيرة المدى والتي تنطلق بالكهرباء وتناسب المرحلة الأولى .. وهي تمثل إزعاج كبير للعدو لانطلاقها من مسافات بعيدة نسبيا تصل من ٧ إلى ٩ كم ..

إن التقنية الحديثة في حد ذاتها سلاح عظيم يجب على المجاهدين أن يبذلوا المزيد من الجهد فيه .. فعمل (هكرز) واحد في تدمير أو تعطيل موقع حكومي إلكتروني يصيب النظام بالبلبلة والتشويش .. وربما تعطيله يساند عمليات كبيرة للعصابات .. وقد يؤدي إلى السيطرة على بعض أسلحة العدو واستخدامها ضده .. كالسيطرة على الطائرات بدون طيار أو التسلل للوحدات الصاروخية النووية للغرب وتهديدها أو استخدامها ضده أو التشويش على أقمار التجسس .. كما أن تخريب بعض المنظومات التي تعتمد على الكمبيوتر في تسيير إدارتها الحكومية أو حتى حركة المرور أو غيرها .. تصيب الحكومة بالارتباك .. وفقدان الثقة .. ولها عظيم الأثر في ضرب الاقتصاد سيما حال اختراق البنوك والعبث بحسابات كبار المجرمين ..

مدينة مثل لندن تعيش في ظل التقنية .. ترصد وتراقب فيها كل التحركات .. فإذا تم تعطيل شبكة المراقبة جزئيا أو بشكل كامل إن أمكن تصاب الجهات الأمنية بالعمى والارتباك والتوتر لفترة لا تدري ما يحدث بشوارعها .. وقد يساعد هذا القيام بتنفيذ عملية والتملص من المراقبة .. والاختفاء والذوبان ..

الحرب اليوم تنوعت فيها الأسلحة .. منها القاتل ومنها غير القاتل .. وأثر هذه المعارك التكنولوجية يعود على العصابات بالنفع كما يعود على الحكومة أو الدولة المعادية بمردود سيء .. يقلل من طول الوقت ويسارع في تحقيق النصر في الحرب ..

٨- التدريب والتسليح والتصنيع وتشكيل جماعة العصابات .. هذه المسألة ترتبط بنوع الحرب والتكتيك .. أما في حرب العصابات فحسب مراحلها ..

في المرحلة الأولى عادة تعتمد العصابات على الأسلحة الخفيفة .. وبحد أقصى مضادات الدروع ومضادات الطائرات المحمولة على الكتف .. والقنابل اليدوية والألغام بنوعيها (ضد الأفراد والدبابات) .. والمتفجرات ووسائطها من حبال تفجير وصواعق وأجهزة تفجير عن بعد ومؤقتات .. كما يمكنها القيام بغارات الكترونية ..

التدريب يعتمد على ميدان التكتيك ونوع السلاح المتوفر .. والتدريب يوفر في استهلاك الذخائر في العمليات ويحافظ على الأسلحة من العطب .. ويكسب المقاتل الثقة والمهارة في التعامل مع السلاح والأرض .. وكذلك في الانسجام والثقة والتعاون والاعتماد بين أفراد المجموعة القتالية .. وبحسب نوع السلاح يتم التدريب عليه وعلى مهاراته كما يتم على كيفية الاستخدام التكتيكي له كفرد عصابات .. ويتم التدريب على مهارات كل ميدان فالتحرك في ميدان المدن مع السلاح يختلف عنه في الجبال أو الصحراء أو المناطق الزراعية .. وكذلك العمليات في المستنقعات أو الأرضي الصحراوية .. تحتاج إلى مهارات من التمويه والخداع والاستخدام الفعال للسلاح كفرد ومجموعة .. كما تحتاج إلى وسائط وأدوات وآليات تختلف عما هو موجود في المناطق الأخرى ..

تتألف مجموعات المشاة في الجيوش من عشرة أفراد مزودين ببنادق آلية وسلاح مضاد للدروع وأخر رشاش خفيف مع نوعين من القنابل .. أما مجموعة العصابات فيتم تشكيلها بحسب المهمة إذ ليس لها عدد ثابت .. ويتحدد نوع السلاح المستخدم بحسب المهمة .. فالسلاح يختلف من كمين ضد الطائرات أو عملية قنص أو كمين بالمتفجرات أو إغارة على مراكز ثابتة .. وعموما فعدد الأفراد في المرحلة الأولى للعصابات لا يقل عن اثنين

كمجموعة قنص وتتجاوز ف٢٥رد في غيرها خاصة في الكمائن والإغارات التي تحتاج إلى مجموعات عزل وإسناد وتنفيذ وجمع غنائم تزيد وتقل بحسب حجم الهدف .. وفي العادة تكون دائما الأسلحة الرئيسية فيه (المضادة للدروع والطائرات والرشاشات الخفيفة) ضعف ما هو موجود لدى مجموعات المشاة ..

في هذه المرحلة تكون الذخائر قليلة وتعتمد العصابات على الغنائم بشكل أساسي والشراء حتى من العناصر الفاسدة في جيش العدو .. ومع الوقت تحصل عليها من المهربين وتجار السلاح .. ولكن هذا لا يمنعها من التصنيع البسيط أي إعادة التعبئة .. ففرد العصابات يمكن تدريبه على إعادة ملء فوارغ الطلقات بالبارود ووضع كبسولة جديدة .. أو بتصنيع بعض المتفجرات المتوفرة موادها بشكل طبيعي في الأسواق ..

مخاطر تواجه العصابات في المرحلة الأولى:

١- الحرب النفسية للعدو ونتائجها .. منذ اللحظة الأولى لوجود الصراع وقبل أي مؤشرات عن اندلاع الحرب .. تمارس السلطات أو دولة الاحتلال الحرب النفسية .. وتبدأ بتخويف الشعب من عواقب رفضهم للحكومة أو دولة الاحتلال .. فتزعم أن ذهابها هو ذهاب للأمن والاستقرار .. وضياع للاقتصاد وتفتيت للمجتمع .. وقد تطمع بعض دول الاستعمار القديم[٥٢] في إعادة الاحتلال .. أو السيطرة على الموارد الإستراتيجية أو الممرات المائية الحيوية ..

[٥٢] في بداية الانتفاضة السلمية بمصر والتي أسقطت حسني مبارك ..تفنن جهازه الإعلامي وصحفيه في إخافة الشعب بإشاعة وجود تحركات للإسطول الأمريكي باتجاه قناة السويس والسيطرة عليها .. وأن قوات العدو اليهودي في حالة استنفار لإعادة احتلال سيناء ..وهي محاولة رخيصة لصرف الناس من الطرقات ..

وعندما تبدأ عمليات المرحلة الأولى تزيد حدة التوتر والارتباك في الدولة سرعان ما تتحول إلى هسترية إعلامية .. مفضوحة .. فالعصابات هم قلة مدسوسة وفئة ضالة .. وتبدأ بشخصنة السباب والتهم .. وتستخدم علماء السلطان وشاوشية الأزهر والمؤسسات الدينية ومرتزقة دور الإفتاء .. ومجموعة من الإعلاميين الذين يسخرون ألسنتهم لنصرة النظام وإرهاب الشعب .. فيطلقون الأكاذيب بلا حياء .. وأن الجيش يحقق انتصارات وهناك الكثير من القتلى والأسرى من أفراد العصابات .. كما أن هناك عناصر تركت العصابات وعادت لرشدها وتنعم بالأمن والاستقرار ولم تتعرض لها أجهزة الأمن بسوء .. وأن الشعب هو الذي يقاوم العصابات .. وأن العصابات تقوم بجرائم في حق الشعب البريء ..كما تستخدم الأغاني وتصنع الأفلام التي تنصر سياستها وتمجد قائدها الموهوب .. إلى آخر أساليب الحرب النفسية ..

والعصابات تفند ما يمارسه النظام من أكاذيب وتشويه بأدلة لا تشوبها شائبة .. وعصر التقنية والفضائيات يساهم في ذلك أيما مساهمة - يبدوا أن نظام السيسي في مصر لم يستوعب هذه النقطة فهو لا زال يعمل بأسلوب جمال عبد الناصر في الخمسينيات من القرن الماضي - .. كما أن الشعب يدرك تماما حقيقة النظام وبشاعته لأن العصابات من صلب الشعب انطلقت .. والشعب لا ينسى كما لا يغفر للنظام قتله أبناءه .. إن وحشية العدو وحالته العصبية .. وأكاذيبه المفضوحة .. تؤدى كلها أعظم الخدمات للعصابات .. إذ تزداد النقمة على العدو وترتفع وتيرة التطوع في قوات العصابات .. ويقدم الشعب دعمه للعصابات بلا حدود في كافة المجالات .. فتتزايد قوتهم ويقتربون تدريجيا من عبور مرحلة الدفاع الإستراتيجي

٢- الاستدراج .. أكبر الأخطار التي تواجه العصابات أن يتم استدراجهم لعملية حاسمة في الفترات التي لا زالوا يبنون فيها قوتهم ويؤهلون شعبهم .. إن الانحراف عن الخط الاستراتيجي بعملية عسكرية حاسمة هو كارثة قد تؤدي بالحرب كلها للنهاية .. وهو ما يحرص عليه النظام لينهي العصابات قبل أن تستكمل بنائها .. أما العصابات فيجب أن تكون في منتهى الحذر حتى لا تقع في هذا الفخ سواء استدرجها العدو أو زين لها الحليف أو غرتها قوتها .. فلكل شيء زمن يكتمل فيه .. لقوة العصابات زمن .. ولتفتت النظام زمن .. ومحاولة تجاهل الزمن اللازم لذلك تكون عواقبه وخيمة ..

٣- الطيران خاصة العامودي منه (الهليكوبتر) .. هو السلاح الأشد فتكاً بالعصابات .. حيث يفاجئهم في أوضاع لم يعدوا لها .. ويسقط منهم أكبر عدد من الخسائر .. خاصة في الوقت الذي لم تحصل فيه العصابات على المضادات الجوية .. فلا بد أن يشمل تدريب العصابات على وسائل الدفاع السلبي ضد الطيران .. كما على العصابات أن تتقن حسابات الزمن .. فتعرف الوقت اللازم لاستدعاء الطيران فتبني مهمتها من لحظة الهجوم إلى التملص والذوبان في ضوء هذا الوقت .. وهي من الخبرات الهامة التي تعمل العصابات على اكتسابها بسرعة لقطع التماس دائما مع الطيران وحتى تتوفر لها المضادات المناسبة له تعمل العصابات على ضبط تصرفاتهم .. وتنفيذ العمليات بالسرعة المطلوبة .. في التجميع والانتشار .. واستخدام تمويه الملابس والأسلحة والملاجئ.. ومع هذا يظل الطيران هو العدو الأول عسكرياً للعصابات طوال فترة الحرب ..

ومما زاد الطيران خطورة هو المجهود الذي يبذله الجواسيس في جمع المعلومات عن الأهداف ومن ثم يتم استخدام الطائرات بدون طيار في

قصفها .. وهذه الأخيرة فاق خطرها خطر الهليكوبتر .. وتم استخدامها بكثرة من قبل الأمريكان ضد المجاهدين العرب والأفغان .. للسيطرة على هذه الطائرات تحتاج العصابات إلى عناصر مؤهلة تقنياً للتعامل معها ..

للتغلب تكتيكيا على الطائرات يكون بعدة وسائل منها الإغارة على القواعد الجوية وتدمير الطائرات وهي رابضة على الأرض .. أو استهداف القواعد والمطارات بصواريخ أرض أرض كهربية الانطلاق .. إسقاط الطائرات بصواريخ (م/ط) مضادة للطائرات في كمائن على محاور تقدمها أو أثناء إقلاعها من المطار .. أو القيام بتلغيم أرض المطار .. أو إفساد وقود الطائرات أو تدمير مستودعات الوقود .. أو اغتيال الطيارين أو خطفهم (كما فعل أنصار الشريعة في اليمن) .. أو التشويش على أجهزة التوجيه والإرسال والاستقبال ..

إن فكرة أن التماس مع العدو يقلل من مخاطر الطيران صحيحة تماماً .. ولكن فكرة التماس في هذه المرحلة خاطئة تماماً ..

ويجب أن يستبعد المطاريد من أذهانهم أن حصولهم على الصواريخ المضادة للطائرات يوفر غطاء حماية لقواتهم الأرضية .. فلن يتمتع المطاريد بغطاء جوى طول مراحل الحرب .. والصواريخ التي بحوزتهم استخدامها الأمثل هو في الكمائن .. وبالذات ضد طائرات الهيلوكبتر وطائرات النقل العسكري الثقيلة .. هذا ما ثبت فعاليته من التجربة الأفغانية ..

٤- الجواسيس والاختراق .. أكثر ما أضر بالمجاهدين في أفغانستان في الحرب الأخيرة ضد الأمريكان هم الجواسيس الذين ما أن هدأت الطائرات عن قصفها إلا لتعود بفضلهم بعد أن جمعوا من المعلومات عن أماكن

تواجد المجاهدين وقيادتهم وحتى أسَّرِهم .. ولا زالت حركات المقاومة الفلسطينية تعاني منهم ..

ولازالت الجواسيس تقدم المعلومات عن الأهداف العربية أو القيادات الأفغانية التي تتواجد في مناطق حدودية .. ثم يتم قصفها بطائرات بدون طيار .. ويمارس الجواسيس والطائرات نفس الدور ضد شباب القاعدة باليمن ..

إن الأضرار التي تنتج عن المعلومات التي يقدمها الجواسيس تجعل عقوبتهم حتمية وقاسية .. فعلى العصابات أن تمارس ما اصطلح عليه بعمليات الإعماء .. وهي عمليات قتل وضرب وإعاقة وخطف للجواسيس .. فيفقد العدو مصدراً هاماً من مصادر معلوماته .. إن الحفاظ على سلامة قوات العصابات وأيضاً على هيبتهم ويكسبهم احترام الشعب وثقته هي التعامل الحازم مع الجواسيس أي كانت مراكزهم الاجتماعية .. ولكن تراعي هذه النقطة إن كانت الدولة قبلية فحسابات التعامل مع جواسيس بعض القبائل يجب أن يتم من خلال مشايخها .. وإلا نفقد عنصر كان الأولى الحفاظ عليه .. هذا من حيث التصرف العملي .. ويمكن للعصابات حماية نفسها من الجواسيس بحسن التواجد في حاضنة من الشعب موالية لهم .. كما أن العناصر التي تنضم إليهم يجب التأكد من سلامتهم أمنياً ..

أسوأ ما تبتلى به حركة عصابات هو أن يتم اختراقها أمنياً بجاسوس نائم يتدرج في السلطة حتى يكون مؤثراً في القرار .. هذا ما حدث في الجزائر وفلسطين وفي طاجيكستان وكثير من قيادات الدول الإسلامية .. ألم تُحرف العقيدة المسيحية باختراق يهودي تمثل في (شاؤول بولس) ..

والأسوء من ذلك هو ما تمارسه الدول الحليفة التي تتبنى المهاجرين وتفتح لهم المعسكرات وتؤوي أسرهم .. فتعمل على تجنيد أبنائهم والعناصر الضعيفة منهم وتبني لنفسها أرشيف معلومات عن التيارات المجاهدة تستخدمه عند الحاجة .. هذا ما فعلته باكستان وإيران والسعودية وهو متوقع في تركيا .. وعلى المجاهدين فهم هذه الحقيقة والتعامل معها بحذر شديد ومن خلال جهاز أمن داخلي يعمل على توعية المهاجرين وبصرهم .. وينتبه على أفرادهم بتقوى وخشية ولا يتصيد السقطات أو يلفق الاتهامات ..

٥- تعدد التنظيمات القتالية حتى لو كانت تخضع لعقيدة واحدة .. عانت من ذلك أفغانستان وقد أسلفت أن السبب وراء ذلك كان بسبب تدخل الحلفاء ومناصرة كل منهم لمن يعطيهم امتيازات .. فوقفت إيران وفرنسا خلف أحمد شاه مسعود لعرقه الفارسي .. وباكستان دعمت حكمتيار .. ووقفت المخابرات السعودية خلف سياف .. وهكذا باقي الأحزاب السبعة تلقوا دعما بشكل أو أخر من باكستان أو عربستان (السعودية) .. وبات من المحال في ظل هذه الفسيفساء أن تنجح العصابات في الاتفاق على برنامج عمل حتى لو كان الحد الأدنى .. وأصبح الأمل معقوداً بقدرة القيادات الميدانية الكبيرة على الخروج من هذه الأزمة .. فبرز اسم الشيخ جلال الدين حقاني وانجنير محمود إلا أن ولاء الرجلين للشيخ يونس خالص رحمه الله أعاق هذه الفكرة .. ثم برزت حركة طالبان التي نجحت فيما أخفقت فيه التنظيمات السبعة ..

٦- تجفيف المنابع .. حيث تسعى الحكومة لحصار وعزل العصابات عن شعبها لتمنع عنه التمويل والأمن .. ولهم في ذلك سلف .. قال تعالى { هُمُ

الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَى مَنْ عِندَ رَسُولِ اللَّهِ حَتَّى يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَائِنُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ {٧} المنافقون ..

ولتحقيق ذلك تقوم الحكومة بأعمال قذرة .. فتنفذ عمليات قتل وحرق وتخريب ضد الشعب أو طوائف منه وتلصقها بالعصابات .. كما تنشر الشائعات الكاذبة عن تطرفهم وحقدهم وحسدهم .. وأنهم ضلال وجهلة .. ويعملون على حشد وتهييج الرأي العام من أجل تحقيق هدفهم ..

وبناء عليه فعلى حركة العصابات الناجحة أن تنتبه لذلك وتعمل منذ البداية لتوحيد صف المجاهدين خاصة المنتمين لمنهج واحد يجب أن يعمل الإخوة في سوريا لتحقيق ذلك .. كما عليهم احتواء العناصر المخلصة المحبة لوطنها والتي لا تعاديهم .. وعليهم وبحزم تحجيم تدخل الحلفاء وإلزامهم بما يفيد الحرب وتحدد قنوات خاصة بذلك .. كما عليهم وبقوة القضاء على أي عنصر يطمح لكسر هذا الطوق وضمان ولاءه بحزم وبصرامة .. خاصة العناصر العلمانية أو عناصر الجيش القديمة التي شكلت الجيش الحر .. وعلى الفصائل المخلصة فيه الانفصال عنه والتحول إلى صف لا شائبة عليه شرعاً .. ولعل التجربة الجهادية في سوريا تنتبه لهذه الإشكالية وتعمل على حلها .. حتى لو اضطرت لقتال مجموعات الجيش الحر من العسكر القديم أو العلمانيين .. فهم اليوم يمثلون يد النظام العالمي في التجربة السورية الحديثة .. وإبقائهم في المعادلة أشبه بإبقاء "الدكتور محمد مرسي" لعناصر الانقلاب .. الذين يدخرون قوتهم لينقلبوا في الوقت المناسب على المخلصين من أبناء سوريا ..

أما الذين يقيمون في الخارج ويقتاتون من دم الشعب السوري ويتحدثون باسمه ويشكلون حكومات باسمه .. فعلى المجاهدين إسقاط شرعيتهم .. لا

مجال للأماني هنا .. فالحرب ميدان صراع لا أرض للأحلام أو أوهام اليقظة .. وبقاء هؤلاء يحرم المجاهدون من حسم الحرب .. بل سيرتمون في نهايتها في حضن الأعداء .. لتبدأ تجربة جديدة .. فالآن أو أبداً ...

يقول المهندس مصطفى حامد (... إن توحيد التنظيمات واجب أساسي لإنجاح حركات التحرر .. والوسائل السلمية والتفاهم هو خير السبل .. وإلا فإن القتال سيحدث بالاختيار أو بالإجبار .. والقوات الجهادية في أفغانستان كانت قبلية وكان لهذا آثاره الإيجابية والسلبية .. ولكن إذا تشكلت قوة جهادية فوق قبلية .. فإن معاقبة المجرمين تصبح أيسر إذا تمت وفق أحكام الشريعة .. وهذا ما حدث مع حركة طالبان عندما سيطرت على البلاد وحكمت بالشريعة .. فلم تجد مقاومة قبلية لأحكامها على المجرمين .. ولو أن مثل هذا الوضع قد حدث منذ بداية الجهاد ضد السوفييت لتغير تاريخ أفغانستان والعالم ..) ..

٦- الحلفاء .. سلاح ذو حدين .. في هذا الزمان الذي انقلبت فيه الموازين .. وساءت فيه الأخلاق .. وأصبحت العملية السياسية تعبيراً عن الانتهازية في أحقر صورها من كذب وخداع وغدر .. وتحول الكلام عن الإنسان وحقوقه إلى مجرد كلمات جوفاء يتسلل من خلالها أعمال النصب على الشعوب والاستيلاء على ثرواتهم .. وجعلهم في أحسن الأحوال حقل تجارب لأسلحتهم وأوبئتهم .. هذه هي أمريكا ومن قبلها الدول الاستعمارية سادة العالم اليوم وقدوتهم التي بها يقتدون .. وأصبحت قاعدة السياسة انعدام المبادئ وأسس لها تشرشل بقوله "لا عداوة دائمة ولا صداقة دائمة وإنما هي المصالح" .. فاليوم أياً ما يكون دين الدولة سماوي أو أرضي إلا أنهم كلهم على مذهب تشرشل .. وتشرشل على مذهب ميكافيلي ..

في ضوء هذه القاعدة فلا أمان لأي حكومة .. وعندما تعمل الحكومات كحلفاء لحركة عصابات فهذا يعني أنهم قد وضعوا إحدى أعينهم على إفساد الدولة محل الصراع وإضعافها وضمان تبعيتها .. والعين الأخرى على اكتساب امتيازات وما يحقق مصالحهم .. وشرايين الدعم للعصابات تفتح وتغلق في ضوء هذه الرؤية ..

حركة العصابات الواعية يجب أن تكون هذه الحقيقة نصب أعينها منذ البداية .. وعليها أن تحدد **نقطة الطلاق** مع حلفاءها .. لتحسن انطلاقتها للقضاء على خصمها ولبناء دولتها ..

من واقع التجربة .. **أن الحليف الأمثل للتيار الإسلامي هو الشعوب الإسلامية** .. والتي يتعين على المجاهدين أن يفتحوا من الأبواب الخلفية ما يجعل دعمهم يستمر بالتدفق بعيداً عن أعين دولهم .. دعم مادي وبشري وخدماتي .. هذه النقطة يجب أن تأخذ حقها من النقاش داخل حركة العصابات .. وعليها أن تبذل الوسع في ذلك .. لسبب رئيس مهم .. هو إمكانية تنفيذ مشروع سياسي جهادي من خلال الشعوب الإسلامية .. يهدف إلى تقويض النظام العالمي وما يدور في فلكه من دول وحكومات .. على أمل استعادة الخلافة الإسلامية .. الدرع الذي حمى العقيدة ونشرها .. والمظلة التي عاش المسلمون أعزة وسادة للعالم قرون عديدة تحتها ..

* **العدو:**

خلال هذه المرحلة .. يشن العدو هجوماً استراتيجياً يستهدف القضاء على ثوار العصابات .. لحسم الصراع في أسرع وقت قبل أن يفلت الزمام منهم .. ويتميز نشاطه بمجموعة من أعمال التطويق والإبادة .. التي تتضمن

احتلال إقليم وتنظيفه مساحة بعد أخرى من الطاعون الذي سببه الأنصار.

وضع الجيش الأمريكي في فيتنام مصطلح "البحث والتدمير" كرد فعل على مصطلح "اضرب واهرب" .. وهو يعتمد في ذلك على التقنية الحديثة "فقد كان يحدد أماكن تجمع العصابات من خلال انبعاث غاز الميثان الناتج من قضاء الحاجة" .. كما يستخدم أقدم تقنية وهم الجواسيس .. كذلك يستخدم أجهزة المخابرات للدول المجاورة لدولة الصراع .. ويستفيد من تبادل المعلومات لديهم .. لقد عانت أفغانستان في جهادها ضد الأمريكان من الجواسيس .. ومن جهازي المخابرات في كلا من باكستان وإيران .. بل من أرض الدولتين فقد استخدمت أمريكا مطاراتهما لقصف المسلمين في أفغانستان .. (خاتمي الرئيس الأسبق لإيران - وهو رجل معمم[٥٣] - في فيلم وثائقي عرضته قناة الجزيرة يصرح فيه بتقديم معلومات قيمة للأمريكان ساهمت بفاعلية في ضرب حركة طالبان) ..

ويقوم العدو بتسديد ضرباته من خلال الحملات الجوية سواء بالطائرات أو بالصواريخ بعيدة ومتوسطة المدى .. استخدم الأمريكان في أفغانستان كل أنواع الطائرات بدأ بالقاذفات الإستراتيجية (B52) وطائرات الجيت والهليكوبتر وانتهاءً بالطائرات بدون طيار .. واستخدم صواريخ كروز .. أما المجهود الأرضي فاعتمد فيه على قوات تحالف الشمال وبعض العناصر البشتونية التي هزمتها قوات طالبان من قبل .. والتي ساهمت المخابرات

٥٣ عندما تكون المصلحة والمستقبل السياسي الشخصي هما المرجعية فلا اعتبار للدين .. الذي يصبح مجرد شعارات للاستهلاك المحلي والإقليمية .. وعلى الرغم مما قدمه من خدمات للأمريكيين فلم يجد منهم ما يدعمه داخلياً وخارجياً .. ولم يعد يحظى بقبول سياسي في بلده .. وهذا سبيل من أراد إرضاء الأعداء بدماء المسلمين .. وعلى عرب الخليج أن ينتظروا دورهم في صف العاطلين والمنبوذين قريباً ..

الباكستانية في تجنيدها لتعمل وفق المنظومة الأمريكية في الحرب على الإسلام ..

***

هذا في حالة دولة الاحتلال أما إذا كان نظام وكيل عنها أو حاكم مستبد .. فلا اختلاف في الإستراتيجية ولا التكتيك إذا تساوت في القدرة .. أما إذا كانت القدرات العسكرية مختلفة .. والتحالفات السياسية أقل تفاعلاً .. فإن التكتيك يعتمد على الإمكانات المتاحة من وفرة القوات والمعدات والوسائط ..

في هذه المرحلة أيضاً ينتهج الأعداء سياستين .. الأولى: عسكرية وهي سياسة الأرض المحروقة فيتم القصف بوحشية للمناطق الوعرة بما فيها المناطق السكانية القريبة منها .. والضربات تصل إلى حد الإبادة الجماعية .. لعزل العصابات عن أي بيئة تسهل اختفائهم أو تمدهم بالعون .. السياسة الثانية: اجتماعية جغرافية فتقوم بتهجير السكان وإحلال مجموعات سكانية موالية لهم لتصعب على العصابات إقامتهم في هذه المناطق .. ولكن إذا كانت العمليات مشتعلة في أنحاء كثيرة من الدولة فمن المحال أن تستطيع الدولة تنفيذ هذه السياسة في كل مكان .. وهناك تجربة أخرى تتسم بالحماقة إذ قام المستعمر الإيطالي في ليبيا بمحاولة اعتقال الشعب الليبي في معتقلات كبيرة .. ولكنه كأي طاغية فشل .. ولم يمنع هذا من استمرار الحرب ..

***

أما في المناطق المسكونة (المدن والقرى وغيرها) .. فتفاعل العدو مع العمليات يكون بوضع حاميات كبيرة في المدن والمراكز الكبرى للدفاع عنها وعن ما جاورها من القرى وشن هجمات على وحدات العصابات التي يتم

اكتشافها .. كما تقوم بعمل كمائن ودوريات منفردة أو مشتركة مع وحدات الأمن الأخرى .. تجوب المدينة أو تتمركز حول المناطق الحساسة أو تحاصر الأحياء المشتبه بها .. وعادة ما تقوم الدولة بالسيطرة على حركة السلاح المسموح به وإذا زادت قوة العصابات قد تقوم الدولة بمصادرة الأسلحة من الشعب وإعدام من لم يسلم سلاحه حال القبض عليه .. وتباشر الدولة عمليات الاغتيال للقيادات العلنية والمثقفين الذين يدعون للثورة أو يحملون فكر العصابات .. وسياسيا تقوم الدولة بإلصاق التهم وتثير الشبهات وتقوم بعمليات إرهاب على الأقليات بهدف تدمير البيئة الحاضنة للعصابات ومجموعات العمل السري .. التكتيك الأكثر خطورة في المناطق المسكونة هو العيون والجواسيس .. خاصة إذا كانت الدولة بوليسية .. فتستخدم الدولة عيون من كافة الشرائح والمهن وتعتمد على المهربين وقطاع الطرق والبلطجية والشبيحة ورجال الدين .. كما أن الدولة تمارس القمع والإرهاب بوحشية لردع النفوس المترددة التي لم تلتحق بعد بالعصابات .. فالاعتقالات بالجملة .. وبالظن والشبهة يعدم الناس .. ناهيك عن المجازر وعمليات السلب والمصادرة وانتهاك الأعراض والسباب والقذف .. والأسوأ في حال سقوط حي أو مدينة بأيدي الثوار تقوم الدولة بدكها وهدمها وإبادة كل من فيها (حماة في سوريا عام ١٩٨١) .. على مبدأ شمشون

العمل السري في المدن عماده الأمن إذ يجب أن يكون حجر الزاوية في فكر العصابات .. وقد سبق بيانه ..

***

ورغم كل هذا فإن الثمار التي يجنيها الأعداء في المرحلة الأولى لا تقارن بتكلفة الحرب؟! .. كما أن ما يسببه شواذ الجنود والمتخلفين منهم عقلياً يصعب تحمله سياسياً .. والفضائح الممنهجة التي يرتكبها الأعداء لا تعود إلا بالضرر الذي لا يمكن أن يمحى .. كما يؤجج ثارات لا تندمل .. ولا أشك لحظة في رد فعل العراقيين الذي تحمله رحم المستقبل على بشاعة ما فعله الأمريكان بأبنائهم في معتقل أبو غريب .. أو الثارات التي ولدتها فرق الموت المرتبطة برئيس الحكومة .. و أعمال التهجير على أسس مذهبية تفتقر للحكمة في التعامل مع شعب تتباين فيه العقائد والمذاهب .. وفي المستقبل القريب أو البعيد ستشهد الأراضي الأمريكية والعراقية عمليات ثأر لا تنتهي..

يفقد العدو من سياساته القمعية وفضائحه أي دعم شعبي داخلي إلا من المنتفعين منه .. دولياً تتباين المشاعر وردود الفعل على المستوى السياسي والشعبي .. ومحصلة ذلك تصب في صالح العصابات التي تلقى دعماً معنوياً خارجياً .. ودعماً فعلياً على المستوى الداخلي ..

***

ثانياً: تكتيك المرحلة الثانية (التوازن)

انكمش جيش العدو لحماية المدن والأهداف الحيوية فأفسح المجال لتمدد العصابات .. تستطيع القوة الثورية أن تعمل على مساحة واسعة .. وأن تنشئ القواعد في مناطق يتعذر دخولها على الجنود .. وتسمح هذه القواعد بإقامة حكومة ثورية .. وتنظيم تموين ثوار العصابات بشكل مستقل عن الإغارات والتهريب .. وتتوسع هذه القواعد في مرحلة لاحقة .. فيزاول الثوار ضغطاً مستمراً على قوات الحكومة في المناطق المجاورة للقواعد .. ويجبرونها على الالتجاء إلى مراكز محصنة ..

يغلب على شكل الصراع سمة الحرب الأهلية بين كيانين كل منهما في إقليم داخل البلد نفسه .. لكل منهما حكومة واقتصاد .. وشريحة من السكان يساهمون في الاقتصاد .. العصابات تسيطر على الأطراف والتي عادة ما تحتوي ثروات تساعد في تمويلهم .. ففي كوبا ساعدت مزارع البن على ذلك وفي بعض البلاد العربية قد تساعد مناجم الأحجار الكريمة أو أبار النفط .. ومع اختلاف الثروات وطبيعة أرضها لا يمنع أن إقليم الحكومة يظل إقليماً صناعياً لخدمة المدن .. ويقدم أهدافاً مناسبة للتخريب ..

من المهم التأكيد على أن الحكومة لازالت قائمة وقوية رغم ما تعانيه من ضغوط دبلوماسية مع طول مدة الحرب .. هذا لا يمنعها بل يضطرها إلى القيام بحملات قوية تهدف منها إلى تحسين موقفها التفاوضي أو السياسي .. وفي حالة قيامها بهكذا حملات .. فرد فعل العصابات يجب أن يكون وفق ما قرره المهندس مصطفى حامد في كتاب حرب المطاريد: " إن خطط الدفاع عن القواعد الجبلية .. بل الدفاع بشكل عام في مرحلة التوازن لا

توضع على اعتبار منع العدو من الوصول إلي المناطق التي يريد .. ولكن على اعتبار جعل وصوله إليها باهظ التكلفة .. واستنزافياً بكل ما في الكلمة من معنى .. وحيث أن الدفاع هو مفهوم جديد يظهر لدى المطاريد لأول مرة بعد انتهاء مرحلتهم الإستراتيجية الأولى ودخولهم في مرحلة التوازن فإننا نفصل فيه قليلا: يعرف المجاهدون أن العدو مازال يتمتع بقوة عسكرية تمكنه من الوصول إلى أي نقطة يرغب فيها .. لذا لا يدافعون تحت مبدأ (حتى آخر رجل وآخر طلقة) بل تحت مبدأ (أكبر خسارة للعدو) فيرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التي يدفعها العدو .. من أرواح جنوده ومعداته العسكرية .. حتى يصل إلى النقطة التي يريد الوصول إليها .. هذا في الخطوة الدفاعية الأولى .. ثم يرفعون إلى الحد الأقصى قيمة الفاتورة التي يدفعها العدو ثمنا لبقائه في المكان المنشود" ..

*** العصابات:**

وصلت العصابات إلى هذه المرحلة وقد اكتسبت الخبرة القتالية وطورت من أساليبها وخاضت تجارب في إدارة بعض المناطق المحررة .. كما أن تعداد العصابات تضاعف وكذا الأسلحة والمعدات .. وتملكت العصابات وغنمت عدداً من المدفعية الثقيلة والدبابات .. كما تملكت وغنمت أيضاً العصابات بعض الأسلحة الإستراتيجية خاصة مضادات الطيران المحمولة والثابتة .. ونظراً لوفرة الإداريات التي تراكمت لديها .. أصبح من الضروري وجود قاعدة للعمليات .. ومن المفيد القول أن المساحة الأرضية التي أصبحت تحت سيطرة العصابات كبيرة تمنحها عمق كافي لتدمير القوات البرية أو تكبيدها خسائر فادحة في حالة رغبتها في مطاردة العصابات أو ضرب قواعدها .. شجعها أيضاً على اتخاذ هذا القرار الإحباط في صفوف

قوات العدو وانسحابها لتأمين المدن والأهداف الحيوية .. كما أن الهجمات الجوية تضاءلت لتكلفتها العالية وعدم جدواها ولكنها ما زالت قائمة كخيار لدى العدو وما زالت تمثل خطورة .. خاصة عندما تتخذ العصابات قاعدة انطلاق في المناطق المحررة ..

وسواء كانت القاعدة في مناطق جبلية أو غابات أو غيرها .. فإن أهم منشأت القاعدة هو المغارات والخنادق والحفر البرميلية .. التي تحيل كل مجهود للطيران المعادي إلى فشل (مغارة[٥٤] انجنير محمود – تور غار جلال آباد .. مغارات تورابور – ضد الروس والأمريكان من بعدهم) .. جرب ذلك في أفغانستان كما جربت الأنفاق في فيتنام .. انتشرت المغارات المصنوعة سواء في الجبال الصخرية أو الترابية في كافة الخطوط الدفاعية في جبهات أفغانستان .. فوفرت المأوى في الصيف والشتاء ومنحت المجاهدين الوقاية من شظايا القصف الجوي والمدفعي .. تماماً كما توفر الخنادق و الحفر البرميلية الحماية منهما ومن زخات الرصاص ..

وترتب أيضاً على وجود قاعدة ثابتة أن يتم شق طرق جديدة للإمدادات الإدارية أو للتقرب المستور من العدو .. هذه الطرق لها تأثير السحر في المعارك .. إن وجود بلدوزر أو حتى تراكتور زراعي مزود بسكين يساهم في شق الطرق التي تحقق مفاجآت كبيرة .. إلا أن هذه الطرق إن لم تكن محروسة بشكل جيد فقد تكون وبال على العصابات إذا استخدمتها قوات العدو .. ولهذا تحرص العصابات على إبقاء المسافات الأخيرة منها مغلقة غير ممهدة أو مستورة بشكل جيد حتى لا تعود عليها بالضرر .. وتقوم بفتحها قبل العمليات العسكرية لتحقق بها المفاجأة المطلوبة

[٥٤] قام المهندس محمود بانتقاء صخرة ضخمة جدا في سلسلة جبل تورغار المطلة على طريق كابل – جلال آباد فأنشأ فيها مغارة بالمتفجرات ..

وجود القاعدة الثابتة للعصابات يدخل إلى تكتيك العصابات عنصر جديد وهو الدفاع .. وهو العنصر الذي كان مرفوضا طوال المرحلة السابقة .. في هذه المرحلة تواجه العصابات أخطاراً عديدة على قاعدتهم .. عليهم أن يحددوا هذه الأخطار وأن يضعوا الخطط الدفاعية لها .. حتى لو بدا الخطر من عنصر ضعيف لكنه يظل خطر .. مثل الخطر من الحيوانات القارضة أو السامة .. فالأخطار التي تصاحب بناء القاعدة كثيرة ومتنوعة .. منها مثلاً خطر الحرائق .. خطر الإشاعات .. الدعاية السوداء .. الكوارث من فيضانات أو زلازل أو براكين .. كلها أخطار يجب أن تضع لها العصابات مخطط دفاع وتدريبات على مقاومتها ووسائل للوقاية منها .. لكن ما يعنينا هنا هو الخطر المباشر من العدو ..

صور هجوم العدو تتعدد .. منها الجواسيس والمخربين بغرض جمع معلومات عن مصادر التمويل وخطط الدفاع وقوة العصابات .. أو إطلاق إشاعات لبث روح الإرجاف وتثبيط المقاتلين .. أو لسرقة معدات ووسائط عسكرية .. أو للتخريب بتفجير مستودعات الذخائر[٥٥] ومخازن التموين أو الوقود .. أو تعطيل المعدات أو إفساد أسلحة الدفاع الجوي .. أو قتل الأفراد بفخاخ ....الخ ..

والخطر الأساسي هو الهجوم البري .. أو القصف الجوي .. أو عمليات الإسقاط أو الإبرار الجوي ..

---

[٥٥] في أثناء الحرب في أفغانستان .. تم تفجير أكبر مستودع أسلحة وذخائر ومعدات في باكستان .. لقد تم تنفيذ هذا الانفجار في عمق الدولة الحليفة وبالقرب من العاصمة .. وبغض النظر عمن قام بهذا التفجير وما يدور حول ذلك من قصص وشائعات .. لقد فقد المجاهدون مخزونهم الاستراتيجي ..

الدفاع عن قاعدة العصابات:

خطة الدفاع هنا تقوم على كتف جهازين: جهاز الأمن الداخلي .. والجهاز العسكري "نواة الجيش" .. لكل منهما مهامه ولكل منهما أسلوبه ووسائله ..

جهاز الأمن الداخلي مهمته: توفير السلامة والطمأنينة داخل القاعدة لتسهيل قيامها بمهامها الإدارية والقتالية .. مهمته: العمل على حراسة الأماكن الحيوية "مخازن ومستودعات وأسلحة ومعدات" داخل القاعدة من التخريب .. مهمته: حماية العقول من السرقة والقلوب من الإرجاف .. مهمته: حماية خزن المعلومات السرية وأجهزتها ومصادرها .. هذا الجهاز يقوم بمهامه من خلال وحدات الحراسة كما يقوم به من خلال المحاضرات التربوية الشرعية والأمنية .. وعليه عقد دورات تدريب أمنية لكل العاملين في القاعدة .. ولكل المجاهدين المقاتلين الذين تقدم لهم القاعدة خدمات الإيواء والتسليح ..

الجهاز العسكري الذي ينقسم في هذه المرحلة إلى قوتين: قوة دفاعية ثابتة .. وقوة تشارك في الدفاع وتمارس الهجوم .. يؤثر في تشكيلة الدفاع نوعية الأسلحة المتوفرة وطبيعة الأرض .. يتم إعداد الخطة الدفاعية عن قواعد العصابات من عدة خطوط وأنساق منها الثابت ومنها المتحرك .. الخطوط والأنساق ترتب بحسب مدى الأسلحة لتوفر في النهاية القوة النارية التي تعيق تقدم العدو .. فالخط الأول مثلاً يتشكل من نسقين .. النسق الأول به نقاط حراسة يمتد أمامها حقول ألغام وفخاخ دبابات مع مجموعات كمائن تتسلل من الثغرات لتعمل على محاور تقدم العدو .. والنسق الثاني به مجموعات إسناد مشكلة من رشاشات ومدافع وهاونات خفيفة (عيار ٨٢مم) .. الخط الثاني مشكل من عدة أنساق بحسب مدى المدافع

والهاونات الثقيلة والدبابات وراجمات الصواريخ وعادة ما يسمى بخط المدفعية الثقيلة .. الخط الثالث به وحدات الدفاع الجوي وهي أيضاً على نسقين بحسب الرشاشات الثقيلة وقواعد الصواريخ المضادة للطائرات .. وجميع الخطوط محروسة بعناصر مشاة وأمن ..

تضع القيادة إضافة لخطة الدفاع خطتين هما: الأولى خطة الانسحاب إلى المواقع البديلة .. في حالة كانت قوة العدو تحتاج إلى عمليات تراجع مرتبة لامتصاص زخمه وإيقاف تقدمه (خط مراد بيك[٥٦] – كابل) .. أو لقطع التماس معه والتحرك لمنطقة خلفية أكثر أمنا (التخلي عن جاور – حقاني / قندهار - زرمت) .. في هذه الحالة يكون لدى جهاز الأمن برنامجين الأول إخلاء القاعدة .. الثاني: تفخيخ القاعدة لحرمان العدو من الاستفادة بما تبقي فيها .. مع ملاحظة هامة وهي رسم خريطة للفخاخ واضحة للتخلص من الألغام والفخاخ حال العودة إليها .. (قرية المجاهدين العرب بمطار قندهار – معسكرات القاعدة) ..

الخطة الثانية خطة الهجوم المضاد .. الذي يلي مباشرة امتصاص هجوم العدو وإيقافه .. فتبدأ قوات الهجوم المضاد بالعمل عليه وتدميره أو أسره..

ويهتم في العملية الدفاعية بقواعد وفن التمويه والخداع .. فيتم إعداد كافة المواقع وعلى رأسها مقرات القاعدة وفق هذا الفن .. فيتم إخفاء أثار

---

[٥٦] من إشكاليات القتال شمال كابل اعتماد حركة طالبان على خط مواجهة واحد .. وهذا الذي سبب سلسلة من التقدم والانحياز في معاركهم .. إلى أن اشتركت القاعدة في الجهاد معهم ضد تحالف الشمال وأنشأت خط مرادبيك كخط ثاني للدفاع عن كابل .. وهي قرية صغيرة على مسافة ٢٠ كم تقريبا شمال كابل .. والذي تم الرباط فيه بمجموعات من الطلبة والأنصار من الشعب الباكستاني والقاعدة .. والذي بفضل الله حافظ على بقاء كابل بيد حركة طالبان وصد موجات متتالية من هجمات التحالف الشمالي .. وبقي صامداً إلى أن انسحب منه الطلبة والأنصار تكتيكيا أثناء الهجوم الأمريكي .. في إطار تحول شكل الصراع من حرب جبهوية إلى حرب عصابات جديدة ضد الأمريكان ..

التحركات الفردية أو المعدات .. كما يتم إخفاء الطرق الحيوية .. يستفاد من الأرض والظلال وشباك التمويه والمواقع الوهمية .. فكما في الخطة الدفاعية مواقع أصلية وبديلة .. في خطة الخداع مواقع وهمية ..

أما شكل الدفاع فهو يعتمد على طبيعة الأرض بالدرجة الأولى ثم الخطر المتوقع والأسلحة المتوفرة .. بمعنى أن إذا كانت المنطقة التي بها القاعدة تمكن العدو من التقدم من أي محور أو تسمح بعمليات إبرار أو إسقاط مظليين .. فإن العصابات ستبني خطتها الدفاعية وفقاً لأسلوب الدفاع الدائري .. وإذا كانت المنطقة حصينة مع خلفية لدولة حليفة واتجاه تقدم الخصم محصور في محاور محددة .. فستبنى الخطة الدفاعية في اتجاه تقدم الخصم فقط ..

التكتيكات الهجومية في المرحلة الثانية:

تكتيك الهجوم يضاف إليه عناصر دعم جديدة "المدافع الثقيلة والدبابات .. وربما بعض الطائرات" .. وأيضاً على جهاز جديد .. جهاز مخابرات يعمل على أهداف في عمق العدو بالتنسيق مع عناصر العمل السري في المدن أو ينفذ عمليات داخل الدول الداعمة للعدو .. هذه العناصر تفرض على العصابات تقسيم العمل والتخصص لوحداتها التي أصبحت وحدات كبيرة مدعومة بأسلحة ثقيلة .. والفارق هنا بينها وبين الوحدات النظامية هي التربية .. فالعصابات تربت خلال المرحلة الأولى وفق روح حرة مبتكرة لها مبادراتها الذاتية .. ووفق هذه التربية والروح تستخدم العصابات الأسلحة والمعدات الثقيلة .. ولكنها أكثر تنظيماً عن قبل ..وأكثر تخصصاً ..

بعد أن كان مقاتل العصابات يستخدم كل أنواع الأسلحة ويجيدها .. يفرض عليه واقع تزايد الأعداد وتنوع الأسلحة التخصص .. مجموعات

مقاتلين بأسلحتهم المعتادة .. مجموعات دبابات .. مجموعات مدفعية وصواريخ .. مجموعة هندسة عسكرية ...الخ ..

في هذه المرحلة مع زيادة أعداد المجاهدين وكبر حجم أسلحتهم تكبر بالتبعية أهدافهم .. ويتنوع عملياتهم .. ويضاف لتكتيكاتهم .. ففي المرحلة الأولى اعتمدوا على العمليات السريعة والمفاجأة .. سواء في الكمائن أو الغارات .. أما في هذه المرحلة فميدان المعارك انتقل من الأراضي الوعرة إلى المناطق الريفية المحيطة بالمدن .. هذه المزارع توفر سواتر جيدة لاقتراب العصابات ودباباتهم والتخفي بين أشجارها .. وأصبحت العصابات تعتمد على التمهيد الناري بالمدفعيات والصواريخ .. والاقتراب والاقتحام بالمشاة والدبابات .. وعادة ما تكون هذه العمليات مع أول ضوء أو آخر ضوء .. ويتم التنفيذ بدقة وسرعة وانضباط لتلافي المجهود الجوي .. يكثر في هذه المرحلة أن تسيطر العصابات على موقع ثم تستعيده الحكومة ثم تعود العصابات وتسيطر عليه .. وهكذا تستمر المعارك بين كر وفر .. حتى تسيطر العصابات عليه وتتشبث به وتقبل الحكومة أن تنسحب إلى خط دفاعي جديد ..

الدبابات حولت الجبال في أفغانستان إلى بارجات حربية .. تقصف بدقة منها الأهداف الثابتة والمتحركة وقطعت الطرق على العدو ونكدت عليه تحركاته ..

الاتصالات هي عصب المعركة كما يقال .. ولا بد للعصابات من استخدامها .. ولا بد من وجود أكثر من وسيلة اتصال .. كما لابد من وجود شفرات .. أيضاً الاتصالات سلاح ذو حدين .. ولهذا يراعي في القاعدة الأساسية والقواعد المرتبطة بها أن تستخدم الهاتف الميداني السلكي أو السعاة .. أما

في العمليات فطبيعتها تفرض استخدام الأجهزة التي تستخدم ذبذبتين مختلفتين للإرسال والاستقبال بين الوحدات .. أجهزة الاتصال يسهل التشويش عليها .. كما يسهل التنصت عليها .. ولذلك فالمعلومات الهامة إما أن تنقل سلكياً أو من خلال السعاة ..

من المهم أن تمتلك العصابات أجهزة بحث وتصنت على اتصالات العدو .. ويكون لدى جهاز الأمن مجموعة متخصصة في فك الشفرات .. أو لإرسال رسائل خداع وتضليل للتشويش على العدو .. كما تستخدم للتأثير على وحدات العدو بالدخول على ذبذباتهم والحوار معهم .. وهذا الأسلوب نجح في أفغانستان في جذب كثير من جنود العدو ..

هذه العمليات والمعدات ووسائط القتال .. تؤهل العصابات لمزيد من الضغط وبقسوة على القوات الحكومية .. التي تظل تنكمش تدريجياً حتى تصل في نهاية المرحلة وقد اكتفت بالدفاع عن المدن الكبرى فقط .. وهي النقطة التي تستعد لها العصابات لبدأ المرحلة الثالثة من الحرب وهي الحسم .. وربما الحل السياسي تحت الوطأة العسكرية .. وبحسب قوة العصابات تأتي المرحلة الأخيرة ويتشكل نصرهم ..

المناطق المحررة: قديماً قالوا كما تكون قاعدتك تكون دولتك المستقبلية .. أي إذا كانت القاعدة تقوم على أسس سليمة في التنظيم والترتيب .. وكذلك في الأخلاق والتربية .. والعدل والقضاء ....الخ .. جاءت دولة المستقبل على نفس السمت الراقي .. أما إذا كان المنتشر فيها رديء الأخلاق والظلم متفشي وهناك خلل إداري وتنظيمي .. فهكذا تكون الدولة القادمة ..

إذا نجحت العصابات في حسن تنظيم القاعدة أمنياً وإدارياً .. تقوم بنقل هذا النجاح إلى المناطق المحررة ولكن بصورة تناسب وجود مجتمع متكامل

من رجال ونساء وأطفال .. وعرقيات مختلفة .. وربما عقائد أخرى .. وحاجة هذا المجتمع للعديد من الخدمات الإدارية والصحية .. وفقا لمبدأ "الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ" .. وقد أعجبت كثيراً بحسن إدارة جبهة النصرة وأخواتها في سوريا للمناطق التي تحت سيطرتهم .. وشفقتهم ورحمتهم بالسكان في هذه المناطق .. وبراعتهم في إفشاء روح التكافل بين المجتمع .. وهذا يبشر إن شاء الله بقادم الأيام ..

القوات النظامية:

القياس هنا على الشكل والتشكيل والتكتيك .. فهل تتحول قوات العصابات إلى قوات نظامية أم شبه نظامية .. الحقيقة أن هذا التحول نسبي وتختلف درجة التحول من تجربة لأخرى .. فماو تسي تونج يرى أنها تتحول إلى قوات نظامية .. في حين يرجح المهندس مصطفى حامد في ضوء التجربة الأفغانية رأي الجنرال أندريه بوفر[٥٧] "قوات عصابات كبيرة العدد ومزودة بالأسلحة الثقيلة" .. فالمجاهدون شكلوا مجموعات كبيرة فعلاً ومدعومة بالأسلحة المتوفرة وبعضهم ارتدى الزي العسكري والأكثرية رفضته .. لكن يبقى وراء كل حالة أسباب مؤثرة .. فالسبب الرئيس في ذلك يعود إلى طبيعة الشعوب وتركيبتها الاجتماعية والأعراف والعادات التي تحكمها .. فالشعوب التي تكون القيادة فيها للقبيلة تناسبها الحالة

[٥٧] جنرال فرنسي (١٩٠٢ – ١٩٧٥) خدم في الهند الصينية والجزائر وهو من مخططي العدوان الثلاثي على مصر ١٩٥٦ وكاد أن يقتل في بور سعيد .. ثم أصبح مساعد قائد القوات الفرنسية في ألمانيا ثم رئيس الفريق الفرنسي في حلف الأطلسي كما خدم فترة في نيويورك .. ثم عمل مديراً للمعهد الفرنسي للدراسات الإستراتيجية .. له كتابات مشهورة في الإستراتيجية وهو يخالف كل من كلاوزفيتز وليدل هارت في تعريف الإستراتيجية ويرجع ذلك لاختلاف الزمان وتطور آلة الحرب وقيمة الدور الذي يلعبه الاقتصاد فعبر عنها بأنها "فن الاختيار المناسب للأساليب الممكنة المتفقة مع حالة معينة" .. ومن أشهر كتبه كتاب "الحرب الثورية" ..

الأفغانية .. أما الشعوب التي تنصهر القبيلة وتذوب في الدولة فيناسبها نوع من النظام لا يحد من مبادرات المقاتلين ..

وبالتالي فقوات العصابات تقترب من الحالة النظامية بدرجة أو بأخرى .. فهي لن تعود وحدات عصابات صغيرة وخفيفة ذات تكتيكات خاطفة .. كما أنها لن تكون نظامية تلتزم بالشكل والتشكيل والتكتيك النظامي والعمل كوحدات محترفة لها ثكناتها التي تقيم فيها أو الثغور التي تحميها إلا بعد قيام الدولة ..

وفي كلا من الشكلين فإنها تستخدم التكتيكات النظامية بروح وعقل العصابات المتحرر من القيود العسكرية .. وتبرز فيه الروح الفردية والجماعية على السواء .. وتكثر فيها البطولات والمبادرات .. فمن الوارد بدرجة كبيرة أن مقاتل العصابات هو الذي يوحي لقيادته بعدد من العمليات المؤثرة والتي تتجلى فيها المغامرة والذكاء الفطري والشجاعة المفرطة .. ففرد العصابات ليس جندي ينتظر سلسلة الأوامر .. فهو يرى نفسه قادرا على ابتكار المبادرة الناجحة والتي لطالما أخذت بها القيادة .. وقد أثبتت التجربة في مراحل الحرب المختلفة صدقها .. وجدواها ..

<u>مخاطر تواجه العصابات في المرحلة الثانية:</u>

إضافة للأخطار السابقة في المرحلة الأولى يدخل خطر جديد ومخيف .. خطر ليس من العدو .. ولكنه من داخل قاعدة العصابات وهو:

- من أكبر الأخطار التي تهدد قاعدة العصابات كما تهدد الدولة القادمة هو: المسميات والتقسيمات بحسب التخصصات .. وافتراض الجهل لأصحاب كل تخصص بغير تخصصهم .. مما ينتج في المستقبل نزعات انكماش وانفصال ربما تؤدي إلى الانحراف عن المسار المرغوب فيه ..

فتستأثر مجموعة دون الأخرى بالسلطة وتسقط في براثن الشيطان .. وتبدأ الانشقاقات والانقسامات .. حدث هذا في السودان حينما انفصل العسكر عن السياسيين والشرعيين .. فانتهى الحال بتقسيم السودان بعد عقود طويلة من مؤامرات تقسيمه .. وما الانشقاقات التي تحدث في التنظيمات ما هي إلا جراء هذه النظرة العقيمة ..

جميع أفراد العصابات يجب أن يكونوا عقائديين فلا يصح الفصل أن هذا رجل شرعي وهذا رجل سياسي بل كلهم شرعيين ولكل منهم تخصصه بعد ذلك .. فحينما نقول فلان رجل عسكري أو سياسي أو فقيه أو محدث أو أمني أو اقتصادي فكلهم إسلاميون نالوا حظاً جيداً من التربية وكلهم لديه العلم العيني والثقافة الشرعية والفقه الخاص بمجالهم وتخصصهم ..

ولا اعتبار لبعض السلفيين الذين يقصرون فهم الشريعة على أنفسهم ويحرمون الناس منها .. ليحول نفسه إلى متحدث باسم الإسلام دون سواه كما يفعل الأزهر اليوم .. فاليوم حتى من يقصرون الشريعة على أنفسهم أصبحوا متخصصين في جزء منها .. فهذا متخصص في العقائد وهذا في الحديث وهذا في التفسير وذاك في التعاملات المالية والبنوك .. فهل يصح أن لا يكونوا مجاهدين يحملون السلاح ويجلسون مع الخوالف من النساء والأطفال .. كلهم مسلمون كلهم لديه ما يناسب تخصصه من علوم الشريعة كلهم يتعين عليه الجهاد حال تعينه .. فهذا متخصص في العلم العسكري وهذا متخصص في العقيدة والأخر في الأمن والذي يليه في الفقه وكلهم مجاهدون محترمون ..

- خطر أخر تتعرض له العصابات وآثاره كارثية .. وهو التراخي الأمني الذي يتولد من الانتصارات التكتيكية والسيطرة على بعض المناطق المحررة .. فتقوم قيادة العصابات بعقد مؤتمرات ولقاءات وتجذب إلى أرضها العديد من رجال الصحافة والمخابرات .. وحتى الجماعات المنافسة أو المعادية .. وأيضاً آخرين من دونهم لا تعلمونهم .. وكل هؤلاء بدورهم يجمعون المعلومات عن القيادة وعاداتها وبرامجها ووسائلها الحركية وخاصة الأماكن التي عادة ما تكون مجتمعة فيها .. حتى إذا ما سنحت فرصة غدروا بمن اجتمع قصفاً أو تفجيراً .. وعليه فلا بد أن تكون اجتماعات القيادات خاصة إذا كان اجتماع دوري لعدد كبير منهم محاطة بإجراءات أمنية مشددة .. وإن كنت لا أحبذ اجتماع أعداد كبيرة من القيادات في وقت واحد ومكان واحد .. فلتحذر العصابات المجاهدة من هذا التراخي والخلل ..

* تكتيك العدو في مرحلة التوازن:

تحت ضربات العصابات في المرحلة الأولى يصاب العدو بحالة من الإحباط واليأس .. فيعمد لإستراتيجية جديدة تتحدد في عدة نقاط: إيقاف الهجوم الإستراتيجي .. ترك حصار الأراضي الوعرة .. الدفاع عن الريف والمدن .. الدفاع عن الأماكن الحيوية .. وهذا لا ينفي قدرته على الهجوم .. ولكن بصورة حملات كبيرة بهدف ضرب قاعدة العصابات .. هذه الحملات تأخذ شكل موجات موسمية بحسب قدرة الحكومة على تحمل تكاليفها ..

أيضاً يمارس العدو عملياته على طرق إمداد العصابات وعلى المنافذ الحدودية .. كما تستمر عمليات القصف الجوي .. خاصة بالقنابل العنقودية والتي لا ينفجر الكثير منها ولها آثار سيئة بعد ذلك على الأطفال

والنساء .. استخدمها الروس كما استخدمها الأمريكان في أفغانستان وقتل بها أول شهيد عربي[٥٨] في جلال أباد ..

كما يقوم العدو بقصف المدن والقرى في المناطق المحررة .. ويقوم بحرق الأراضي الزراعية أو ضرب مستودعات الوقود أو صوامع الغلال .. وحتى طوابير شراء الخبز يحدث هذا بشكل مكرر في سوريا ..

جميع الأعمال العدائية التي يقوم بها العدو تأتي بنتائج عكسية .. إذ تبدأ وحدات العصابات في اكتساب خبرة في التعامل معها .. كما يخسر العدو على المستوى الشعبي ..

ثم يبدأ بالانكماش والاكتفاء بالدفاع عن المدن الرئيسة وبعض القرى التي تخدمها .. ويكون العدو في حالة معنوية منحطة .. ويفر منه العديد من عناصره .. كما ينشق ويلحق بالعصابات بعض وحداته .. ويغامر بعض العسكريين بالقيام بانقلاب ويعمل لتسوية الأمر مع العصابات .. ويقدم العديد من المناورات السياسية والتي لا طائل من وراءها .. إلا إذا كانت العصابات منقسمة سياسياً وغير موحدة تنظيمياً ..

***

[٥٨] أبو بصير المصري رحمه الله .. من إخوة الجماعة الإسلامية المصرية .. قتل بسبب قنبلة عنقودية في الحرب التي تصدرتها أمريكا على المسلمين في أفغانستان وإخوانهم من القاعدة .. كان متزوجا من الأفغان ولديه ثلاثة أطفال .. وهو من العرب القلائل الذين يجيدون لغة البشتو ..

ثالثاً: تكتيك المرحلة الثالثة (الحسم)

تشكلت قوات العصابات في المرحلة السابقة على شكل وحدات كبرى مستقلة "مكتفية ذاتياً" .. تتسمى بنفس الأسماء النظامية "سرية .. كتيبة .. لواء .. فرقة ...الخ" .. ولكنها لا تخضع لقانون الأعداد والتقسيمات النظامية .. فالكتيبة النظامية مثلاً تتألف من ثلاث سرايا مهاجمة وسريتين إسناد وعدة فصائل وجماعات معاونة ولها وحدات دعم من اللواء بحسب المهمة .. في حين كتيبة العصابات لا تلتزم بعدد السرايا ولا بالأعداد داخل كل سرية .. وإنما تتشكل بحسب قدرات كل قائد تجمعت حوله العصابات خلال القتال .. وتوفر له العديد من أصناف الأسلحة الخفيفة والثقيلة .. حدث هذا في أفغانستان .. وأطلق عليها عادة اسم قائدها فيقال مجموعة القائد فلان أو كتيبة أو لواء القائد فلان بحسب كبر حجمها ..

هذه الوحدات تضم مشاة .. مدافع خفيفة وثقيلة .. هاونات خفيفة وثقيلة .. صواريخ مضادة للدبابات وللطيران .. رشاشات خفيفة وثقيلة ضد الأفراد وضد الطيران .. مجموعة زرع ونزع الألغام .. باختصار ما استطاع أن يغنمه القائد خلال الحرب من خصومه أو يشتريه أو يحصل عليه من قيادة العصابات .. يشكل به قوته (مجموعته) ..

كانت هذه تشكيلة العصابات في ضوء التجربة الأفغانية .. وكذلك في الصومال ولكن أصناف الأسلحة أقل .. أما التكتيكات فكانت أقرب للتكتيكات النظامية حيث تخضع للترتيب الناري من تمهيد وتقسيم الأدوار في الهجوم وكذلك في العملية الدفاعية حيث تصطف الخطوط وأنساقها .. بدرجة أكثر نظما من المرحلة السابقة ..

في المرحلة الأولى من حرب العصابات كانت عمليات العصابات كلها عبارة عن مفاجأة للعدو .. حيث تظهر العصابات مهاجمة في الوقت والمكان وبالشكل الذي يحقق السرعة والحسم والتملص .. أما في المراحل التالية أصبح وجود العصابات محدداً .. ومحاور تقدمها معروف .. وتبقى المفاجأة في الوقت أو خطة الخداع أو نوع الهجوم وكثافته "التفاف .. مواجهة .. اختراق مع التفاف ...الخ" المناسب مع الأرض والإمكانات ..

ويبقى الشكل النهائي للعمليات ملتزما بتكثيف الحصار تدريجياً حول المدن .. حيث تتقدم العصابات على الأرض منتزعة قرى ومناطق من الحكومة المعادية .. حتى تحكم الحصار عليها لتسقطها .. فتقطع الطرق البرية وتغلق المطارات بالقصف أو الاحتلال .. وتقطع السبل البحرية أو النهرية إن وجدت .. فتسقط المدينة بفعل الحصار وبعض المناوشات القتالية (مطاري خوست / الطرق المؤدية إلى جلال آباد – أفغانستان).

كما يكون للدور السياسي في استهلاك معنويات حامية المدينة أثر بالغ في سرعة انهيارها واستسلامها .. يجب على العصابات أن تلتزم[٥٩] بما تعد به .. بمعنى أنها لو أمنت حامية المدينة لتستسلم مقابل تسليم أسلحتها ومعداتها العسكرية وعدم الدخول في قتال مع العصابات .. فيجب أن توفي

٥٩ من كتاب حرب المطاريد .. (.... وأيضا لدى الضباط الفارين في هذه المرحلة معلومات قيمة جدا تساعد على إنجاح الهجوم .. ولابد من الحصول عليها منهم .. وعدم التسرع في إطلاق سراحهم إلا بعد فحص حالة كل واحد منهم على حده بعد المعركة .. هذا مع تقديم المعاملة الكريمة لهم عند الأسر وإقناعهم بالتعاون وتقديم المعلومات التي بحوزتهم والتي تساعد في المعركة الدائرة حاليا أو ما يليها هذا مع التشديد على الالتزام الفعلي بأية وعود تقدم إليهم .. سواء بالعفو أو المكافأة فليس هناك أسوأ من حركة تخون وعودها حتى مع العدو .. فهذا مقدمة حقيقية لانقلاب الحركة على أهدافها المعلنة التي بدأت لأجلها الجهاد فالغدر وإخلاف العهد .. سلسلة نكده .. إذا بدأت فإنها لا تقف عند حد هؤلاء الضباط والجنود .. تُسجل معهم أحاديث ويوجهون نداءات عبر إذاعات المجاهدين .. للتأثير على المدافعين في المدينة .. بل وعلى مجمل المدن التي تنتظر دورها .. فيؤثر ذلك على نفسيات المدافعين ويحرضهم على الفرار والاستسلام).

به لتسمح بالتجربة أن تنتقل للمدن الأخرى .. فتسارع في فرط عقد النظام .. خاصة أن حاميات المدن في هذه الفترة والجنود منهم على وجه الدقة يرغبون في حفظ حياتهم أكثر من حماية النظام المنهار ..

كما أن المجهود الجوي للعدو ينحصر في ضرب المؤخرات والقواعد وطرق الإمداد .. لكنه يكون محدوداً جداً على خطوط التماس .. خاصة إذا كانت الطائرات من جيل قديم كما هو التسليح في أفغانستان وبعض الدول الإسلامية ..

إن سقوط المدينة الأولى يعني للنظام والمدافعين عنه أمرين: أن نظريتهم الدفاعية فاشلة وأن المدن ستسقط متتابعة كالدومينو .. وأن وقتهم في إدارة البلاد قد انتهى .. وبالتالي ليس أمامه إلا الفرار أو الاستسلام .. أو إيجاد مخرج سياسي .. وللأسف في بعض الحالات بسبب الضغوط الخارجية لحلفاء كلا الفريقين يكون الحل النهائي سياسي .. بغرض تشكيل حكومة مشتركة من الفريقين المتحاربين .. حدث هذا في فترة الأحزاب السبعة في أفغانستان حيث تولى "نجيب الله" رئيس النظام المنهار رئاسة البنك المركزي[٦٠] الأفغاني .. تحت رئاسة المجاهدين مجددي ورباني ..

تواصل العصابات دفاعها عن قواعدها ومكتسباتها المتتالية وعن خطوط إمدادها وحركتها .. وكلما انتزعت العصابات أرض جديدة كلما زادت مشكلتها سواء تجاه خطوط إمدادها أو طرق دعمها لوحداتها المتقدمة .. في هذه المرحلة تدخر العصابات أعداداً لحراسة طرق الإمداد من التخريب أو القطع المؤقت .. وتعمل وحداتها على توفير خطوط إمداد بديلة أو وسائل مواصلات يمكنها التحرك على أكثر من درب (الحيوانات – الهليكوبتر) .. أو

---

٦٠ بمعنى انه يسيطر علي كل النظام المالي في البلاد بما فيها سك العملة الذي كان يتم في أووربا الشرقية ..

تشغل العدو بعمليات كثيرة تنسيه العمل على الخطوط الخلفية .. كما تستخدم القاعدة النبوية "وجعل رزقي تحت ظل رمحي" ..

مخاطر تواجه العصابات في المرحلة الثالثة:

في هذه المرحلة تكون العملية السياسية الداخلية والخارجية في منتهى الفاعلية .. والعمل العسكري قوي ونشط .. تواجه العصابات بضغوط من عديد القوى السياسية الفاعلة على الساحة الدولية تحت مظلة الأمم المتحدة .. التي تسارع بإرسال مندوب عنها لطرح العديد من الأفكار بغرض إنهاء الحرب وفق رؤية سياسية تناسب القوى الكبرى عادة وتخدم مصالحها .. يواكب ذلك أطروحات من الداخل من التجار والمعارضة غير المسلحة وبعض مؤسسات الدولة .. وتعقيدات الداخل أشد بحسب تركيبة الدولة "القبلية .. العرقية .. العقدية .. الحزبية" .. وما تفشل فيه هذه المنظمات والمجموعات تنجح فيه السعودية[٦١] بأسلوبها الخبيث فعن طريق وفود المشائخ والعلماء الذين يتم إرسالهم من قبل الحكومة تفرض رؤيتها التي توافق هوى الغرب أو الشرق .. فإن لم يكن للعصابات برنامج البناء الخاص بها فستسقط راكعة أمام واحد من هذه الأطروحات .. والعصابات إن لم تعالج الكثير من هذه المشاكل خلال مراحل الحرب المختلفة بحزم .. فإن الصراع سيستمر لأعوام .. دون إيجاد مخرج من الأزمة .. وتصبح الدولة فاشلة ولا تقوم بما هو منوط بها .. (الصومال) ..

* التفاهم مع العدو المحتل: يقوم المحتل بالتخطيط للانسحاب حتى يحفظ ماء وجهه .. فيعمد لأسلوبين: الأول يقوم بتسليم السلطة لحكومة

[٦١] نجحت السعودية في هذا الباب أيما نجاح منذ انزلاقها فيه .. عندما أرسل عبد العزيز ابنيه سعود وفيصل لإفساد القضية الفلسطينية ..

موالية له ويدعمها في متابعة حربه ضد العصابات .. وهو يعلم إن هي إلا أيام وتنتهي .. وبالتالي تلحق الهزيمة للحكومة الموالية ويبدأ في تقييم التجربة والتفاهم مع القيادة الجديدة .. الأسلوب الآخر هو دخوله مع قيادة العصابات في تفاهمات سياسية تنتهي بالانسحاب مقابل بعض الاتفاقيات السياسية والدفاعية والاقتصادية .. تقيد من صلاحيات العصابات في إدارة البلاد .. وهو الخيار الأسوأ .. وتقبل به العصابات بسبب قلة فهمها أو ضعفها عن الحسم .. هذه الاتفاقيات الدفاعية التي تسمح لقوات العدو بالتدخل لحماية مصالحها ضد أي اعتداء على الدولة .. وبالتالي يعود الاحتلال من جديد .. كذلك تفعل الاتفاقيات السياسية والاقتصادية أيضاً .. وعلى العصابات أن تكون منتبهة وتكمل مسيرتها لتقيم بنائها وفق معتقداتها وتلبية لمصالح شعوبها ..

* القبول بحل سياسي والمشاركة في الحكم: في حالة أن تكون الحرب ضد طاغية مستبد .. تبدأ المساومات والعروض والدعوات للمشاركة في الحكم .. بل تتخطاه لتشكيل الحكومة .. وهذا أيضاً من أكبر الإغراءات التي تواجه العصابات التي لديها سوء فهم لعملية إزالة النظام .. إن إسقاط الحكومة وتشكيل غيرها لا يفيد شيئاً .. فالفساد يستشري في مفاصل الدولة وليس بالوزراء فقط تصلح البلاد .. فهناك مؤسسات بيروقراطية يجب أن تهدم لتبنى من جديد وفق رؤية العصابات ومعتقداتها .. والذي يتراخى في ذلك يحصد الهزيمة .. ولو بعد حين ..

* التراخي في إسقاط الدولة ومؤسساتها: الدولة في أحسن أحوالها تتكون من ثلاث قوى أساسية مع الفصل بينهم وتحكيم إرادة الأمة وسيادة

القانون[٦٢] ؟!: القوة التشريعية .. القوة التنفيذية .. القوة القضائية .. وهناك مؤسسات القوة التنفيذية مثل الداخلية والدفاع والإعلام والمؤسسات الدينية المدجنة .. ورجال الأعمال وبعض المعارضين المدجنين .. وهؤلاء كلهم يشكلون النظام الذي يجب أن يسقط ويقام غيره .. كما سنوضح إن شاء الله في مرحلة البناء .. (أفغانستان - مصر)

* الاندفاع نحو الديمقراطية: ما أن تنتهي الحرب حتى تبدأ الضغوط حول ديمقراطية الدولة ومدنيتها .. والمرحلة الانتقالية .. والحكومة المؤقتة .. والمسامحة والعفو ..وإنشاء الأحزاب وهي فكرة ضارة .. وتشكيل حكومة من كل الفئات الشعبية والسياسية .. والأسوأ حينما تبدأ الدعوات بشكر الثوار وأنهم قادرين على الهدم أما البناء فله رجاله .. وعليهم أن يسلموا السلاح .. ويتركوا السياسة للساسة من خلال إرادة الشعب .. وسيتم توظيفهم بحسب خبراتهم ... الخ هذه السخافات (الحرب في ليبيا ٢٠١١) ..

وكل هذا باطل لا يصح جملة وتفصيلاً .. فالذين قاموا بالحرب لا يجب أن ينخدعوا ويتركوا التوجيه لكل ناعق .. وعليهم محاكمة ومحاسبة النظام السابق ومؤسساته بحزم وشدة .. وتحجيم كل من يريد أن يمتطي صهوة النصر معهم .. وكبته إن تطلب الأمر .. الحكم عقيم .. إن عليهم المبادرة بالأخذ بزمام الأمور وتشكيل مجلس قيادي منهم لإدارة البلاد وبناء النظام الذي من أجله قاتلوا وبذلوا من دماء .. ويجب أن يكونوا حازمين .. ولا بأس بذلك شريطة أن يقدم للشعب ما يفيده ويحقق مطالبه ..

---

٦٢ مستندين في ذلك إلى مبادئ رسو ومونتسكيو من تحكيم الإرادة العامة للأمة .. وهذا كله مناقض لما تبنى عليه السلطة في الإسلام وكيفية إدارة الدولة وبما تحكم ..

وأنقل لكم من المقالة الأولى في سلسلة مقالات[٦٣] "يا ما في الجراب يا حاوي":

(..... وعليه فليس معنى أن تأتي الديمقراطية بالحكم للتيار الإسلامي أن الدولة ستتحول للإسلام .. **فلعبة الديمقراطية تم ابتكارها لتكون وسيلة ناجعة لحسم الاجتهادات المختلفة داخل الأيدلوجية الواحدة** .. واليوم قد يناسب الشعب اجتهاداً لا يناسبه غداً فيتصدر أصحابه المشهد اليوم ويتصدر غيرهم غداً .. وكلهم من داخل بوتقة واحدة .. **وبالتالي فهي غير صالحة على الإطلاق بل ويستحيل نجاحها بين أيدلوجيتين متضاتين تماما** .. ولتتفوق أيدلوجية على أخرى **لا بد من الصراع** الذي قد تكون من مقدماته الثورة الشعبية ولكن لا بد له في نهاية المطاف من قوة عسكرية لتحميه وتؤمن مكتسباته وتحقق النصر في النهاية .. لتحسم الصراع .. وتعطي الحق لفئة على أخرى لتصبغ أيدلوجيتها على الدولة .. أهـ من المقالة..

على المجاهدين في هذه المرحلة أن يبنوا مؤسساتهم العسكرية والأمنية والمخابراتية والقضائية ... إلخ .. وفق معتقدهم وحسب تربيتهم .. وعليهم ألا يجاملوا أحداً في دين الله .. فما توالت الهزائم والانتكاسات إلا من هذا الباب الذي روعيت فيه مصالح بعض كبار الملاك أو بعض الدول التي هددت بحماية مصالحها أو الأقليات التي تتبع مذهبها العقدي ..

* تقاسم السلطة: وهذا ينتج عن قيام حرب عصابات تقودها عدة أحزاب أو تجمعات قبلية أو تعقيدات عرقية أو تباينات عقدية .. فكل حزب يتكلم

---

[٦٣] سلسلة مقالات بدأت في كتابتها في شهر رمضان من هذا العام .. وكانت تدور حول انتفاضة ٢٥ يناير وتلاعب الجيش المصري وعبثه وانحرافه عن الدين منذ إنشاءه إلى الانقلاب العسكري في مصر .. ودور محمد علي وأسرته والأسر السعودية وأشراف مكة وتواطئهم مع الإنجليز في هدم الخلافة الإسلامية .. ثم عبث الإنجليز بالأشراف ثم ورثة محمد علي .. ورضاهم وورثتهم الأمريكان على عبد العزيز آل سعود وورثته ..

بما تحت يده من مكاسب .. وكل قبيلة تتكلم بما تملكه من قوة في السلاح وفي عدد أفرادها أو المتحالفين معها .. أما العرقيات فهي أسوأ ما يواجه الدولة القادمة لأن كل عرق يرغب في أحسن الأحوال بفدرالية يكون لهم فيها حكم مستقل على مناطقهم .. أما التعددية الدينية لا تنتهي إلا بخضوع أحدهما للأخر .. وفي هذه الحالة سنجد الدولة القادمة مُدبرة .. إذ تبني على رؤية مثلاً عرقية مذهبية (العراق: السنة والشيعة .. العرب والأكراد) .. أو تبنى على رؤية عقدية مذهبية (لبنان: السنة والشيعة والنصارى) .. أو المتاهة القبلية في الصومال (قبل قيام المحاكم وبعد سقوطها) ..

* **العدو:**

النظرية الأمنية للعدو في هذه المرحلة تعتمد على ركيزتين:

الأولى: الدفاع عن المدن بكل ما أوتيت من قوة .. فتقيم سلسلة من الخطوط الدفاعية .. وتزيد من كثافة الألغام الأرضية التي أدمت وبترت الكثير من الأقدام .. وتحاول المحافظة على وجود شرايين إمداد للمدن فتقاتل حول الطرق أو الممرات المائية أو تحمي مطاراتها بقوة .. وتعمل على صد هجمات العصابات وإحباطها بغية الوصول لتفاهم ما .. كما تكثف من مجهودها السياسي عسى أن تجد مخرج للأزمة ..

والثانية: الضربات الجوية .. وهي الخطر الرئيسي منذ انطلاق الحرب إلى نهايتها .. لكنه في هذه المرحلة يركز قصفه على قواعد العصابات وطرق الإمداد وخطوط الإسناد الثقيل .. ومركز الاتصالات والسيطرة .. وغرف العمليات .. يستخدم العدو في القصف كل ما تصل إليه يده من قنابل ترمى من الطائرات بكل أوزانها "ألقت أمريكا على أفغانستان أم القنابل

والتي يصل وزنها إلى عشرة أطنان" .. كما يقذف أماكن تجمع العصابات وقواعدهم بالصواريخ متوسطة المدى (سكود – كروز) .. وربما استخدم بعض المقذوفات المحرمة[٦٤] - في عرفهم - دولياً .. كقنابل الغازات أو العنقودية أو ذات الرؤوس النووية التكتيكية ..

الأسلحة المحرمة عادة ما تكون الدول الاستعمارية[٦٥] أجرأ في استخدامها من الوكلاء أو الأنظمة الفاسدة[٦٦] .. ولكن اللمحات الأخيرة للمعارك تؤكد أن استخدامها دليل على انهيار العدو وقرب سقوطه ..

المطارات هي الشريان الرئيسي لاستمرار الحكومة .. حيث يقوم حلفاؤها بعمليات إمداد سريعة من خلالها .. ولهذا تقاتل الحكومة لتبعد عنها أي وحدات قريبة حامية إياها من مديات المدفعية الخفيفة والثقيلة .. وفي حالة دولة مثل أفغانستان افتقدت للبحار أو الأنهار الكبيرة .. يكون المطار هو القلب والروح وسقوطه أو تعطيله يعنى إسقاط النظام .. وهذا ما يجعل الحكومات لا تدخر وسعاً في حمايتها ..

---

[٦٤] (استخدام الغازات يتوقف على عوامل مناخية وطبوغرافية .. وأيضا حسابات سياسية لعوامل داخل البلد وخارجها ويصعب التنبؤ بسلوك العدو في استخدام ذلك السلاح .. ولكن ذلك أمر عادي بالنسبة للدول المستعمرة ولها في ذلك سوابق كثيرة جدا .. استخدم العدو صواريخ سكود برؤوس مشحونة بغاز الخردل .. من أجل إحباط الهجمات ضد " المدن شاهدنا ذلك في جلال آباد " ١٩٨٩ " .. وفي خوست " ١٩٩١ ..) ..... (.. ويمكن أيضا الاستنتاج هنا بأن الدول الاستعمارية المتغطرسة إذا رأت نفسها ستخرج مهزومة وذليلة من معركة مع شعب ضعيف ولكنه صلب العزيمة .. فإنها تتسبب له في "عاهة مستديمة" قبل أن تنسحب والسوفييت قبل انسحابهم من أفغانستان دفنوا في أرضها عشرات الملايين من الألغام وقال أحد جنرالاتهم الكبار عند الانسحاب: لقد انسحبنا .. ولكن الأرض ستظل تحاربهم لمئات السنين ..) .. من كتاب حرب المطاريد

[٦٥] استخدمتها أمريكا في فيتنام .. وروسيا في أفغانستان .. وفرنسا في الجزائر ..

[٦٦] استخدمها صدام حسين في حلبجه بعد أن دعمته بها أمريكا بواسطة دونالد رامزفيلد الذي أصبح وزير دفاعها وقاد الحرب على صدام بعد ذلك .. أيضاً استخدمها بشار الأسد ضد الشعب السوري خلال الحرب الثورية على النظام الفاسد ..

إذا كانت حرب العصابات قامت ضد قوات احتلال .. تقوم الأخيرة بقديم مبادرات سياسية نفصل حولها عند الحديث عن المدفع التالي ..

***

الخامس عشر : الممارسة السياسة والإعلامية للعصابات

العصابات تستخدم السياسة كسلاح رئيسي .. فتقوم بتثقيف عناصرها سياسيا لتعويض النقص المادي بالتفوق المعنوي- السياسي .. والسياسة تعني في كتاباتنا التربية والفهم والممارسة المنضبة شرعاً .. وهذا ما يعطيها جوهرها ويميزها عن غيرها من قوات النظام .. التي لا تهتم من عقل مقاتليها إلا بقدرته على تنفيذ الأمر كما هو ..

تربي العصابات أفرادها دائما قبل وأثناء وبعد الحرب .. وتطلعهم على كل المستجدات فتجعلهم عنصراً فاعلاً بفهم .. أصحاب مبادرة قتالية وسياسية منطلقة من رؤية ومرجعية يدينون بها ويتحركون من خلالها .. هذا الفهم العقدي والفهم الواقعي يفيد العصابات في تأمين تلاحمها الداخلي وصلابة أفرادها وانضباطهم .. كما يفيد في الصمود أمام الدعاية المضادة .. ومحاربة الإشاعات والحرب النفسية .. والعمل الدعوي بين الشعب ..

ولهذا عادة ما تواظب قيادة العصابات على أن يصاحب مجموعاتها متخصص في التربية الشرعية والسياسية .. ويقوم بدوره علي مختلف المستويات .. فمهمته تثقيف المجاهدين شرعياً وواقعياَ .. وتأكيد صحة جهادهم وحتمية النصر قال تعالى { كَتَبَ اللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ {٢١} المجادلة .. كما يقوم بالعمل علي تفتيت العدو عن طريق طرح أفكار قادرة علي اختراق الدعاية المعادية .. تساهم في جذب بعض جنود العدو .. أو غرس الشك في عدالة الهدف الذي يقاتلون من أجله .. أو تثبيطهم وإقناعهم باستحالة انتصارهم .. قال تعالى { إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ {٢٠} المجادلة ..

ومن الطبيعي أن يكون الاهتمام بالتثقيف الشرعي والسياسي للقادة أعلي بدرجة منه للمقاتلين .. نظرا لما يُكلفون به من مهام ينبني عليها اتخاذ القرار السليم .. ولأن القادة هم الذين يضربون المثل للمقاتلين عن طريق التضحية والمشاركة في المتاعب والحياة القاسية ومخاطر الحرب .. وهم المحرك الدائم للروح المعنوية .. والقائمون على حفظ الانضباط واستمرار شعلة الحماسة متقدة داخل صفوف العصابات ..

أيضاً من الأهداف الرئيسية من العملية السياسية أو الممارسات الإعلامية هو: رفع الوعي لدى الشعب .. وحشده وراء مطالبه الأساسية .. سواء كانت هذه المطالب حقوقه الحياتية والسياسية .. أو نهضة بلاده أو استقلالها ..

ولكن ما هي السياسة؟!..

السياسة[٦٧]: هي فن وعلم وفلسفة تندمج جميعها في عملية الحكم ..

فالسياسة كفن تقوم على مهارات سياسية تتحقق عند كل من يضطلع بمهمة ممارسة الحكم .. وهذه المهارات تكتسب من خلال الخبرة العملية .. وذلك بجانب القدرة على الخيال الخصب الخلاق .. وبعد النظر والإلهام .. هذه المهارة يجب أن تكون منضبطة بضوابط الإسلام ..

والسياسة كعلم تستند إلى الاعتقاد في أن حكم الناس ممكن عن طريق المعرفة العلمية بدلاً من الصدفة والتخمين ودون اللجوء إلى الحدس والمهارات الشخصية .. أيضاً هذا الباب من المعرفة وطرق تحصيلها يجب أن تخضع لميزان الإسلام .. ومن أصول الإسلام .. وما يرد عليه من غيره ينقح ويضبط ..

[٦٧] معجم المصطلحات السياسية والدولية .. د. أحمد زكي بدوي .. بتصرف مهم ..

والسياسة كفلسفة ترجع إلى كونها وسيلة الفكر النقدي المنضبط شرعا .. لتحقيق التكامل بين جوانب الخبرة الإنسانية .. واكتشاف إمكانيات احتمالات الانسجام والتعاون .. وعوامل ومظاهر الصراع والانشقاق .. وهذا كله يجعل للسياسة دوراً حيوياً في حياة المجتمع .. أهـ ..

يمكن للتبسيط اختصار التعريف السابق بأن السياسة هي "القدرة على ممارسة الحكم بفهم ودراسة تجارب الماضي .. وفهم أسس الاجتماع البشري .. ووفق رؤية ومهارة واجتهاد القائم على السلطة سواء أدارها شخص أو مجموعة .. وذلك وفق مرجعية إسلامية تخضع للكتاب والسنة"..

وكثير من الشباب المسلم خاصة الملتزم يلعن ساس ويسوس وسياسة .. وهذا مرجعه لما يرونه من ممارسات سياسية كلها غش وخداع وتلاعب واستخفاف بمستقبلهم بل إضاعته .. وامتهان لهم ولآدميتهم .. لكن الممارسة للسياسة في الإسلام مضبوطة بإرشادات ملزمة للممارس .. بخلاف غيره حيث لا سقف أخلاقي يمثل مرجعية عدا المصلحة الأنانية البحتة سواء على مستوى الدولة أو الفرد .. وبالتالي فكل شيء له ما يبرره .. وكل جرائم الأنظمة الغربية مشروعة طالما تحقق لهم مصالحهم حتى ولو سالت بسببها الدماء ..

حينما انطلق الإسلام لفتح البلاد والأمصار استهدف روح الإنسان كما استهدف عقله وجسمه .. فأرشد العقل البشري إلى حقيقة وجوده على الأرض .. كما استهدف جسمه فوجهه إلى ما يقيمه ويحميه من الأدران .. لتكون المحصلة سمو الروح وتجردها من النزعات الحيوانية .. التي تتلمذ

عليها غير المسلمين .. وللأسف في هذا الزمان بارك الغرب النزعة الحيوانية وجعل أتباعها هم القدوة .. وغزل على نهجهم جل حكام المسلمين ..

الإسلام فتح كثير من البلاد بحسن أخلاق وتربية المجاهدين أنفسهم في وفائهم وبرهم وأمانتهم ورفقهم وعدالتهم .. حتى قيل في صحابة رسول الله ﷺ عند فتح بيت المقدس إنهم أشبه الناس بحواري نبي الله عيسى عليه السلام .. وأطلق عليهم آخرون لقب الفاتح الرحيم ..

إلا أن البعض أراد أن يشوه الإسلام من خلال إدارته لفترة ما بعد الحرب في الأراضي المفتوحة .. وعبثاً حاولوا .. فجميع إجراءات الدين كانت موفقة ومناسبة وراعت حقوق الخصم بعد الحرب بما يقيمها ويقومها .. ففي مسألة السبي مثلاً وتقسيمه فلم يفرق بين أم وأطفالها .. ولم يهن المرأة المسبية وانتهك حرمتها بل فوض أمرها إلى رجل واحد تأوي إليه ليرعى مصالحها ومصالح من تعول .. ولم يباشرها إلا بعد التأكد من طهارة وخلو رحمها .. ولم يتركها نهباً للذئاب البشرية يتقاسم ليلها المجموعة والمجموعتين ..

وحينما عاقب الإسلام أعدائه وأسراهم والخائنين لعهوده .. لم يفتح لهم المعتقلات ليذيقهم ألوان العذاب وأصنافه كما فعل الأمريكان في فيتنام أو معتقل أبو غريب .. فقد عاقبهم الإسلام بما يستحقون دون أي انتهاكات لآدمية الشخص وإن كان عدواً .. والإسلام لم يترك الباب مفتوحا للأفراد ليعبثوا بالبشر كما فعل الجنود الأمريكان في أفغانستان وغيرها عندما قطعوا أوصال المسلمين وصنعوا منها قلائد يتباهون بها في مجالسهم .. بل منع المثلة وأوكل الأمر إلى أهله من الأمراء والقضاة قال تعالى { وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُواْ بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّابِرينَ {١٢٦} النحل ..

وروى البخاري في قصة العرنيين قال قَتادة: «بلَغنا أن النبيَّ ﷺ بعدَ ذلك كان يَحُثُّ على الصدقة وينهى عنِ المثْلةِ» .. إن المنهج الإسلامي فيه كمال الاحترام لآدمية الإنسان وعدم انتهاك جسده وإيلامه حياً أو إيذاء أهله ميتاً ..

بل أكثر من ذلك فالإسلام لم ينظر إلى ثروات الآخرين أو أرضهم على كونها هي الهدف المطلوب .. وإنما الرغبة الصادقة في تعبيدهم لله .. فقد أخرج البخاري في صحيحه ... حينما أرسل رسول الله ﷺ إلى هرقل يدعوه: «بسم اللَّهِ الرحمن الرَّحيم. من محمدٍ رسولِ الله، إلى هِرَقلَ عظيم الروم. سلامٌ على من اتَّبع الهدَى. أما بعدُ فإني أدعوكَ بدعايةِ الإسلام. أسلِمْ تَسلَم، وأسلِمْ يؤْتكَ اللَّهُ أجرَكَ مرَّتين. فإن تولَّيتَ فإن عليك إثمَ الأريسِيِّين. و{... يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْاْ إِلَى كَلَمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلَّا اللّهَ وَلاَ نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلاَ يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضاً أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللّهِ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ اشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ {٦٤} آل عمران .. هذا هو الأسلوب الراقي في الدعوة .. أما الحكم فكان إذا أسلم أمير منطقة ما أقامه في ملكه وأرسل إليهم من يعلمهم ويرشدهم .. فالإسلام رسالة حياة ..

وفي مسألة الجزية .. وهي مبلغ زهيد في مقابل تأمينهم والدفاع عنهم خلال الإقامة والحياة على الأرض التي تحكم بالإسلام .. فقد أخذ أبو عبيدة ﵁ الجزية من أهل دمشق ولما اضطر لمغادرتها ردها إليهم وأخبرهم أنه إنما أخذها من أجل تأمينهم وحمايتهم أما وقد انسحب منها فلا يصح أن يحتفظ بها .. وقد قال علي بن أبي طالب ﵁ « إنما بذلوا الجزية لتكون دماؤهم كدمائنا وأموالهم كأموالنا » .. بل ذهب الإسلام أبعد من ذلك فقد عفا عمر بن الخطاب ﵁ عن يهودي بلغ المشيب وهو يدفع الجزية ولم يعد

قادراً على التكسب ففرض له ما يقيم حياته .. إن الدول المحتلة لا تبقي لأهل البلاد شيء .. فهي تصادر كرائم أموالهم وما دونها .. ولا تؤمنهم على شيء .. فنحن نكون أمام مجموعة من اللصوص الذين ينهبون كل شيء حتى الدماء والأعضاء البشرية ..

وفي مسألة نقض العهود .. حافظ الدين عليها وراعى أن تكون لها أولوية مقدمة على ما في الحرب من المكر والخديعة .. لأن الهدف الاستراتيجي هو إخراج الناس من الظلمات إلى النور .. وسياستهم وفق منهج سماوي صحيح .. والإسلام في مكاتباته يُثبتُ الحاكم الذي يدخل في الإسلام على رعيته .. فليس الهدف الاستراتيجي احتلال الأرض أو تحقيق النصر أو سلب الثروات أو مجرد الرغبة في القتل .. «كان معاوية يسير بأرض الروم وكان بينهم وبينه أمد، فأراد أن يدنو منهم فإذا انقضى الأمد غزاهم، فإذا شيخ على دابة يقول: الله أكبر الله أكبر وفاء لا غدر، أن رسول الله ﷺ قال: من كان بينه وبين قوم عهد فلا يحلن عقدة ولا يشدها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء، فبلغ ذلك معاوية، فرجع، وإذا الشيخ عمرو بن عبسة» .. لقد أنصف الإسلام خصومه من الرغبات العسكرية التي يرها البعض أمراً من الحكمة والمكر والدهاء ..

وفي مسألة الأموال وزكاتها راعى الإسلام نماء المال وبقاءه صالحاً مباركاً في يد صاحبه .. وكفل أيضاً للفقير حقاً لا يجعله يستجدي بل يستره .. ففرض على أموال الأغنياء نسبة لا تقارن بما استحدثه البشر من ضرائب تصاعدية بلا وجه حق قاسموا فيها أصحاب الأموال .. فرض الإسلام نسبة ٢.٥% لبعض الأموال تنفق في ثمانية مصارف .. وفي باقي أصناف الأموال نسب لا تأكل رأس المال بل تزكيه .. وتطهره فينموا مباركاً .. وفرق بين الأرض

التي ترويها السماء والتي يتكلف في ريها .. وبين السائمة وغيرها .. فالزكاة صيانة وبركة .. البركة بطاعة أمر الله أولاً .. ثم بدعاء الضعفاء الذين وأدت الزكاة حسد قلوبهم وأعينهم .. فكملت بالصيانة والحفظ ..

وفي قضية الرق فقد أسهم الإسلام وحرض وتحمل تحرير البشر من عبودية غير الله أولاً ومن استعباد البشر ثانياً .. فجعل من الكفارات ما فيه تحرير الرقاب .. وطلب من أصحاب الرقيق أن يقبلوا مكاتبتهم ومساعدتهم على تحرير أنفسهم .. في حين أن تجارة الرقيق الأبيض منتشرة في أوروبا .. تخطف البنات أو يحتال عليهن ثم يدفعن إلى النخاسين والقوادين ليتاجروا بأجسامهن .. هذا إضافة لما تمارسه الدول الاستعمارية في الشعوب التي تحتل أرضها .. فإنها إن لم تستعبدهم تبيدهم أو تتاجر بأعضائهم .. لا يفرقون بين رجل وإمرءة أو بين صغير و كبير .. يقومنهم بالمال الذي يحصدونه بجشع ونهم ..

وفي نظام الحكم شرع لهم الله سبحانه وتعالى ما يقيم حياتهم ويحفظ دينهم وأنفسهم وعقولهم وعرضهم وأموالهم .. في إطار دقيق بديع لا ترقى إليه بحال من الأحوال أي نظم بشرية حتى لو اجتمع لنظمها الجن والإنس .. قال تعالى {ذَلِكَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ {٦} الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنسَانِ مِن طِينٍ {٧} السجدة ..

إن من أعجب ما أسمعه من ساسة الغرب تفننهم في الاحتيال على شعوبهم .. وتخويفهم لهم من المسلمين .. فعند كل حادثة يرغبون فيها حماية مصالح رجال الأعمال الذين يديرونهم .. يقولون إن هؤلاء (يقصدون المجاهدين) يحاربون أسلوب حياتنا وحريتنا .. وهذا من الكذب الجلي .. والتدليس على شعوبهم .. فأسلوب حياتهم لا يعدوا كونه فوضى لها ظلال

كنسية من التاريخ تنظمها .. وشعوبهم محرومة من حقيقة الحياة فهم منهمكون في تحصيل شهوة الجنس والمأكل ومن أجلهما يرعون في الأرض لجمع المال اللازم .. ويفتقرون لأي عنصر روحاني يطهر ويزكي مسيرة حياتهم ويشعرهم بآدميتهم وإنسانيتهم .. هذه هي حقيقة حياتكم .. والمجاهدون يسعون من أجل هدف آخر وهو إصلاح حياتكم وإشعاركم بآدميتكم .. وغرس كل عناصر الإنسانية فيكم .. بتوضيح حقيقة وجودكم على الأرض .. والمجاهدون يعملون على تنقية نفوسكم وتزكية أرواحكم .. وتحريركم من عبودية المال .. وتحصين فروجكم وطهارتها من حيوانية من يغشونكم .. وإشباع بطونكم بما ينفع أجسادكم ويقيم حياتكم .. إننا نسعى وبكل جهد لإخراجكم من هذه الظلمات التي يأكل القوي فيها الضعيف .. فساستكم وأصحاب الأموال المهولة فيكم أفسدوا حياة شعوبهم كما أفسدوا دنيا غيرهم من دول أمريكا اللاتينية وغيرها من دول العالم .. فأمريكا والغرب عموما لم يقدموا للإنسانية إلا ما يسقطها في الجحيم .. ويقذف بها في دركاته .. أما الإسلام والمجاهدون فهم يرغبون في تحسين حياتكم وإعطائكم الحرية الحقيقة التي تحترم فيها إرادة الإنسان كإنسان .. لا يتميز فيه لون على لون ولا عرق على آخر في الدنيا كما في الآخرة إلا بما تحصله قلوبهم من إيمان وتقوى .. ولهذا نحفظ على سبيل المثال: للرجل كرامته وعفته حينما يتزوج امرأة لم يمسها غيره إلا وفق علاقة طاهرة مشروعة .. ويعيد للمرأة عفتها كامرأة لا كحيوان جامح تمكن الذكور منها حتى إذا حملت لا تدري من صاحب ما في رحمها .. هل هذا أسلوب حياة؟ .. هل هذا هو مفهوم كلمة حرية؟ وما الفارق بينكم وبين البهائم .. إن الحيوانات تحمى إناثها ولا تسمح لها ولا لغيرها بانتهاك هذه الحرمة .. فبئس الحياة إذن إذا كانت دون غيرة الحيوانات .. وإنني أعتقد أن

همنا الأول هو إصلاح دنياكم لصلاح آخرتكم بتوحيد الله والعيش تحت شريعته .. أما تدمير نمط حياتكم كما يحاول ساستكم أن يقنعوكم .. فالإسلام يقر الفضيلة ويحارب الرزيلة وما كان صالحاً فالإسلام يدعوا إليه وما كان فاسداً يقومه .. وبالتالي فالنمط الفاسد الضار المخالف لشرع الله ومنهجه للبشر هو الذي يحاربه الإسلام ..

نريد أن نأخذ بأيديكم إلى رضا الله ثم إلى دار سعادته .. نحن نريد نشر العفة والطهارة .. في حين أن قادة أمتكم ينشرون الرزيلة والفحشاء والعهر والسكر .. نحن نرغب في أن نرقى بكم لعالم البشر وأنتم تريدون أن تأخذونا لمجهول دون عالم الحيوان .. هذه هي الحقيقة .. نحن لا نحارب إلا ساستكم وأصحاب الأموال الذين يسخرونكم كالبهائم ويقودونكم في جيوش لمحاربة العدل والحق والطهر والعفاف .. **نحن نحارب ما يحول بينكم وبين تقبل الحياة الحقيقية النقية الطاهرة التي ترقى بكم .. لنيل رضا الله .. وتنجيكم من الجحيم .. لتشاركونا في سكن الجنة كما تشاركنا في سكن الأرض ..**

هذا هو الإسلام .. نعم .. ولن تجد في غيره إلا ما يحط من قدر البشرية ويسيء إليها بدعاوى باطلة .. وقهر مجحف .. وذوق فاسد .. فعباد المال في هذا الزمان يستطعمون الحرام بلا غصة .. في انقلاب وانتكاسة للفطرة لم تحدث حتى في زمان نبي الله لوط عليه السلام .. ولولا أن مقام هذه المحاضرات لموضوع الحرب لفصلنا في سوء ما عليه المجتمعات الغربية حكومات وشعوب .. وما تبعهم فيه حكام المسلمين وعسكرهم ..

يظن البعض أن الحرب لا سياسة فيها في حين أن الحرب هي جزء من العملية السياسية .. وكما أن في الحرب مناورات ففي السياسة مناورات

ليس بالضرورة أن يقوم بها الطرف الأضعف .. فالهدف من المناورات هو تحقيق النصر بأقل خسائر ممكنة .. وهذا أيضاً معمول به في السياسة .. إذ النجاح فيها يكون بكسب حلفاء جدد .. أو تخذيل مترددين من أن ينضموا للعدو .. أو تحيد حلفاء للعدو عن الدخول في الصراع .. استخدم رسول الله ﷺ مناورة تفكيك التحالف ومثالها الظاهر في غزوة الأحزاب .. فقد قام اليهود بتحريض كفار مكة وغطفان لقتال المسلمين .. المناورة الأولى شاور فيها رسول الله ﷺ أصحابه على إعطاء ثلث ثمار المدينة لغطفان ليتركوا التحالف .. إلا أن الأنصار أكدوا على قدرتهم على تحمل أعباء الحرب .. فتوقف رسول الله ﷺ .. ولكن دعوته لها دليل على مشروعيتها .. المناورة الثانية في غزوة الأحزاب أيضاً قام بها نعيم بن مسعود حيث نجح في تفتيت تحالف (قريش - اليهود) .. والقصة أشهر من أطيل بها هذه المحاضرة .. ومما يحزنني إهمال الشباب لفهم هذا الأسلوب المستمد من سيرة المصطفى ﷺ .. فمن الحكمة والعقل تفتيت قوة العدو ونشر الفرقة بينه وبين حلفاءه .. وعدم استعداء أكثر من عدو في نفس الوقت فيتكاثروا عليه .. ومحاولة رسول الله ﷺ تحييد غطفان وإخراجهم من الصراع مؤقتا والتشكيك بين اليهود وقريش من طرف ثاني إلا من أجل أن ينفرد رسول الله ﷺ بقريش فإذا انتهى منهم انشغل بمن بعدهم وهكذا .. فليفهم هذا إخواننا المجاهدين في أرجاء المعمورة .. لا تصفوا كل أعدائكم أمامكم في معركة واحدة وإنما فرقوهم على عدة معارك تنفردون بكل واحد منهم على حدة .. أو بحسب قوتكم ..

نقطة أخرى مهمة في باب السياسة .. وهي أن الدول التي تحترم نفسها وتجبر الآخرين على احترامها لا بد أن تكون حازمة في علاقاتها .. فلا تسمح

أبداً بأن يستهين بها حلفاؤها فما بالك بخصومها .. وأذكر من التاريخ النبوي ثلاث حوادث كل منها كانت العقوبة رادعة ومختلفة عن أختها .. واستشهادنا بسيرة الرسول ﷺ يغني عن غيره .. كان بين رسول الله ﷺ واليهود في المدينة حلف للدفاع عنها .. فلما نقضته بني قريظة .. ارتضى حلفاؤهم الأوس أن يحاكمهم رسول الله ﷺ لمن ارتضوه بأنفسهم وهو سعد بن معاذ رضي الله عنه فحكم بحزم بقتل الرجال وسبي الذرية وتقسيم الأموال .. وأكد رسول الله ﷺ أن هذا هو حكم الله من فوق سبع سماوات .. أما بني النضير فلما أرادوا أن يغتالوا رسول الله ﷺ ونقضوا عهدهم معه .. حكم عليهم رسول الله ﷺ بالجلاء .. فلما استمروا في تغافلهم أجلاهم بأنفسهم وذريتهم وما حملت الإبل دون السلاح .. أما الموقف الثالث فكان مع العدو قريش وحلفاؤها حيث اصطلح رسول الله ﷺمعهم في الحديبية .. فقامت بنو بكر حلفاء قريش بإمدادات من قريش بالهجوم على خزاعة حلفاء رسول الله ﷺ فنقضوا الصلح .. وحينما جاء الخبر لرسول الله ﷺ خرج لقتال قريش وأنهى حكمهم على مكة وكان الفتح الأعظم ..

أين هذا مع ما يحدث اليوم والأمس مع المسلمين أهل فلسطين .. حكام المسلمين بلا استثناء يتمتمون ويجمجمون ولديهم من السلاح والأفراد والأموال ما يفوق عدوهم .. بل إنهم أذلوا حليف اليهود الكبير في حرب العاشر من رمضان ١٣٩٣ عندما قطعوا عنه إمدادات النفط .. لكن سنوات من الخذلان والضعف حولتهم إلى قطعان يسيرها الغرب إلى حيث شاء ..

وفي عرف الساسة والعسكر وغيرهم من العقلاء وأهل الرأي أن الهدنة إنما لها غرض أساسي .. وهو العمل على تحسين ظروف المعركة القادمة .. ولهذا

عندما نقضت قريش صلح الحديبية عاد رسول الله ﷺ لفتح مكة ومعه عشرة آلاف مجاهد ومعه من السلاح والمعدات ما حسم به المعركة دونما كثير قتال اللهم إلا بعض المناوشات .. هكذا يستفيد القادة العظام من فترة الهدنة أو المصالحة .. أما من هم دونهم قدراً وشأناً من الذين لا ترتقي بهم الهمم .. ولا يقوم بهم عمل .. ولا ينتصر بهم أحد .. لا هم لهم إلا ملء البطون .. وإشباع الشهوات .. من حكام العرب والمسلمين .. يفتقرون إلى الخيال وهم أبعد الناس عن الإلهام .. أعمالهم فاشلة .. وسلوكهم منحط .. قاتلهم الله ..

ولا يفوتني هنا أن أذكر بعض ما يلصقه أعداء الدين بالمجاهدين .. أو ما وقع فيه بعض المجاهدين من أخطاء وجب التنبيه عليها .. أنها ليست من الدين أو من المنهج والمسار الذي تخطوا فيه القاعدة وإنما خطأ وزلل وتجاوز من منفذها .. وقد أنكر كثير من الإخوة المعتبرين[٦٨] في القاعدة وأمراءها على فاعليها وحذروا منها واستعظموا فعلها وتكرارها .. ونحن على بعدنا عنهم وما نحن فيه من الأسر وما به من التضييق علينا في التواصل مع الأمة ومخاطبتها نؤكد على ما تكلم به إخواننا حول (تجاوز بعض الشباب بالتوسع في مسألة التترس وعدم ضبطها بالشرع وقتل عوام المسلمين في العمليات الفدائية في الأسواق والمساجد وملتقيات الناس وتجمعاتهم .. وعدم اللامبالة بهم) .. وقد ناصح البعض قادة التنظيم في التبرؤ من هؤلاء الشباب إن لم يستجيبوا لنصحهم .. ولئن كانت العمليات

[٦٨] وقد أنكر على هؤلاء الشباب كلا من الأفاضل الشيخ أسامة بن لادن (رحمه الله) والدكتور أيمن الظواهري (حفظه الله) والشيخ أبو أسامة الليبي (عطية الله أو محمود الحسن) والشيخ أبو يحيى الليبي (رحمهما الله) في كثير من المراسلات الخاصة بينهم والمنشورات التي أطلقت على الإعلام .. وعلى مواقع المنتديات الجهادية على الإنترنت .. وقد اطلعنا على بعض الوثائق التي استولت عليها القوات الأمريكية من منزل الشيخ أسامة .. وقد أكثر الإخوة في التناصح بينهم حول هذا الموضوع ..

الفدائية مباحة بضوابط فإن من ضوابطها دراسة مكانها وتوقيتها وتوقعات من يتواجد في هذا التوقيت والمكان .. وفي ضوء ذلك يتم إصدار فتوى خاصة لكل عملية فدائية على حدة .. ومن المفيد ذكر بعض هذه الجزئيات من عملية نيروبي وتنزانيا .. فقد اختيرت كينيا وهي دولة غير إسلامية واختيرت السفارة الأمريكية وحدد ضربها من الجهة الخلفية شبه الفارغة من المشاة .. وحدد يوم الجمعة لها وفي توقيت يكون فيه المسلمون منشغلون بالتحضير لصلاة الجمعة .. بل زاد قائد العملية في الاحتياط بأن يقوم أحد الأفراد بإطلاق النار ليبعد عوام الشعب عن منطقة التفجير .. كل هذه الاحتياطات في دولة غير إسلامية فما بالكم إن تمت هذه العمليات في الدول الإسلامية؟ .. فليحذوا نحو هذا النموذج الرائع وليقتدي به كل من أقدم على القيام والإعداد لعملية فدائية .. وفي الأصل كنا[٦٩] نتجنب العمل في الدول الإسلامية فضربت المدمرة الأمريكية في عرض البحر وجاء الحادي عشر من سبتمبر على أرض العدو .. إلا أن طبيعة الصراع وتطوره لا يحدها ميدان .. وكان لا بد من خوضه على أراضي إسلامية .. ولهذا وجب التنبيه والاحتياط داخل الدول الإسلامية .. والله سبحانه وتعالى يقول { وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا {٩٣} النساء .. وروى البخاري عن عبد الله بن عمرَ قال: « إنَّ من وَرْطاتِ الأمور التي لا مَخرَجَ لِمَن أوقعَ نَفْسَه فيها سفكَ الدَّم الحرام بغير حِلِّه» .. ومن ذهب غير مذهبنا فليتحمل وحده أمام الله ما اقترفته يداه .. **ولهذا وجب أن ننصح الدكتور أيمن الظواهري في أن يرد**

[٦٩] المجموعة العسكرية للقاعدة .. ووافقنا على ضرب المعبد اليهودي في (جربة – تونس) لعزلة المكان ومناسبة الهدف .. ونصحنا إخواننا الأتراك قبل الحادي عشر من سبتمبر بقليل بعدم ضرب المعبد اليهودي لديهم بسبب التواجد الكثيف لعوام المسلمين في منطقة الهدف ..

بيعة وعهد كل من لم يلتزم بالمنهج ويتبرأ من صنيعه .. وتبقى أخوة الدين والتناصح والتواصل .. إذ المسلمون بعضهم أولياء بعض .. فمما أخشاه أن يتأولوا بجهل فيشرعوا في سفك دماء من يخالفهم من إخوانهم المجاهدين وعوام المسلمين .. وتتوالى ردود الأفعال ويتحول مسار الصراع .. فيأمن الأعداء ويشقى الحلفاء .. وهذا الكتاب عن الحرب وليس لتأصيل المسألة[٧٠] ولكن تم طرقها لأهميتها ورد ما يفترى به على القاعدة .. وليس في هذا إخراج لأحد من الدين وإنما هو دعوة لالتزام النهج القويم .. عند الجهاد داخل الدول الإسلامية .. وما يتطلبه من رحمة بأمة لا إله إلا الله محمد رسول الله .. وما يعانونه ويتألمون منه فلا نزيدهم هماً على هم وألماً على ألم .. ولا حول ولا قوة إلا بالله ..

ومن القضايا التي يتطرق إليها التيار الإسلامي غير الجهادي هو اتهامهم للمجاهدين بالافتئات عليهم في ضرب الأمريكان واستنفار الناس للجهاد وعدم مشاورتهم في ذلك .. وهذا من عجائب ما ابتكره عقلهم .. أو أوحت به الشياطين لمشايخ بعض أجهزة المخابرات .. وشاغب به علينا من ينتسب للعلم .. فمن المعلوم أن المجاهدين إنما تحركوا لضرب العدو الصائل الذي أفسد على المسلمين دنياهم في شتى أقطارهم ففي العراق تجاوز قتلى الأطفال من حصارهم المليون .. وفي مصر دعمهم لجمال عبد الناصر وورثته وتخفيهم وراؤه في ضرب الإسلام .. وفي السودان ما انفكوا يدعموا الجنوبيين حتى اغتصبوا لهم نصف السودان .. وفي فلسطين يتلاحم الأمريكان مع اليهود في القتل البطيء لأهلها .. وسرقاتهم المتتابعة لثروات المسلمين ومقدراتهم بالتواطء المخزي من حكام الخليج وبيعهم النفط لهم

---

[٧٠] ويرجع في ذلك لمذكرة التترس في الجهاد المعاصر للشيخ أبي يحيى رحمه الله ..

بأبخس الأسعار .. وتهديداتهم المتتالية لإمارة أفغانستان والتلويح بضربها إن لم تبعد الدين عن الحكم .. وسفكهم لدماء الشعب الصومالي المسلم .. وتواطؤهم على حرب الإسلام والمسلمين حول العالم لا يخفى على كفيف أو أصم .. فأين حواس هؤلاء .. ألا يكفون ألسنتهم عن التيار الجهادي .. ثم ما الذي اشترطه أهل العلم لدفع العدو الصائل؟!

لم يشترط أحد من أهل العلم شيئاً لدفع العدو الصائل .. أضف إلى ذلك كونه أمر فطري متعلق بالكرامة والنخوة والرجولة .. وأبعد من هذا (الرجولة) حال اقتحام العدو بلد من بلاد المسلمين يتعين على أهله جهاده فيخرج الناس كلهم لدفعه ومن كان منهم يتعين عليه الاستئذان في جهاد الطلب فلا يستأذن في دفع الصائل المحتل للبلاد ..

وكذلك استنفار الأمة وتحريضها واستنهاض همتها إن لم يكن ذلك للمجاهدين فلمن إذن؟! .. هل هو للحكام الذين تحالفوا مع أعداء الله؟ .. أو لأهل العلم الذين لم يكلفوا أنفسهم مشقة الذهاب إلى المجاهدين والجلوس معهم والتعرف على ما عندهم ومشاورتهم ونصحهم؟ ..

وهل يعقل أن يشاور المجاهدون غيرهم في أمور العمل التي تحيطها المخاطر وتتسم بالسرية؟ وهل من الإنصاف مشاورة الْقَالِينَ القاعدين عن الجهاد والقابعين في فضائيات تدور حولها الشبهات؟ .. أليس من الأولى لهؤلاء أن يذهبوا ويصاحبوا المجاهدين في مسيرتهم؟ ..

فإن كان هؤلاء الذين يلقون باللوم على المجاهدين فات عقلهم إدراك خطر الأمريكان وصولتهم فلا لوم إلا عليهم عن تقاعسهم وقصر فهمهم لأعداء الإسلام في هذا الزمان ..

***

تنوع الجهاز الإعلامي متطورا عبر الزمان فمن مؤرخ وشاعر أو كاهن وساحر .. أو قصاص حكواتي .. إلى مؤسسات محترفة .. تسحر عقول الناس وأعينهم .. وفي هذا الزمان تنوعت وسائل الإعلام بلا حدود .. وأصبح كما يقال العالم قرية صغيرة .. يتفاعل بني آدم فيها بحسب المسيطرون على الإعلام ..

اليوم تستطيع العصابات كما يستطيع غيرهم إن امتلك الإرادة .. أن يتفاعل مع العالم وأن يعبر ويوجه ويحشد وهو في داخل منزله أو من سيارة متخصصة .. فاليوم الشبكة العنكبوتية ومواقع التواصل الاجتماعي وإمكانية الحصول على إذاعة .. وحتى إنشاء قناة أو قنوات فضائية هي عملية متاحة للجميع .. اليوم تحول بني آدم إلى مراسلين غير محترفين من خلال أجهزة الهاتف المحمول والكاميرات الرقمية ووفر لهم الإنترنت مواقع لعرض إنتاجهم .. هذه الوسائل متاحة للعصابات وبالتالي يستحيل عزلهم عن شعوبهم .. أو منعهم من التعبير عن مطالبهم .. أو أن يحولوا بينهم وبين الدعوة إلى حركتهم .. فلا يفشل في ذلك إلا فاشل .. والمعزول من عزل نفسه ..

كما أن وسائل التشفير والحماية أصبحت حسب الطلب .. كل المطلوب من العصابات أن يكونوا متفاعلين مع عصرهم .. ويستفيدوا من التقنية .. ليسهلوا اتصالاتهم .. نقل دعوتهم .. التحريض .. الدعاية .. الإعلان .. نقل الأخبار .. ممارسة الخداع الحربي إعلامياً .. نشر أخبارهم .. التعريف برموزهم .. التعريف بالنظام وجرائمه .. كسر الطوق الإعلامي ....الخ ..

كل هذه الوسائل متاحة للعصابات منذ اليوم الأول .. بل منذ ولادة الفكرة .. وما عليهم إلا تهيئة المكان المناسب للانطلاقة نحو مرادهم .. ولكنهم قد

يتحركوا ابتداءً مستفيدين من الشبكة العنكبوتية .. ومع الوقت أو حتى في مراحل تالية يمتلكون الإذاعة والفضائيات ..

أسلفنا أن قوة الدولة السياسية تقاس وفق هذه المعادلات:

الأولى: ضعف اقتصادي + ضعف عسكري = دول بلا قيمة سياسية (الدول النامية)

الثانية: قوة اقتصادية + ضعف عسكري = قوة سياسية من الدرجة الثالثة (اليابان .. ألمانيا .. النمور الأسيوية)

الثالثة: ضعف اقتصادي + قوة عسكرية = قوة سياسية من الدرجة الثانية (روسيا .. بريطانيا .. فرنسا)

الرابعة: قوة اقتصادية + قوة عسكرية = قوة سياسية من الدرجة الأولى (أمريكا .. الصين)

لا شك أن كلمة قوة أو ضعف هي مسألة نسبية .. وبقدر حجم هذه القوة تتدخل الدول في مستقبل العالم .. فتهديه إن كانت قوة إسلامية كما كان سابقا .. أو تحرفه عن إنسانيته وحتى بشريته إن كانت هذه القوة مثل ما هو قائم اليوم ..

وكما تحدثنا عن الإستراتيجية والتكتيك خلال مراحل الحرب المختلفة نتابع هنا الحديث على نفس الترتيب ..

***

أولاً في مرحلة الإنهاك

يبدأ المجهود السياسي[71] عادة قبل بدأ الحرب .. فهو المجهود الذي بسببه أدرك الشعب ماله (الموضوعية) .. وامتلك إرادته ليقاوم (الذاتية) .. ومع بدأ العمل العسكري يحتاج إلى مجهود سياسي أكبر وأكثر حكمة وتروي .. لأنه يتحرك من خلال المبادئ السامية التي تجمع ولا تفرق .. فالسياسة والإعلام ليسا مجرد ميكرفون وتلفاز يُنعق فيهما .. كما يحدث اليوم من نظام السيسي في مصر .. إنما هما من أجل بناء الأمم وحشد الطاقات والإمكانات من أجل البقاء .. شريطة أن يكون هذا البقاء بقاء عز ورفعه وعدالة وتكافل وكرامة وحرية .. تناسب أفضل مخلوقات الله على الأرض ..

وفي هذه المرحلة التي بدأ فيها القتال يجب أن يستفيد القائمون على الجناح السياسي والإعلامي من العمل العسكري لتوجيه الشعب وإعلامه .. توجيهه بهدف الحرب .. وإرشاده لطريق الخلاص من الظلم والخداع والقهر والفساد .. وتوعيته بحيل نظام الحكم ودسائسه ومكره .. وتجريم الحكومة التي ولغت في الدماء .. كما تكشف عجز العدو .. وفضحه من أجل أن يتبنى الشعب قضيته وقضية المجاهدين .. فينضم الكثير من أبناءه إلى العصابات الذين تبنت تظلماتهم وطموحاتهم .. وبالتالي فعليهم إعلامه بما يدور واقعاً على الأرض من انتصارات وفتوحات بصدق لا بتلفيق الأخبار .. وقد كانت حركة طالبان في أفغانستان من أصدق الإذاعات خلال فترة

[71] لا بأس بتكرار أن كلمة سياسة نعني بها الأسلوب والوسائل الإسلامية .. أي أن المجهود الذي تمارسه الدعوة الإسلامية لنشر فقه الواقع وبث الروح الإسلامية .. وتغيير الأجواء الانهزامية ومكافحة دعاة التثبيط والمرجفين .. مستخدمة ما وصل لأيديها من وسائل مشروعة ومباحة ..

حكمهم .. نقلت ما صح عندها وتجنبت الشائعات والدعايات وغيرها .. وكانت من أكثر الإذاعات شفافية أو ربما الوحيدة في بابها هذا ..

أيضاً من الأهداف المطلوب تحقيقها هو استفزاز النظام الذي يقلقه ويؤرقه النشاط الإعلامي .. فتوسيع خطاب الدعاية على مستوى العالم بغية إرباك مناصري النظام وإحراجهم أمام شعوبهم .. وإعلام الأنصار والحلفاء وكسب تعاطفهم .. وتحيد آخرين ليس لهم مصالح في الوقت الراهن ..

إن استفزاز النظام يجعله يظهر وجهه القبيح أمام الداخل والخارج .. فسعيه للقضاء على العصيان أو الإضرابات أو المظاهرات بمنتهى القوة والبطش .. يجب نشره وفضحه ..كما أن هدمه للبيوت في محاولة لإفزاعهم أو تهجيرهم .. يجب أن يراه العالم .. فيذهب ما يرجوه من قهره وتبوء محاولاته بالفشل .. ويضطرب حال المتعاملين معه .. فتفر رؤوس الأموال .. وتبدأ السفارات الأجنبية بالاتصال على العصابات للتعرف عليهم وعلى طلباتهم ولتطمئن من غضبهم .. هذه الأوضاع سوف تجذب الإعلام العالمي الذي سيزيد من حماقة النظام وبطشه .. لأن الصحفيين والمراسلين والفضائيات الأجنبية ستتحول إلى منبر يعبر من خلاله العصابات عن قضيتهم وعدالتها .. ويكشف قبح النظام ويزيد من مشاكله .. ولا تهتم الحكومة حقاً لفقد بعض رجال الشرطة أو لمستودع سلاح .. لكنها تحس بالهلع إزاء الدعاية التي تنتج عن مثل هذا العمل .. والتي تبذر الشكوك حول استقرارها وصلابة اقتصادها .. وبالإضافة إلى ذلك فإنها تبقى حائرة .. لا تعرف ما إذا كانت الانتفاضة ستبقى محدودة .. أم ستنتشر؟!

من المهم جداً للعصابات أن يكون لها خطاب يناسب أنصارها وخطاب يناسب أعداءها .. وخطاب ثالث يناسب المحايدين لأنهم سواءً كانوا على المستوى الداخلي أو الخارجي هم ساحة من ساحات الصراع .. فالعصابات كما النظام يعمل ليكسب أنصار أكثر وحلفاء أكثر .. وبالتالي فيجب أن تصب الخطابات الثلاث في الحركة وأن تكون الكلمات والبيانات داعمة لبعضها البعض ..

في المرحلة الأولى يكون من الحماقة أن تحاول العصابات الدخول في مفاوضات[٧٢] مع النظام أو أي وسطاء .. فهي حركة تغييرية وليست ترقيعية

---

[٧٢] عن هذه النقطة كتب المهندس مصطفى حامد .. (ما أن تنطلق الرصاصة الأولى في حرب المطاريد حتى يصبح محظورا بشكل قطعي إجراء أي مفاوضات مع العدو بشأن وقف الحرب أو التوصل إلى تسوية معه ولذلك أسباب منها:

أولا: إذا بدأت حرب المطاريد بالفعل فلابد أن تصل إلى الهدف الذي من أجله أعلنت فحرب المطاريد هي حرب الشعب وحتى يوافق الشعب على رفع السلاح .. فذلك يعنى أنه وصل إلى درجة عالية من التعبئة نتيجة لظروف قاسية تعرض لها .. وأنه أصبح جاهزا للقتال لتحقيق مطالبه الحيوية التي لا غنى عنها .. مثل طرد جيش احتلال أو إسقاط واستبدال نظام طاغي أصبح بقاؤه لا يحتمل

والقيادة التي تنوب عن الشعب في إعلان الحرب .. إذا أسرعت إلى قبول تسوية ناقصة إما بسبب ضعفها .. أو بسبب طمعها في مناصب ومكاسب على حساب آمال الشعب فإنها تصيب شعبها بإحباط شديد ويأس وفقدان ثقة قد يستمر مدة طويلة جدا .. ربما عشرات السنين .. إلى أن يجد قيادة جديدة يثق فيها .. وحتى يستعيد معنوياته من جديد .. فحرب المطاريد هي حرب غير تقليدية يخوضها الشعب الذي يحتضن أبنائه المطاريد ويتبنى حركتهم ويسير خلف قيادتهم

والشعب ليس جيشا نظاميا حتى يتم استدعائه إلى الحرب بقرار ثم صرفه منها بقرار فعملية استدعاء الشعب إلى حرب مطاريد مسألة صعبة ومعقدة وتستغرق وقتا طويلا وإذا وضع الشعب السلاح قبل أن تحقق الحرب أهدافها فأنه .. غالبا .. لا يرفعه مرة أخرى بل ينصرف إلى شئون حياته العادية .. مصابا " بعاهة معنوية" من اليأس وفقدان الثقة .. نفس الشيء يحدث إذا هزمت حركة المطاريد في حربها قبل تحقيق غايتها وقتها يصل الشعب إلى نفس حالة الإحباط واليأس والعزوف الطويل عن المواجهة .. وربما تستمر الحالة هذه لأجيال .. ومن النادر أن يسير الشعب خلف قيادة جربها قبلا وفشلت أو هزمت في المعركة أو خانته في الطريق وجرت خلف مكاسب سياسية أو مالية لشخصياتها ..

ثانيا: أي طاولة مفاوضات .. تنعكس فوقها موازين القوى بين المتفاوضين .. وإذا كان هناك حرب بينهما فالمفاوضات تعكس موازين الصراع الدائر على الأرض .. إذا بدأت مفاوضات بين المطاريد وأعدائهم في المرحلة الأولى فإنهم لن يحققوا منها أي شيء لقضيتهم وأقصى ما يتاح لهم هو رشاوى شخصية على هيئة مناصب حكومية تجعلهم في النهاية جزء من منظومة الاحتلال أو الطغيان الفاسد الذي يحكم البلاد هذا ما فعلته حكومة "دوشنبه" مع قيادات حزب النهضة .. وما فعلته إسرائيل مع عرفات وعصابته كان أفدح وأشد كارثية

.. والفارق شاسع بين الصنفين .. فالأول يهدف إلى إقامة عدالته ومنهجه .. والثاني يستغل أي مناسبة ليحسن من أوضاعه على حساب آخرين .. وبالتالي فلا تفاوض إلا على استسلام النظام وهذا بلا شك يأتي في مرحلة متأخرة من الحرب وليس في أيامها الأولى ..

*** العدو:**

كما نرى اليوم في مصر السيسي ومعه حكومة قذرة .. في منتهى العنف الأمني والسياسي فهي ترفض أي حوار مع الإخوان "الإرهابيين ومعسكر الأشرار في سيناء"[٧٣] .. ومع استمرار العصابات والضغوط الخارجية وخاصة عند تضخم الأزمات .. يتراجع النظام عن لغة الحسم ويطلب من الجميع المشاركة في حوار وطني أو الانتخابات القادمة التي لا يجب أن تستثني أحد بما فيهم العصابات .. إن هذه الإغراءات ليس لها إلا هدف واحد وهو إفشال الحرب وإجهاضها .. وتسليم العصابات لأسلحتها والتخلي عن منهج العنف والقبول بالأمر الواقع .. لأن النظام يعلم أن قبول العصابات بهذا الاستدراج ليس له إلا نتيجة واحدة هي فشل الحرب والتفات الشعب بعيداً عن العصابات ..

وفي نفس الوقت لا يكف النظام عن الهجوم على العصابات واصفاً إياهم بأفظع وأقذر الكلمات .. متهماً إياهم بالعمالة والتعامل مع جهات أجنبية .. ومن البلايا التي تحملها حكومة الانقلاب هو العبث الأمريكي بالشعوب .. فحكومة الانقلاب (السيسي- الببلاوي) تروج أن عدوهم هو الأمريكان وأن الإخوان كانوا متحالفين معهم .. في حين أن الذي أتي بالسيسي وانقلابه إلى

..... لذا تنتفي الحاجة .. بل يحظر قطعيا أن يبدأ المطاريد أي عملية تفاوض سياسي مع عدوهم في مرحلة "الدفاع الإستراتيجي") ..

[٧٣] على حد زعم السيسي ..

الحكم هم الأمريكان في عملية مشابهة تماماً لما حدث مع (مصدق – الشاة) في إيران والمشهورة باسم عملية أجاكس (١٩٥١-١٩٥٣) .. ومن المثير أنهما تشابهتا حتى في الفترة الزمنية التي استغرقتها عملية الانقلاب في مصر (مرسي - العسكر) من (٢٠١١ – ٢٠١٣) .. فالنظام رغم رغبته في التفاوض إلا أنه يستمر في سياسته العنيفة على العصابات ولا يظهر ضعفه ..

يظل لدى النظام هاجس تخلي حلفاؤه الخارجيين عنه ويزيد من اضطرابه حركة الاقتصاد .. فيعالج استمراره في الحكم بمزيد من الفشل الاقتصادي .. فهو على استعداد للتنازل عن كثير من شروط السيادة وتقديم التسهيلات لإبقاء الدعم الخارجي وأيضاً المحلي لحكومته .. وكلا من رجال المال سواء من الداخل أو الخارج ينتهزون الفرصة لاستغلال ونهب ما يمكن نهبه مع تأمين أنفسهم .. هذه السياسة تجعل البلاد مرهونة وتحت رحمة الدائنين .. وقد تعرض البلاد للإفلاس .. ومما يزيد الطين بلة ويكون في صالح العصابات أن الحكومة تحمل الشعب فشلها فتزيد عليه من الضرائب وترفع من الدعم ما يزيد من معناة الشعب وثورته .. هذا ما يحدث في السودان الآن .. فحكومة البشير والتي تجاوزت الربع قرن في الحكم لا زالت تنزلق إلى قعر الهاوية وتحمل الشعب فشلها المستمر .. فتفرض عليه مزيداً من الضرائب .. رغم ما قدمه الشعب لها من دعم خاصة في قضية جنوب السودان إذ لم يقصر الشعب في بذله من دماء أبناءه .. ولكن حكومة الفشل توجت فشلها بخيانة جبانة من أجل بقائها ورفاهيتها فقط .. حينما أهدرت كل تلك الدماء وسمحت بتقسيم السودان .. والطامة في ذلك أنها كانت أرض إسلامية ضاعت بسبب حاكم تافه ونظام

مهترأ .. فلأكثر من عقدين أداروا خلالها السودان كانت محصلة فلسفتهم هذه الكارثة التي باركها بصورة عامة جل حكام العرب ..

في هذه المرحلة يظل لدى النظام قناعة وأمل في نجاحه واستمراره .. خاصة إذا كان النظام يخدم قوة عظمى مثل الولايات المتحدة .. وأن البديل الذي يواجهه هو قوة إسلامية .. تهدد حكام المنطقة بأسرها وأيضاً اليهود بزوالهم .. وعلى الرغم من أن المطلب الشعبي الرئيس الآن هو تسليم الراية للإسلاميين .. إلا أن أمريكا وأذنابها مجتهدون في إعاقة هذا التحول بكل السبل المشروعة في عرفهم وغير المشروعة في عرف الآدمية ..

***

ثانياً: مرحلة التوازن

في هذه المرحلة قد يكون من المفيد عقد بعض جلسات التفاوض .. ومن المهم دائما في المفاوضات الانتباه لأربعة أمور تجعل عملية المفاوضات تؤتي أكلها: الأول من يقوم بالتفاوض .. والثاني موضوع المفاوضات .. والثالث ما هو المطلوب من هذه المفاوضات .. الرابعة مناخ التفاوض .. أما من يقوم بالتفاوض فهم المقاتلون في الميدان وليس تياراً مدجناً خارج العملية كل همه تحقيق مكاسب أو رشاوى سياسية على حساب الدماء .. كما يحدث اليوم في سوريا .. فهناك مجموعة تستلم التمويل وتنفقه على هواها وهي مقيمة بالخارج ولم يخدش إصبع أحدهم وهو يحمل السلاح أو صندوق ذخيرة .. في حين أن المجاهدين لا يصلهم شيء وهم الذين يعيشون الألم ويتحملون تكاليف الحرب من دمائهم وأشلائهم .. فهم الأحق بإدارة صراعهم بعيداً عن الدخلاء وتجار الدماء .. وعلى المقاتلين أن يحسموا هذه القضية بشكل قاطع من خلال إسقاط مصداقية أي طرف يريد أن يتلاعب بالقضية ..

النقطة الثانية هي موضوع التفاوض .. قد يكون موضوع التفاوض فك أسرى[٧٤] من الفريقين .. أو من فريق مقابل تنازل عن بعض المواقع العسكرية .. وقد تكون المفاوضات من طرف الدولة حول تغيير الحكومة على أن تشكلها العصابات وهذا خداع فمطلب العصابات هو إسقاط النظام القائم لإقامة نظامهم .. وبالتالي يكون التفاوض من طرفهم النظام عن عفو عن بعض المسيئين ومحاكمة المجرمين أو نفيهم خارج البلاد .. وإذا

[٧٤] بعد عملية تفاوض سريعة .. شهدت تبادل أجراه الشيخ جلال الدين حقاني لاستلام جثامين لأربعة من المجاهدين العرب مقابل جثتين لجنرالات من نظام كابل ..

كانت المفاوضات من طرف مستعمر فيعرض الخروج مقابل بعض القواعد العسكرية والاتفاقيات الأمنية والامتيازات الاقتصادية .. أما من طرف العصابات فيكون إخراج المستعمر بلا قيد أو شرط مع دفع التعويضات المناسبة ومحاكمة مجرمي الحرب منهم .. على العصابات الحذر من الحيل والمؤامرات التي تهدف إلى إيجاد تسوية سلمية تشارك فيها كل الأطراف المتصارعة .. فلن تحصد منها العصابات إلا الندم .. وعادة ما تدور كل الجهود الدولية مع الحركات الإسلامية حول هذا الموضوع .. إذ يوجد رفض دولي غربي وعربي لإيجاد دولة إسلامية بشكل عام وعن طريق الجهاد بشكل خاص .. وتبذل الدول الكبرى ومعهم حكومة الرياض في هذا الباب جهودا خارقة تصل إلى تمويل حرب مضادة أو ثورة مضادة .. وهي اليوم تمول ما يسمى بالجيش الحر في سوريا ضد التيار الجهادي من هذا الباب .. وعلى المجاهدين أن يحتاطوا من أموال الرياض ووكلائها خاصة ببعض الشرائح السلفية من الذين يدينون بالولاء لآل سعود ..

وفي هذه المرحلة ينتج عادة من المفاوضات هدنة لتحسين ظروف المعركة .. أو ربما تصاحب الهدنة فترة المفاوضات فقط .. وربما تكون الهدنة هي موضوع التفاوض .. وسوف تجد أن الطرف الحكومي يرحب بذلك لحاجته الماسة .. من المهم أن تكون الهدنة مؤقتة .. ومن المهم أكثر أن تكون العصابات منتبهة لخداع الحكومة التي يصعب إن لم يستحيل عليها الالتزام بمدة وشروط الهدنة .. كل هدنة تدخل فيها العصابات يجب أن تكون مدروسة .. وتستكمل فيها النقص أو تعالج الخلل .. أو تعيد توزيع قواتها .. أو ترتب أوضاعها المالية .. أو تعمل على إعادة تأهيل وتدريب أفرادها .. فالهدنة ليست للراحة والاستجمام .. وإنما للعمل الدءوب من أجل الاستعداد للجولة القادمة من الحرب والسياسة .. والكيس من فطن

للاستفادة من فترة الهدنة .. ومارس فيها مجهودات سياسية ودعوية .. بقدر ما تفيده بقدر ما تشل العدو وتبقيه مهزوماً ..

النقطة الثالثة والتي يجب أن تفهمها وحدات العصابات .. أنه أحينا وربما غالباً يكون هدف المفاوضات يتعلق بجس نبض الخصم ورغبته في الوصول إلى حل للأزمة .. أو التعرف على قوة الخصم وقدرته على الاستمرار .. أو إضاعة الوقت وعدم الوصول لنتيجة للحاجة فقط للوقت .. أو تلبية لرغبة حليف ظن وجود مصلحة تعود على العصابات من الدخول في مفوضات ..أو ضغط دولي يهدف لإيقاف الحرب .. وغيرها من الأسباب المقنعة وغير المقنعة ولكنها تستهلك الوقت وتمنح فرصاً في التعرف على أسلوب الخصوم .. وصدقهم وتماسكهم ..

ونقطة رابعة مهمة وهي تتعلق بمناخ التفاوض .. فقبل المفاوضات يجب أن تكون العصابات سجلت نجاحات تقوي موقفها .. بمعنى أنها جاءت للتفاوض بناء على رغبة الخصم .. أو السطاء .. ولم تأتي من موقف ضعف وبالتالي يمكنها من إخضاع إرادة الخصم لمطالبنا .. وشتان بين الجلوس على طاولة المفاوضات وأنت منتصر وقواتك مستمرة في القتال وبين من يصرخ طالباً العون من أجل وقف الانهيار .. إذاً لا بد من قوة الموقف العسكري قبل وأثناء التفاوض بتحقيق انتصارات مع استمرار القتال لتحقيق المطلوب من عملية التفاوض وفرض إرادتنا بالكامل ..

جولات التفاوض قد تكون أخطر من جولات القتال .. فالماهر فيها يستفيد من إمكاناته ويحقق مراده .. والأقل مهارة حتى لو كان الأقوى قد يخسر المفاوضات بسبب ضعفه وقلة حيلته وتجربته ..

* **العدو:**

يواصل سياسة التفتيت أيضاً والدعاية السوداء .. حتى في أحلك لحظاته ضعفاً يواصل العدو استعراض قوته المزعومة .. وسجل انتصاراته الوهمية .. حتى أثناء المفاوضات واللقاءات السرية فدعايته تستمر في الرفع من قدره والحط من قد العصابات وأعوانهم .. كما يستمر في الترهيب والترغيب ..

في هذه المرحلة يبذل العدو جهداً كبيراً في محاولة تفتيت صف العصابات بالإغراءات السياسية والمالية خاصة إذا كانت العصابات تضم بعض الفئات الضعيفة في كل الأصعدة .. والتي سرعان ما تقبل أي شيء يجعل اسمها مذكوراً في التاريخ حتى لو كان في سلة المهملات .. فكما شاهدنا أثناء الانتخابات المصرية تقدم أناس لها فقط من باب أن يقال أنه "مرشح رئاسي" ..

أيضاً تسعى حكومة العدو بمحاولات فصل العصابات عن الدول المتحالفة معهم .. بكل الوسائل من رشاوى ومنح وامتيازات ومحاولات التقرب .. وأيضاً بما يشوه صورة العصابات فيعمل على نقاط الاختلاف بين العصابات وحلفاؤهم ويسعى لتعميقها (عمرو بن العاص ﵁ والنجاشي والمهاجرين بالحبشة) ..

يعرض على العصابات المشاركة في الحكومة .. فإن رفضوا يعرض عليهم تشكيل الحكومة .. في محاولات لخداع العصابات فالنظام كل شيء والحكومة جزء من هذا الشيء .. وقد شكل الرئيس محمد مرسي ورئيس وزراءه هشام قنديل حكومتهما في ظلال النظام القديم وتحت سقفهم .. فقامت بقايا البيروقراطية فيه وأفشلت له كل برامجه .. وفي النهاية انقلبوا عليه ..

يُطمئن النظام الشعب بمحاولات إصلاح محدودة تلبي بعض احتياجات الشعب .. تكثر هذه الإصلاحات كلما زاد موقف الدولة ضعفاً .. إلا أن الثقة في النظام تسير طرديا مع الضعف .. فكلما زاد النظام ضعفاً زادت ثقة الناس فيه ضعفاً ..

ومع كل محاولات النظام لإقناع أصحاب الأموال بالاستثمار .. إلا أن رأس المال جبان .. ويستحيل أن يغامر أهل المال بأموالهم مع نظام معدلات سقوطه تتزايد يوماً بعد يوم ..

***

ثالثاً: مرحلة الحسم

تنقلب الموازين تماماً في هذه المرحلة فمن كان منبوذا بالأمس أصبح محل حفاوة وترحاب اليوم .. والحجر الذي رفضه البناؤون[٧٥] قد صار رأس الزاوية .. وهكذا فالأيام دول .. قال تعالى { ... وَتِلْكَ الأيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ...} ١٤٠ آل عمران ..

هذه المرحلة في منتهى الحساسية .. فكل اللاعبون يطفون على السطح .. المقاتلون والانتهازيون .. الحلفاء والمتربصون .. أصحاب الأطماع والنصابون .. الجميع يسعى لنيل أكبر حصة من التركة .. ويرغبون أن يقاسموا المقاتلين أو حتى ينحوهم إن أمكن عن السلطة .. فهؤلاء ماكينة هدم عفا زمانها .. ويقدمون أنفسهم للمجاهدين بأنهم أهل التجربة والسياسة .. وكذلك يفعلون[٧٦] .. في كل مكان .. إنهم تجار الثورات والحروب .. سواء كانوا سياسيين فاسدين من مرحلة سابقة .. أو أجهزة مخابرات إقليمية أو عالمية .. لقد تلاعب مثل هؤلاء بأفغانستان خاصة في أيام جهادها الأخيرة ضد السوفيت .. وقال قائلهم: "لقد تم انتزاع الهزيمة من بين فكي النصر"

---

[٧٥] عبارة ذكرت في الإنجيل المحرف تبشر برسول الله ﷺ وبأن البقاء سيكون لدينه .. (لوقا ٢٠ – ١٧ .. متى ٢١ – ٤٢ .. مرقس ١٢-١٠ ..) .. وتمامها من إنجيل متى "[٤٢]قَالَ لَهُمْ يَسُوعُ:«أَمَا قَرَأْتُمْ قَطُّ فِي الْكُتُبِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبَنَّاؤُونَ هُوَ قَدْ صَارَ رَأْسَ الزَّاوِيَةِ؟ مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ كَانَ هذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَعْيُنِنَا! [٤٣]لِذلِكَ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ اللهِ يُنْزَعُ مِنْكُمْ وَيُعْطَى لأُمَّةٍ تَعْمَلُ أَثْمَارَهُ. [٤٤]وَمَنْ سَقَطَ عَلَى هذَا الْحَجَرِ يَتَرَضَّضُ، وَمَنْ سَقَطَ هُوَ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ!».

[٦٦] وهنا أنقل للمهندس مصطفى حامد من كتابه حرب المطاريد (..... وعند اقتراب لحظة الانتصار يقفز هؤلاء بالكامل في سفينة المطاريد التي تدخل بسرعة وثقة إلى موانئ النصر ويحاول هؤلاء القفز إلى مقود السلطة السياسية الجديدة .. ويقدمون أنفسهم للمنتصرين الجدد على أنهم "مناضلون" وأصحاب تجربة سياسية يفتقر إليها المطاريد السذج عديمي الخبرة في إدارة الدول أمثال هؤلاء تولوا زمام السلطة الفعلية في أفغانستان بعد دخول حكومة زعماء الأحزاب إلى كابول .. أما قادة الأحزاب فكان نصيبهم المناصب الوزارية الشرفية ..) ..

.. **وهذا حال من فوض غيره ليدير له مهامه السياسية** .. فقد عبثت الإدارة الباكستانية بالأحزاب الأفغانية كما تعبث الذئاب بالغنم ..

وفي وسط هذا الضجيج تمتد كل الأيدي المترددة لتُسقط مع العصابات النظام .. غير مأسوف عليه .. فلقد أبكى الكثير وأشاع فيهم القهر والظلم والفقر والجبن .. هاهو ينهار فلا بواكي له .. ليس له اليوم هاهنا إلا اللعنات .. والعقاب .. والقصاص .. أما العفو فيكون بحسب المصلحة التي تراها قيادة العصابات .. ونظرية العقاب تتناول كل من أجرم في حق الشعب وممتلكاته .. واستهان بكرامته وأذله ..

*** العصابات:**

تصبح الهدنة من المكروهات وقرب النهاية من المحرمات .. هذه لحظات التدفق المتواصل كموج البحر بلا كلل لإسقاط النظام .. ولا يصح فيها تخفيف الضغط العسكري .. وتقدم العصابات للنظام شروط استسلامه .. وكلما تأخر قبوله لها وأطال أمد الحرب كلما نقص المعروض منها لتأمين نهايته .. وفي النهاية لا يكون إلا ما يستحق ..

النصر قادم هذه هي لغة العصابات .. والعدو منهار .. لا سلام ولا تفاوض مع المجرمين .. المستقبل يحقق طموحات الشعب وأحلامه .. التكاتف والتكافل .. العدالة والأمن والحرية والكرامة .. وفق هذه الكلمات تكون لغة الخطاب الذي تتحرك به إذاعة وفضائية ومواقع ومنتديات الشبكة العنكبوتية للعصابات .. العقاب والبُشرى .. عقاب النظام المجرم .. ومستقبل واعد للشعب ..

هناك عناصر تكون في دائرة العفو مثل صغار القادة الذين يجدون نجاتهم في قبول التفاوض والاستسلام .. أما الدائرة القذرة من رجال السياسة ..

ومجرمي العسكر والأمن والشرطة .. وكبار الإعلاميين والفنانين .. ورجال الأعمال مصاصي دماء الشعب .. ورجال المؤسسات الدينية المنحرفين .. ومجرمي القضاء الذين أعدموا بأحكامهم أجيال من أبناء الشعب أو واروهم خلف جدران المعتقلات .. كل الأدوات التي مارست الإكراه والعنف ضد الشعب وعصاباته فلا نجاة لها من العقاب كل بحسبه ..

يجتهد العالم المنقسم على نفسه في محاولة إثناء العصابات عن إكمال الحل العسكري بكل السبل السياسية .. فحلفاء النظام السابق يخشون على مصالحهم الممتدة في الدولة ولهذا يتواصلون مع العصابات ليؤمنوها .. ولتبدأ معهم مرحلة جديدة .. أما حلفاء العصابات والمترددون فهم لا يرغبون في أن تحسم العصابات الحرب عسكرياً أيضاً .. بل يميلون إلى تسوية سياسية يحققون منها أغراضهم وأهمها أن تبقى الدولة الوليدة في حاجة لهم ..

التغيير بالوسيلة العسكرية يزيد من مخاوف العالم لأن التجارب تنتقل بالعدوى .. وبالتالي فالجميع يعمل على أن تكون الحلول السياسية هي التي توصل للنهاية .. ويقومون بكبت النظام الجديد حتى لو ترتب على ذلك قيام حرب بين المقاتلين السابقين على تقاسم المكاسب .. هذا ما حدث في أفغانستان .. وهو ما يحدث في ليبيا بصورة أو أخرى .. وسيحدث في سوريا إذا بقي بعض المشاركين في الحرب تابعين لدول إقليمية .. خاصة الكيان السعودي ..

المجتمع الدولي يبدأ مؤامرة جديدة لتطويع القادم الجديد .. وبحسب عقيدته يكون التعامل .. فإن كانت حرب عصابات غير إسلامية فيمكن التعامل معها من خلال أي وسيط إن كانت معادية للقوى العظمى .. إلى

الوقت التي تركع فيه لها .. أما إذا كان النصر إسلامي وتمكن بعناده من الوصول للحكم وإقامة نظامه .. فإنهم يواجهونهم بكل صور العداء .. ويعملون بالترغيب والترهيب .. لقد كان ما حدث مع إمارة أفغانستان الإسلامية نموذجياً من قبل المجتمع الدولي أو بالأصح الولايات المتحدة .. لقد استخدموا الجيران كلهم .. وعلى رأسهم المتغنون بالعقيدة في الرياض .. كما استخدموا التمني والوعود بمستقبل مبهر وعقود اقتصادية وتنمية علمية .. كما هددوا بالحصار الاقتصادي والعزلة السياسية وعمليات الاغتيال والحرب .. في مقابل ترك الإسلام في المسجد والتحاقهم بركب الحضارة ..

أما الحضارة التي سوقوا لها فحُصرت في استيلاء الأمريكان على مناجم الأحجار الكريمة .. وإعادة مزارع المخدرات التي أغلقتها إمارة أفغانستان الإسلامية .. وتمرير خط الأنابيب من وسط أسيا وحتى المحيط الهندي مروراً بباكستان .. وطرد المجاهدين العرب .. إلا أن إمارة أفغانستان استمرت في عنادها رغم التهديد بالحرب .. أخبرنا المولوي رباني قبل وفاته وكان رئيساً للوزراء (أن تهديد الحرب جدي وأنهم "أي طالبان" تجتهد في تعطيلها قدر الاستطاعة .. ولكنها قادمة ليس من أجل بن لادن والقاعدة .. ولكن من أجل إسلامنا) .. وأكد هذا عدد من الوزراء والمقربين من الملا عمر .. أما العملية المباركة في سبتمبر ١١م .. فقد سرعت من قدومهم فقط ..

ولو كان الرئيس محمد مرسي نجح في إفشال الانقلاب والبقاء في السلطة وبدت فعلاً دوافعه الإسلامية .. لحاربته القوى الغربية بكل أصناف المعارك من حصار اقتصادي إلى حرب مفتوحة .. ولعاونهم قادة العرب في الخليج وتحملوا تكاليف الحرب وعلى رأسهم حامي حمى العقيدة في الرياض

وبعض منتسبي السلفية .. ولم يكن ليقف في طريقهم شيء والمستقبل كفيل بفضح هذه المخططات ..

***

في نهاية هذه المرحلة لا يكون هناك تفاوض وإنما إملاءات المنتصر .. وعلى النظام بما تعنيه الكلمة أن يستعد للعقاب .. قد يقول البعض أن رسول الله ﷺ قد عفا عن كفار مكة في الفتح .. لقد تم ذلك فعلا ولكن الحروب كانت قد أهلكت أئمة الكفر وما بقى إلا جيل جديد لم يشارك في أعمال التعذيب والقهر الوحشي وقصة إسلام خالد بن الوليد ﷺ فيها دلالة واضحة أنه ما كان يمنع الكثير من الإيمان إلا وجود أئمة الكفر .. ومع هذا فقد بقي ثلاثة نفر أهدر رسول الله دمهم لجرائم ارتكبوها أو عهود نكصوها .. ثم عفا عن بعضهم ممن أتى مسلماً إكراماً لبعض أصحابه ..

*** العدو:**

في حال كون العصابات بالقوة الكافية لحسم حربهم .. فالحكومة لا تتحدث عن فعل بل رد فعل .. لأن سلسلة من الانهيارات تتوالى على النظام الحاكم .. وكما قيل فالنصر له ألف أب أما الفشل فيتيم .. بل يُتبرأ منه .. عناصر الحكومة الكبيرة على وجه الخصوص تبدأ في محاولات إيجاد مأوى لها في خارج البلاد ..

لا يبقى بيد النظام إلا محاولاته الإعلامية عبر نشر روح التسامح .. والإخوة الوطنية .. وقد شاهدنا عجباً مع نهاية النظام المصري ونجاح الثورة المصرية .. فقبل ساعات كان الإعلاميون يسبون شباب الثورة وينعتونهم بأقذر الأوصاف والألقاب حتى إذا ما نجحت الثورة إذا هم ينكصون وما

كان قذراً بالأمس ومدمناً على المخدرات إذا به يتحول إلى أيقونة الثورة المصرية .. ومفجر انطلاقتها .. لقد تحول ذئاب الأمس إلى مشاعل النور والهداية .. وهي حالة نموذجية لما يكون عليه إعلام العدو في لحظات التحول وارتداء اللباس الجديد ..

وما أكثر ما أسمعتنا الفضائيات المصرية من فتاوى تستنكر الثورة والثوار .. ثم سمعنا نفس المتلونين وهم يؤيدون الثورة وشبابها ثم دار الزمان دورته وانقلب السيسي .. "وعادت ريما لعادتها القديمة" .. فعادوا وارتدوا زيهم القديم وعاد لهم وجههم القبيح .. أمثال هؤلاء متوفرون لكل من يستخدمهم .. وهم أدوات الحكومة في كل وقت وعصر ..

*** ملاحظات:**

- حلفاء الحكومة يتحضرون للقادم الجديد .. فيقطعون اتصالاتهم بالنظام الساقط كما الدومينو .. وتبدأ الفئران في القفز من السفينة الغارقة .. ويبدأ كل عنصر منهم بارتداء الزي المناسب للقادم الجديد .. والتحدث باللغة التي يفهمها القادم الجديد .. والتعامل بالأسلوب الذي يحبه القادم الجديد .. وهكذا ..

- مشكلة المتحالفين مع الولايات المتحدة أكبر من غيرهم .. فالولايات المتحدة تترك النظام ينهار وتتعامل مع الواقع الجديد سلباً أو إيجاباً .. وكل ما تقدمه هو توصية لبعض حلفاءها لاستضافة الفارين من الحرب أو الثورة .. حدث هذا مع شاه إيران كما حدث مع حاكم تونس .. الأول استضافته مصر والثاني استقبله حاكم الرياض .. دون مراعاة لمشاعر شعوبهم ..

***

*** ملاحظات على الانتفاضة المصرية:**

قد تتطور الأمور في مصر بعد إفشال "انتفاضة ينـ٢٥ـاير" في "انقلاب يـ٣ـوليو" لتتحول إلى عصيان مدني يرافقه انتفاضة مسلحة في شمال ووسط البلاد .. وحرب عصابات في سيناء وجنوب البلاد .. وهي صورة يندر أن تتكرر في دولة واحدة ضد دكتاتورية عسكرية وعناصر الثورة المضادة من مؤسسات الدولة العميقة التي تساند طبقات فاسدة مدعومة بقوى خارجية .. والتي تعاملت مع الشعب بمنتهى العنف والقهر والإذلال نفسيا وجسديا واجتماعيا واقتصاديا .. وأيضا أبطلت كل الإصلاحات والمشروعات الاقتصادية التي قامت بها حكومة "انتفاضة ينـ٢٥ـاير" مدعية سوء الحالة الاقتصادية .. فلماذا انقلبوا إذن على الحكومة السابقة التي وفرت ما أبطلوه ولم يستطيعوا أن يقدموه؟! .. ولما كل هذا الضغط الدموي والاقتصادي على الشعب؟! وما المراد من استفزاز كل مكونات الشعب بهذه الصورة البشعة؟! .. وهل بات تقسيم البلد في هذه الأجواء المشحونة ممكنا؟!! .. وهل بلغت العمالة هذا المستوى الحقير في انقلاب السيسي الذي جاء ضد الدين ولإتعاس الشعب وسرقة مقدراته وخدمة أعداءه؟! .. أسأل الله ألا يطيل تسلطهم .. تجربة مصر هذه لها ما بعدها في إعادة تقسيم الدول الإسلامية إذا استمر السيسي وأعوانه في الحكم .. فتجربة السيسي ترضي الغرب ويرضى في تسويقها والترويج لها ..

- **وبقيت كلمة لا بد منها لتيار الإخوان المسلمين في أنحاء العالم** .. لقد كانت تجربتكم هي الأطول والأقدم في العصر الحديث .. وكان ابتلائكم عظيم وصبرتم (تقبل الله منكم) .. وربيتم أجيال متتالية في شتى العلوم .. حصلوا على أعلى الدرجات العلمية .. ولكنكم لم تكلفوا قلة منكم بدراسة

الصراع وفقهه .. أو أرسلتم قلة من أبنائكم لساحات الفداء ليفقهوا الصراع فلسفة وممارسة .. من الممكن أن تكونوا قد فعلتم .. أو ربما قرأتم أو تصفحتم في التجارب .. ولكن لم يظهر شيء من هذا في التجربة المصرية الأخيرة فقد كانت استمراراً للنهج الذي اعتدتموه .. أما آن الأوان أن تمارسوا الصراع حقيقة؟!! .. وقد بلغ الأمر ما يبصره العميان .. ويسمعه الصم .. وتهتف به حناجر البكم .. إن وسائل الانتفاضة السلمية قد تفلح مع نظام دكتاتوري حاكم شاخ في الحكم وفقد شعبيته حتى من داخل هيكله البيروقراطي كما حدث مع أسرة مبارك .. لكنها لا تفلح مع سلطة انقلاب في مقتبل تجربته اعتمد على مكوناته البيروقراطية وبعض شرائح الشعب من أتباع الكنيسة والتيار العلماني ومن على شاكلتهم .. ناهيك عن الصوفية والسلفية - إلا ما رحم الله منهم - المدجنتين أمنياً؟!! ....

وخلاصة الدرس وما هو مرجو منكم .. ومن أبناء الشعب قاطبة .. ومن كافة تياراته العاملة لنصرة الدين .. أن ندرك معاناة الانتفاضات السلمية خلال التاريخ وعبر الزمان .. وأنه نَدُرَ أن نجحت انتفاضة سلمية .. بل تم إجهاضها أو الانقلاب عليها .. أو صدها وهزيمتها .. أو امتطائها لحساب تيار آخر .. ليس الدين أحد مرتكزاته ..

ولكن الشعوب لا تلبث أن تعود وتعاود الكرة .. حدث هذا دائما في أغلب البلاد التي قامت فيها انتفاضات سلمية فاشلة .. السبب المباشر أن الشعوب امتلكت إرادة التغيير والرغبة في التضحية لنيل حريتها وتحقيق طموحها .. خاصة تلك الشعوب التي عانت من القهر والذل ثم تنفست خلال انتفاضتها نسيم العزة وعبير الكرامة .. فعادت .. وعندما عادت .. عادت للصراع .. وكانت: منظمة وفق أيدلوجيتها .. ومسلحة بما طالته أيديها

من صنوف الأسلحة .. ولها قيادة تدير الصراع .. وحسمت الصراع مسلحة بفضل الله وتوفيقه .. ثم بالسلاح والجماهير ..

ولهذا وغيره وجب على تيار الإخوان أو المترددين في حمل السلاح .. أن يدركوا أن الشعوب عاجلاً أو آجلاً سوف تتخطاهم .. هذا ما حدث في سوريا وليبيا .. وبالتالي عليهم إعادة دراسة مناهجهم ووضع رؤية جديدة في التغيير تنسجم فيها مع طبيعة الصراع وتتعاون مع باقي التيارات الإسلامية الصادقة والراغبة في إعادة الإسلام لحياة الناس ولنظام الحكم ..

أيضاً من المهم إدراك أن لا تغيير بدون دمار .. ولا شك أنه دمار كبير وتضحيات جسام .. ولكنه أهون بكثير من الانسلاخ عن الدين والذي يتضاعف أتباعه يوماً بعد يوم .. كما أن حقيقة الحياة والفوز هي في تحقيق مراد الله .. وقصة الغلام وأصحاب الأخدود عظيمة الأثر في بيان حقيقة ذلك .. لأنهم حققوا مراد الله بالتزام التوحيد أولاً .. وإن كان هناك بقية لحياة لحققوا شرع الله أيضاً .. ولكن الطاغية لم يمهلهم لفهمه لما يترتب عليه التزامهم بالمنهج الجديد والتغيير القادم ..

وشهادتهم كانت لهم فوز ولغيرهم قدوة على درب الله وطلب رضاه .. لا المداهنة والتمييع ثم الضياع في متاهة الحكام .. والنظم الدولية ..

ومما أكدناه آنفاً أن الدعوة هي حوار للوصول للحق .. وعندما تواجه الدعوة بالقوة والرفض تعمد للجهاد دفاعاً وطلباً .. ودعوتكم ودعوة غيركم حوربت وقوتلت وأسيلت فيها أنهار الدماء **فمتى تجاهدون إذن؟!**

***

السادس عشر : البناء

ما قامت الحروب الثورية ولا الثورات والانتفاضات إلا من أجل هدم نظام وبناء أخر .. وما قامت الحروب الاستعمارية إلا من أجل سرقة ثروات الآخرين أو السيطرة على طرق التجارة البرية والمضايق البحرية .. وما خرجت الجيوش الإسلامية إلا لنشر دين الله وإقامة العدل الاجتماعي بين البشرية ..

فما من حرب إلا ولها هدف .. والجهاد في الإسلام والحروب الثورية يتفقان في تحرير البشر من ظلم البشر .. الأول يهدف إلى تحريرهم من كل الظلمات وأعظمها ظلمة الشرك والكفر .. ويعمل على إقامة العدل والتكافل والرحمة وسمو الروح بين البشر ويمتد عدله لكل المخلوقات على الكوكب .. أما الحرب الثورية فتعمل على تحرير البشر لإقامة نظام أخر في الغالب يكون نظام بشري .. وبحكم النقص البشري فالنظام القادم يظلم طائفة أخرى من البشر .. وقد تقوم ضده حرب ثورية أخرى ..ولهذا يقال .. الثورة أو الحرب مستمرة ..

هدف الحرب سياسي اقتصادي ينشأ عنه نظام اجتماعي وثقافي يتوافق مع عقيدة القائمين على الحرب .. فالحرب هي ممارسة السياسة بوسائل عنيفة .. وعندما يقوم المسلمون بحرب جهادية ضد المحتل الغاصب أو ضد نظام عسكري مستبد يعمل لخدمة ذاته أو يحمي مصالح مستعمر سابق أو قوة عظمى .. أو ضد ملك وأسرته استولوا على الحكم واستعبدوا البشر كما هو حال جزيرة العرب .. فهذه الحرب لها سمات تختلف عن أخواتها من حروب التحرر .. إنها حرب عقدية سماوية .. تتبع مرجعية تضبط تحركاتها وقتالها .. وفق أحكام من خالق الكون ..

وحينما يكون للإسلام دولة سواء ضعيفة أو قوية .. فإن الجهاد ينطلق فيهما من بوابتين: ينطلق في الأولى (دولة ضعيفة) لدفع العدو الصائل .. دفاعاً عن دين المسلمين وشرائعهم ودمائهم وأعراضهم وثرواتهم .. وليحافظ للجيل القادم على كل موروثاته خاصة الإسلامية سليمة نقية من الشوائب والمعائب .. وينطلق في الثانية (دولة قوية) لضرب العدو الذي يعيق وصول الدعوة الإسلامية إلى بني آدم في أي مكان على سطح هذا الكوكب .. أو يهدد بقاء وجود الدولة الإسلامية .. أو لنصرة مسلمين مستضعفين أيضاً في أي مكان من هذا الكوكب .. أو لنصرة أي دولة إسلامية تتعرض لعدوان لا تقوى على رده أو تستنجد بإخوانها .. وفي كل الأحوال لم يكن هدف جهاد الطلب هو استغلال ثروات الشعوب المغلوبة وإنما نشر الدين ونصرة المستضعفين من المسلمين ..

وليس موضوعي هنا هو أهداف الجهاد في سبيل الله .. ولكني ألمح من خلال المقدمة إلى شكل البناء القادم لحرب ثوار إسلامية .. فما هو النظام الذي تهدف لإقامته حرب ثوار إسلامية ؟ ..

يهدف الثوار المسلمون لإقامة المنظومة الإسلامية .. والتي سبق وتكلمنا عنها بإيجاز .. فالرسالة الإسلامية هدفت إلى قسمين يكمل كل منهما الأخر .. الأول تصحيح الانحراف العقدي الذي يتولد دائما خلال المسيرة التاريخية للإنسان .. والثاني إقامة العدل على الكوكب بين بني آدم والخلق تحت نظام حكم متبع لا مبتدع منضبط بالشريعة الإسلامية .. وهذا قمة الكمال "توحيد الخالق وصيانة الخلق" ولهذا قال تعالى {... الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلاَمَ دِينًا ... {٣} المائدة .. وقد صدق اليهود أن هذه الآية لو كانت عندهم لاتخذوا يوم نزولها عيداً ..

ولندخل لبعض التفصيلات دون بسط ممل .. فكيف يبني المسلمون نظامهم ومجتمعهم .. وما هي الروح الغالبة على تفكيرهم ..

يتنوع شكل الدولة في عصرنا هذا بين الجمهورية[٧٧] والملكية[٧٨] أو شكل اتحادي يرتبط بشكل فدرالي[٧٩] أو كنفدرالي[٨٠] .. ونظام تولي السلطة إما انتخابي أو وراثي .. وقد يكون الحاكم ديموقراطي أو دكتاتوري ..

الثوار المسلمون يبنون نظام سياسياً يختلف مع النظم الوضعية .. لأنه يلتزم بمرجعية سماوية .. ويجتهد فيما يستجد من تنظيم لأمور الناس العامة بما يناسب كل عصر كأمور المرور والطب وما أتي به العلم الحديث .. وسواء كان الحاكم يطلق عليه خليفة المسلمين أو أمير المؤمنين أو السلطان أو الملك .. إلا أنه يخضع لسلطان الله في الحكم والسياسة[٨١] ..

---

٧٧ الجمهورية: دولة تامة السيادة تنفرد بإدارة شؤونها الداخلية والخارجية ويرأسها حاكم منتخب، سواء قام الشعب بانتخابه مباشرة أو انتخبه البرلمان أو هيئة شعبية أخرى، وتميل معظم الدول الحديثة إلى الأخذ بهذا النظام وهجر النظام الملكي الوراثي، وقد تكون الجمهورية برلمانية كفرنسا حيث يجعل الدستور الكفة الراجحة في ميدان السلطان في جانب البرلمان، وقد تكون رياسية كالولايات المتحدة حيث يجعل الدستور الكفة الراجحة لرئيس السلطة التنفيذية أي رئيس الجمهورية.

٧٨ الملكية: أحد أشكال الحكومة التي يتولى الحكم فيها ملك أو ملكة عن طريق الوراثة ويرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنظام الديني، وقد تكون الملكية مطلقة يكون فيها الملك صاحب جميع السلطات في الدولة، وقد تكون مقيدة بدستور، وكثيراً ما تكون الملكية المقيدة تطوراً للملكية المطلقة.

٧٩ الفدرالية – الاتحادية : النظام الذي يتيح تقسيم الدولة إلى ولايات لكل منها طابع خاص يتمتع بصلاحيات واسعة في الحكم الداخلي الذاتي يكاد يصل إلى حد الاستقلال في بعض المجالات بينما تمارس الحكومة المركزية السيادة الخارجية كإيفاد وقبول الممثلين الدبلوماسيين وعقد المعاهدات وإعلان الحرب.

٨٠ كونفدرالي: هو اتفاق دولتين أو أكثر بمقتضى معاهدة دولية تستبقى مع كل منها سلطتها في الخارج وفي الداخل وعلى إقامة هيئة مشتركة تكون لها اختصاصات معينة لتوحيد سياسات الدول الأعضاء في هذا الاتحاد.

٨١ إمتلئت كتب السياسة الشرعية كالأحكام السلطانية للماوردي والفراء .. بالتنظيم الإداري للدولة من تحديد الوظائف والمهام والتعين والعزل .. وهذه اللوائح التنظيمية يشبهها ما يكتب اليوم من دساتير تتناول نفس الموضوعات .. إلا أن غالبية الدساتير لا ترد الأمر إلى الله .. بل إنها بنيت على مخالفة أمر الله .. ولو بقي المسلمون على إرثهم الشرعي لكان خيراً لهم إذ فيه الكفاية والنجاة ..

وعلى مر تاريخ الدولة الإسلامية تنوع أسلوب تكليف الحاكم .. من الاختيار إلى التعيين إلى التوريث أو التغلب[٨٢] .. فقد تركها رسول الله ﷺ دون تحديد فاختار الصحابة خليفته .. وعين أبو بكر ﷺ عمر ﷺ خليفته .. وترك عمر ﷺ ستة ليتفقوا على أحدهم .. وارتئ عبد الرحمن بن عوف ﷺ أن يشاور أهل المدينة ويأخذ بما غلب عليه رضاهم .. وقد ورث معاوية ﷺ ابنه يزيد .. وتغلب أبو العباس السفاح على الحكم .. كما أن هناك أهل الحل والعقد الذين يمكنهم من اختيار واحدا من الأمة ليبايعوه .. وهكذا بلور أهل العلم ما تم عملياً في الواقع .. دونما وجود نص محدد لكيفية تكليف الحاكم .. وبالتالي فيمكن للمسلمين خط النظام الذي يلاءم وقتهم دون وجود حرج عليهم ..

والحاكم أي ما يكون لقبه يختار لنفسه نظام الحكم الذي يناسبه .. فالبعض يختار وزارته على أساس التفويض والبعض تكون وزارته على أساس التنفيذ .. وهما نظامان يتشابهان إلى حد ما مع الأنظمة المعروفة .. فوزارة التفويض تشبه النظام البرلماني .. ووزارة التنفيذ تشبه النظام الرئاسي ..

والحاكم كقيادة سياسية يضطلع بمهام رئيسية منها: حفظ الدين على أصوله المستقرة .. حفظ الأمن الداخلي .. متابعة القضاء وتنفيذ الأحكام .. حفظ البلاد من المتربصين وجهاد المعاندين .. متابعة بيت المال جباية وتصريفاً .. اختيار الوزراء وأصحاب المناصب الهامة في الدولة .. المتابعة والمراقبة والمحاسبة لعماله ....الخ .. كما يساير كل زمان في ما استجد فيه من تقنيات وصناعات وأساليب إدارة يرجى من ورائها سلامة المسير..

---

٨٢ والحقيقة أن في نفسي من مسألة الحاكم المتغلب الشيء الكثير.. ولكنه بلورة لواقع تقبلته الأمة ..

والخلاصة في هذا الباب أن الإسلام ألزم المسلمون بإقامة الحاكم .. وترك الكيفية لهم .. واشترط للحاكم وكذلك للأمراء وللعمال شروط .. وترك للحاكم اختيارهم .. وأعطى الأمة الحق في قبولهم أو رفضهم على أسس منضبطة لا على هوى وعناد .. وأكتفي بهذا القدر في هذا الجانب الإداري للدولة .. والمكتبة الإسلامية زاخرة في هذا الباب .. وكتب السياسة الشرعية ملئ بتشكيلة الدولة ونظامها وهي محل اجتهاد لا ينفك .. وهذا من مرونة الإسلام الذي يتفاعل مع الزمان ويسود على المكان ..

وعلى المستوى الاجتماعي تقوم العصابات بعد هذه الحرب المهلكة والتي تقطعت فيها أواصر المجتمع بالعمل على إعادة لحمته .. فمما لا شك فيه أن هناك طبقة جديدة ستخلف الطبقة السابقة في الحكم والاقتصاد .. كما أن هناك العديد من المظالم وقعت قبل الحرب صودرت فيها أموال وثروات تحتاج من العصابات أن ترد لأصحاب الحق حقوقهم .. وعليها أن تنشأ محاكمات عادلة للظالمين وتبدأ في محاسبتهم ورد سرقاتهم والقصاص من المجرمين منهم .. وتعويض من اغتصب حقه ولا يمكن رده .. فبعض المظالم كالجروح تحتاج إلى الوقت لتندمل .. وذلك من أهم قواعد السلامة المجتمعية وهو "شفاء الصدور" والذي لا يتحقق إلا بحساب المفسد ورد المظالم .. **والفارق كبير بين التشفي والشفاء** .. فالأول للنفوس المريضة والثاني لإحقاق الحق ..

في المجتمع الإسلامي تقوم القيادات الجديدة بتزكية المجتمع وتربيته على آداب وأخلاق الإسلام وتعلمه بما هو مطلوب منه شرعاً .. وتصبر عليهم وتمنحهم الفرصة ليتحولوا بعد فساد سنين طوال إلى مواطنين صالحين .. فبعض الأمراض تحتاج إلى وقت للشفاء ..

من المهم أيضا الانتباه للتركيبة العقدية للمجتمع .. فتنوع العقائد يفتح باب للنزاع وربما لظلم بعضها .. والعدل أولى وأليق بالمسلمين .. فيقام لهم عقود وعهود تضمن لهم حقهم وتكف شرهم وآذاهم .. ويتعامل مع أهل كل عقيدة بحسب ما قرره أهل العلم خلال الفتوحات الإسلامية طوال قرون الإسلام ..

وهناك قضايا يعمل الأعداء على إثارتها ومهاجمة الإسلام بها .. وللأسف يردد ذلك بعض التائهين من أبناء الأمة .. قضايا تتعلق بالمرأة ونظرة الإسلام للأخر ومدنية الدولة وغيرها ..

فمما يثيرونه من أباطيل أيضاً هو رؤية الإسلام للمرأة وأنه حبسها عن دورها في الحياة .. وهذا بهتان عظيم .. فما من دين احترم المرأة وصانها وجعل لها مكانة عظيمة ولم يحولها إلى سلعة إغراء ولا مصدر إلهاء ووضعها في موضعها مثل الإسلام .. فالإسلام ألزم النساء بآداب وأخلاق في خروجهن فلا تخرج متعطرة ولا تمشي مبتذلة مستهترة متكسرة ولا تظهر زينتها ولا تلين بالقول ...الخ .. وجعل لملابسها مواصفات محددة تلتزم بها المرأة في خروجها لمباشرة مهنتها أو تجارتها أو للذهاب إلى المساجد أو لزيارة أقاربها وجيرانها أو لأي سبب كان .. وحدد لها مجالات عمل ومنعها من مجالات .. كما ألزمها في سفرها بأن تصطحب معها ذا محرم ليكفيها حوادث الطرق ويحفظها من أخطار السفر وحيل المخادعين .. وبعد هذا لا يوجد ما يعيق حركة المرأة ولا نشاطها طالما كان مشروعاً .. والإسلام يلزم الرجل أيضاً بآداب وأخلاق وستر في الملابس ..

ومن القضايا التي يحاولون تميعها في الإسلام قولهم "نظرة الإسلام للأخر" .. والأخر يقصدون به غير المسلم .. إذ أن إطلاق كلمة كافر عليه لها معنى

ديني يحرمه من النعيم والجنة في الآخرة .. هل في هذا عبقرية؟! .. وهل بتغيير الاسم سيتغير المآل .. أم أن الهدف تميع الصفة الشرعية والتي ينبني عليها طبيعة التعامل مع الكافر وشكل العلاقات .. وفي هذا أيضاً دلالة على بغضهم لكل ما يمت إلى الدين .. ويحتجون بقول الله تعالى { لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ } ونسوا مطلع السورة هو { قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ } .. وهي في جوهرها إعلان براءة من الكفار ومنهجهم وبغضهم .. فالحقيقة التي لا مداهنة ولا مساومة فيها أن النصارى واليهود والوثنيين والملحدين واللادينيين كلهم كفار .. لا مجاملة في ذلك والنصوص من كتاب الله قطعية لا مجاملة فيها لأحد .. أما تعاملنا مع الأخر الكافر .. فهي منضبطة بضوابط واضحة سلماً وحرباً قوة وضعفاً ..

فقدم الدعوة لإرشادهم وانتشالهم .. وثنى بالجزية توبيخا وانتقاصاً لهم .. وبعد أن منحهم الفرصة للاختيار بين الحق أو الباطل يأتي الجهاد والقتال ليحزموا أمرهم ..

في حين أن هذا الأخر المزعوم لا يقدم في تعامله مع غيره شيء يقيموا بها دنياهم وأخرتهم .. ولا هم له إلا إبادتهم للاستيلاء على مقدراتهم .. والحروب الأوروبية والأمريكية تحمل المآسي والأهوال والمذابح والجرائم العظام لكل من غزوهم .. فأين هذا من الإسلام وفتوحاته ..

ومن قضاياهم مسألة الدولة المدنية .. فبحكم التجربة الأوروبية للدولة الدينية وما ارتكبته الكنيسة من فظائع .. وما تعنتت به من جهل وخرافات وقفت بها ضد العلم والتطور .. يريد بعض التائهين من المسلمين أن يلصقوا ذلك بالإسلام .. فيقولون لا نريد دولة دينية نريدها مدنية .. إن عكس كلمة مدنية هي كلمة عسكرية .. أما الدين فهو صفة لكل أشكال

الدولة كما أنه هوية لكل أفرادها سواء كانت وظائفهم فنية أو تجارية أو عسكرية فكلهم مسلمون .. أما عكس الدينية فهو العلمانية والليبرالية والديمقراطية أي التي ليس لها هوية دينية ومرجعيتها في الأحكام للقوانين الوضعية .. والخرافات الغربية ..

وكذلك من التقسيمات التي تشتبه على البعض في التعامل مع الأعداء قولهم "مدني وعسكري" .. وهذه تقسيمة لا يعرفها الإسلام وإنما يُلبس بها على البسطاء من أبناء الأمة .. فالرؤية الإسلامية للأعداء هي "مسالم أو محارب" .. فالمسالم هو من لم يقم بأي عمل أو قول فيه هجوم على المسلمين ومقدراتهم .. أما المحاربين فنقيض ذلك وهم كثر .. منهم من يحارب بالمال أو الكلام أو الأعمال العدائية أو السلاح .. فليس من يحمل السلاح ويقاتل به فقط هو العدو .. **وإنما كل أشكال الموالاة والمظاهرة والمناصرة والاصطفاف مع أعداء الدين تجعل مرتكبها عدواً محارباً للمسلمين ..**

وقد سبق في مقدمة البند السابق (السياسة) معالجة عدد من القضايا التي ينتقدون فيها الإسلام وأحكامه .. وخلاصة القول أن نظام الحكم هو دولة إسلامية تستمد تشريعاتها من الدين الإسلامي ..

المجاهدون يبنون نظامهم الاقتصادي أيضاً وفق تعاليم الشريعة الإسلامية .. التي توفر تمويلاً للدولة وتحدد مصارف لبعض أنواع التمويل .. والنظام الرأسمالي الحر فيه الكثير من النظام الاقتصادي الإسلامي .. فالدولة الإسلامية لا تقف عائقاً أمام الاستثمار ولكنها تقف ضد الاحتكار .. خاصة الصور الكريهة لمافيا الشركات .. والنظام الإسلامي لا يمنع الدولة بحكم ما تحت يديها من ثروات من استثمارها وجعل المردود منها لرفعة بنيها .. فلا

تجعله حكراً على الأسر الحاكمة كما هو الحال في دول الخليج .. كما أن الإسلام نظام تكافلي من خلال الزكاة وبيت مال المسلمين "الخزانة العامة" الذي تصب فيه كل موارد الدولة .. وينفق منه على مصالح العباد .. أما الزكاة فلها مصارف ثمانية تصرف فيها .. وأما المصادر الأخرى فيجتهد فيها الحاكم المسلم في رعايتها وتنميتها وإغناء المسلمين بها .. لا كما يحدث اليوم حيث تمنح دول الخليج أعداء الإسلام عشرات المليارات لتمنع انهيارهم وسقوطهم .. كما فعل حاكم الرياض مع روسيا وأمريكا وبعض دول أوروبا .. وما تقدمه دول الخليج للغرب سواء كانت إعانات أو تكاليف حروبهم .. وما يدفعونه لهم باسم مساعدات وتخفيض سعر النفط والخامات تحت مسمى دعم الاقتصاد العالمي لا يخرج عن **كونه جزية** يدفعونها لهم من أجل بقائهم في الحكم .. ولو وجد الغرب غيرهم يعطيهم أكثر لاستبدلوهم بهم ..

ومن المفيد أن الاقتصاد الإسلامي تسوده روح التدبير لا الإسراف والتبذير والاستهلاك .. كما في المجتمعات الغربية .. فالصناعات الإسلامية يجب أن تحقق هدف التدبير .. فالسيارة يحب أن تصمم لتقدم أعلى خدمة بأقل تكاليف .. وبما لا يعود بالضرر على صحة الإنسان أو الكوكب .. وأن تتناسب قيمتها مع سنوات استهلاكها .. وكذلك باقي الصناعات .. وأيضاً في ثقافة الأكل واللباس .. والزراعة والتجارة .. الحصول على أعلى عائد بأقل تكاليف دون الضرر بالصحة أو الكوكب وما عليه .. ومع الحفاظ على الثقافة الإسلامية التي تتبنى التدبير لا التبذير والاستهلاك ..

والإسلام يحارب الربا .. فعلاوة على أنه أمر من الله يجب طاعته وتنفيذه كما أمر .. فهو تجسيد لروح التكافل بين طبقات المجتمع .. ينزع الحسد

والحقد .. ويضع بل يغرس مكانهما الحب والولاء والنصرة والدعاء .. ويربط المجتمع بالعودة إلى الله فليقدموا لذلك اليوم الذي تذهل فيه المرضعة عما أرضعت .. قال تعالى { يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ اتَّقُواْ اللّهَ وَذَرُواْ مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ {٢٧٨} فَإِن لَّمْ تَفْعَلُواْ **فَأْذَنُواْ بِحَرْبٍ** مِّنَ اللّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُؤُوسُ أَمْوَالِكُمْ لاَ تَظْلِمُونَ وَلاَ تُظْلَمُونَ {٢٧٩} **وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ وَأَن تَصَدَّقُواْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ** {٢٨٠} وَاتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ {٢٨١} البقرة ..

والثوار يتحركون لبناء مجتمع إسلامي .. فيه من التراحم والتواد والشفقة والإحسان .. مجتمع يترفع عن الكبر والحسد .. مجتمع لا يتسلط فيه الأغنياء تسلط الإقطاعيين .. فالمجتمع الإسلامي فيه من كل الطبقات .. ولكن الفارق بينه وبين غيره هو الروح التي تسود المجتمع .. الروح المتشبعة بالرحمة والإحسان .. الروح التكافلية لا الميكافلية .. روح التكافل التي لا يرضى أن ينام الغني وجاره الفقير جائع .. أو عريان .. كما حكى الله تعالى عن الكفار ﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٧﴾ يس .. إن مجتمعنا الذي تصطف فيه كل الأقدام في صفوف الصلاة بين يدي الله لا فرق بين غني ولا فقير يركعون ويسجدون لله خلف إمام واحد .. مجتمع يعرف الفقير فيه قدر الغني ويعرف الغني فيه حاجة الفقير .. مجتمع تسوده روح الإخوة .. مجتمع يصطف المسلمون فيه لمواجهة عدوهم يشد بعضهم من أزر بعض .. لقد حرص الإسلام إلى الدعوة إلى التكافل والتراحم والتواد على غير أرحام .. فحرص على إفشاء

السلام .. وإطعام الطعام .. كما حرص على تزكية الروح لتتجاوز أوهام الكبر .. فأعلم الأغنياء أنهم وكلاء الله في المال وان الفقراء عياله وحرضهم على كفالتهم ..

لقد أوجد الإسلام ميراثاً من التكافل الاجتماعي والأخلاق التربوية ما يجعل مجتمع المسلمين إن اتبعوها لتحقق ما قيل عن المدينة الفاضلة التي يتكاتف أهلها سوياً بلا كبر ولا حسد ..

هدف المجاهدون هو تعبيد الناس للخالق .. وإن هدف حربهم الثورية إقامة دين الله وتحكيم الشريعة في حياة البشر لتزكية أرواحهم وأموالهم .. وصيانة أجسادهم .. هذا هو الإسلام .. أنه دعوة لهداية البشرية لا لاستغلالهم .. دعوة للسمو بأرواحهم وتطهير أبدانهم وتنقية أموالهم .. دعوة قوية لا ضعف فيها .. يقول الأستاذ سيد قطب رحمه الله "إنه لا بد للإسلام من قوة ينطلق بها في "الأرض" لتحرير "الإنسان" .. وأول ما تصنعه هذه القوة في حقل الدعوة: أن تؤمن الذين يختارون هذه العقيدة على حريتهم في اختيارها فلا يصدوا عنها .. ولا يفتنوا كذلك بعد اعتناقها .. والأمر الثاني: أن ترهب أعداء هذا الدين فلا يفكروا في الاعتداء على "دار الإسلام" التي تحميها تلك القوة .. والأمر الثالث: أن يبلغ الرعب بهؤلاء الأعداء أن لا يفكروا في الوقوف في وجه المد الإسلامي .. وهو ينطلق لتحرير "الإنسان" كله في "الأرض" كلها .. والأمر الرابع: أن تحطم هذه القوة كل قوة في الأرض تتخذ لنفسها صفة الألوهية .. فتحكم الناس بشرائعها هي وسلطانها .. ولا تعترف بأن الألوهية لله وحده .. ومن ثم فالحاكمية له وحده سبحانه ..

هذا هو البناء الإسلامي عندما ينجح الثوار في إقامة دولتهم ويبنوا نظامهم السياسي والاقتصادي .. وما يتبع ذلك من آثار على المجتمع وثقافته ..

فيسموا بمجتمعاتهم ويفتخروا بثقافتهم .. ويحقق للإنسانية الكمال الأخلاقي الذي أراده الله لها ..

وهذا هو البناء الذي يحاربه أعداء الله من كل صنف وجنس .. لا يحاربونه وفق رؤية عقديه كما يسوقون لشعوبهم ليسوقوهم كالأنعام .. ولا يحاربونه لأن الإسلام سوف يقضي عل أسلوب حياتهم .. **إنهم يحاربون الإسلام** لأنهم يعرفون أن الدين ما جاء إلا لضبط تجاوزاتهم وتحجيم انفلات شهواتهم ومنعهم من اغتصاب مقدرات الآخرين .. **إنهم يحابون الإسلام** لأنهم يعلمون أنه يقضى على مصالحهم المزعومة وتسلطهم على البشر وينهي عنصريتهم واستغلالهم .. **إنهم يحاربون الإسلام** لأن طغيانهم يعميهم عن حقيقتهم البشرية فهم يحلمون بأن يكونوا آلهة تعبد فتأمر فلا تعصى .. وتمنح وتمنع لا يردها أحد ولا يمنعها شيء .. **إنهم يحاربون الإسلام** لأنه بناء قوي متماسك يمنع الظالم من تجبره ويمنح البشر كلهم حق الحياة الكريمة ..

هذه هي حقيقة الحرب على الإسلام التي يجب أن تكون في عقل المجاهد حين ينطلق إلى الدنيا بأسرها ليحقق فيها مراد الله ..

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات

***

قال تعالى { وَأَذِّن فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ {٢٧} الحج .. أمر الله إبراهيم عليه السلام أن يؤذن بالحج .. وكان معه يومها إسماعيل عليه السلام .. فوقف على الجبل ونفذ ما أُمر به .. وتكفل الله بإحضار البشر لبيته .. أخرج الحاكم في المستدرك عن ابن عباس ﷺ قال: لما فرغ إبراهيم من بناء البيت قال: رب قد فرغت فقال: {أَذِّن فِي النّاسِ بِالْحَجِّ} .. قال : رب وما يبلغ صوتي .. قال: أذن وعلي البلاغ .. قال: ربّ كيف أقول؟ قال: قل يا أيها الناس كتب عليكم الحج حج البيت العتيق .. فسمعه من بين السماء والأرض .. ألا ترى أنهم يجيئون من أقصى الأرض يلبون .. هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه .. واليوم في كل عام وفي نفس التوقيت يأتي ملايين البشر من كل مكان .. تلبية لنداء إبراهيم .. إنه دين الله .. هو سبحانه الذي تكفل به ..

ومن تورابورا في جبال أفغانستان أرض العزة قاهرة الإمبراطوريات في منتصف ١٩٩٦م أعلنت القاعدة الجهاد على الأمريكيين .. وانطلقت دعوتها ونداؤها للأمة للجهاد من باب قوله تعالى {فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللّهِ لاَ تُكَلَّفُ إِلاَّ نَفْسَكَ وَحَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللّهُ أَن يَكُفَّ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَاللّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلاً {٨٤} النساء .. يومها كنا سبعة إخوة[٨٣] على الجبل (الشيخ أسامة بن لادن .. والشيخ أبو حفص المصري .. والشيخ أبو وليد .. والشيخ سعيد المحاسب .. والشيخ أبو محمد المصري .. والشيخ أبو عبيدة الموريتاني .. وكاتب هذه السطور) .. وصحبنا في الجبل ثلاثة أسر (أسرة الشيخ أسامة وأسرة الشيخ أبو وليد وأسرتي) .. وقتها كان خالد ابني رضيعا

[٨٣] والله سبحانه وتعالى أبقى منهم اليوم ومن الأجيال الجديدة ما يسوء الأمريكان ومن والاهم .. نسأل الله لنا ولهم الرحمة والمغفرة ..

يزحف فوق قمم تورابورا .. رافقنا في الجبل مجموعة من شباب الأمة منهم: (أبو اليسر التونسي .. حمزة الزبير المصري رحمه الله وعدد من إخوانه المصريين .. أبو عمر الأنصاري اليمني وعدد من الإخوة اليمنيين .. وأبو عمر المغربي .. أحمد عبد الله بطل عملية تنزانيا وشريف وأبو همام وطارق وأسد شباب من الجماعة الإسلامية ..) .. وكان معنا في مدينة جلال آباد ما يكملنا ثلاثة وعشرون أسرة فقط .. وأقل من عشرة شباب .. وفي خوست بمعسكر جهادوال عدد من الشباب لا يتجاوز الخمسة عشر على رأسهم أبو زيد التونسي رحمه الله وأسرته .. وأبو الفرج الليبي .. في أحسن أحوالنا لم نبلغ الستين مجاهداً ..

ومن هذا التاريخ وحتى الحادي عشر من سبتمبر لبى النداء الكثير من أبناء الأمة .. فالتحق بنا عدة مئات من الشباب .. كانوا وما زالوا أسوداً يثيرون الرعب في قلوب الأعداء أينما حلوا .. ويشيعون الأمن والطمأنينة في قلوب المسلمين أينما سكنوا .. هم أحد مكونات درع الأمة الذين يبذلون مهجهم لنصرة دينها .. لقد لبوا النداء ووفوا .. وما زال صدى النداء يتردد من جبال الهندكوش ويطير في العالم شرقاً وغرباً .. شمالاً وجنوباً ..

واليوم .. حمل راية الجهاد الآلاف وفي أغلب قارات المعمورة .. ينتمون للقاعدة فكراً وعملاً .. إنه الإسلام دعوة وجهاد .. والله سبحانه وتعالى هو الذي تكفل به ..

لقد مضى الكثير من إخوة تورا بورا إلى ربهم .. لقد كان لي شرف العمل معهم .. وأحببت لقاء الله معهم .. ولكني أؤمن أن الله سبحانه يقدر لعباده الخير .. أسأل الله أن يبارك نزلهم .. وأن يلحقنا بهم والإسلام في عز ورقي ..

ولا يضر القاعدة ولا غيرها من المجاهدين أن بعض من سار على درب الجهاد أخطأ في مسيرته .. وتجاوز حدود ما أمر الله به .. فالمنهج الصحيح

السليم يدوم ما شاء الله له ذلك .. وغيره يذبل ويذوب .. وقد تكرر في تاريخ الأمة أن صاحب مسيرتها خروج بعض المبتدعة .. ذاقت الأمة من بلاء خروجهم ..

والمجاهدون أنصار الحق إليه يعودون وبه يستنيرون .. وما وصلهم من نصح أو تعليم فله يستمعون .. وما وافق الحق به يعملون .. هذا هو منهج القاعدة ..

هذه هي القاعدة التي انتشرت في الأمة الإسلامية .. بل إن شئت لقلت أن شعوب الأمة الإسلامية انتهجت طريق القاعدة .. وارتضته درباً للتحرير من القهر والطغاة .. وهاهم رؤوس الأنظمة العربية والإسلامية ممن خانوا دينهم وشعوبهم يحجون إلى البيت الأبيض .. ليتآمروا مع ربهم على قتل شعوبهم بتهمة انتمائهم للقاعدة ..

هذه هي القاعدة التي أذهلت العالم ودكت الحصن الأمريكي .. وأسقطت هيبته .. وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء ...

***

حرب عصابات عالمية

ضد أعداء الإسلام والإنسانية (الأمريكان)

تجاوزت الولايات المتحدة كافة الحدود .. ولم تحترم لدى الشعوب ما هو ممنوع وحرام .. حتى المقدس دنسته .. التاريخ لم يعرف أمة أهانت البشرية جمعاء كما فعلت الولايات المتحدة .. ولم يسبق لأمة أن سفكت دماء في أنحاء العالم كما فعلت هذه الأمة الخبيثة ..

وعلى شعوب العالم الثالث والدول النامية والدول الإسلامية القيام بحرب ثورية ضد الولايات المتحدة وأصحاب رؤوس الأموال التي انتهكوا بها كل ما هو محرم .. وهذا الأمر وإن بدا صعباً بسبب الحكومات العملية وجيوشها التي تدار بالهبات والرشاوى .. إلا أنه ليس مستحيل .. البشرية بحاجة إلى أمم تخطت هزيمتها النفسية .. بحاجة إلى أمم ترغب بالعيش في عز وكرامة .. إلى أمم تريد أن تصبح حرة وتطمح أن يعيش أبنائهم أحرار .. أمم تخط مستقبلها بأيدها وأيدي المخلصين من أبنائها .. فعندما تهب على النفوس إرادة المقاومة وتنهض .. يمكن إيجاد الوسائل للقيام بذلك .. هذه الأمم إذا ألقى كل فرد منهم حجراً على المصالح الأمريكية والغربية حول العالم وعلى أراضيهم لدفنوهم أحياء .. فكيف إذا تحول الحجر إلى سلاح ومتفجرات .. إنني أدعوا كل من يرغب في العزة من بني آدم .. كل من لا يقبل بالذل إلى رفع السلاح ضد هذا العدو التعيس .. ليضرب اقتصادهم ومصالحهم .. ويهلك نفوسهم الشريرة ويفسدوا عليهم دنياهم كما أفسدوا على الخلق حياتهم .. وإن كان لي من دعوة صالحة لا ترد لدعوت الله أن يدمر أمريكا[٨٤]

---

[٨٤] من مقولات الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله "لا تشاور أحد في قتل الأمريكان" ..

ويجعلها غنيمة لعباده الصالحين .. إرضاءً لله أولاً .. ثم من أجل كل من قتلوا من أبناء آدم مسلمين .. وغير مسلمين ..

وإن كان للقاعدة سبق فقد سبقت غيرها في كسر الهيبة الأمريكية .. إن إسقاط أو كسر هيبة الأقوياء من أهم الأمور النفسية المؤثرة التي يجب أن تضعها العصابات في مخيلتها .. فبكسرها يتجرأ كل الضعفاء على الوقوف في وجه العدو .. فأمريكا بعد ضربات القاعدة هانت على الكثير من القوى الدولية .. بل إن أمريكا من بعد الحادي عشر من سبتمبر تنهار فاقدة لقب القطب الأوحد والسوبر بور .. ومن الملاحظ أن نفسية جورج بوش قبل ضربه بالحذاء تختلف تماما عنها بعد ضربه .. وكذلك نظرة المقربين منه ورؤساء الدول وسكان الكوكب له اختلفت كثيراً .. لقد سقطت هيبة الرئيس الأمريكي والرؤساء القادمون أيضاً في نظر الناس وتحتاج إلى مجهود كبير لإعادتها مرة أخرى وقد يصعب ذلك عليهم لعقود طويلة ..

إن كان لي من استشراف للمستقبل وليس تآليا على الله .. فإنني أبشر بزوال الحالة الأمريكية .. فالظلم والقهر والبطش لا دوام لهم .. ومخالفة الفطرة السوية والانقلاب على الطبيعة البشرية يبشر بهلاك فاعلها .. وإمهال الله فيه دلالة على سوء المصير وبشاعة العقاب .. أما في عالم الأسباب .. فاليوم أو غدا سيخرج الناس في العالم أجمع من أجل هدف واحد .. القضاء على الهيمنة الأمريكية والفكرة الأمريكية والثقافة الأمريكية .. والتبعية الأمريكية .. وخُدّامهم في العالم ..كل العالم .. إنها مسألة وقت .. وإن غداً لناظره قريب ..

ومن باب التحريض على حرب عصابات تمتد حول العالم ضد العدو الأمريكي أو غيره ممن تسلط على البشرية .. وحول البشر إلى قطعان تدر

عليه الأرباح وتلبي شهواته وتشبع جشعه .. يمارس ضدها أعمال العنف والبلطجة يعربد ويقتل ويحرق ويسرق .. لا يردعه أحد .. غرس في البشر طباعه الحيوانية .. وسوق لهم آفاته الدنية .. لم يعرف التاريخ أمة بهذا المستوى من رداءة الطبع .. والنهم والاستغلال والاستهلاك .. أبادت في نشأتها أكثر من ملـ٦٠يون من أبناء آدم ويطلقون عليهم السكان الأصليين وكأنهم ليسوا مثلهم من البشر .. وأنشئت فرقاً للموت استباحت الدماء والأعراض في أمريكا اللاتينية وفرضت الفقر والرزيلة والإدمان عليهم فرضاً .. وكررتها في العراق ومصر وغيرهما .. استخدمت قنابلها الذرية ضد أبناء آدم في اليابان .. حولت الشعوب السوداء إلى عبيد تجارة واستخداماً .. كما حولتهم إلى حقل تجارب لمعاملهم الجرثومية .. وأخيراً استخدمتهم كقطع غيار بشرية لعلية القوم عندها .. تقيمهم للبشر تقيم مادي لا إنسانية فيه .. فالموت والحياة مرتبط بقدر ما تنفعهم أو ما تنتج وتشارك به في دورة الاقتصاد .. أمم تباد أو تحتل أرضها وتسرق مقدراتها من أجل رفاهيتهم .. نهبوا نفط المسلمين وأساؤوا استخدام الثروات والنعم التي وهبها الله للبشر .. كل البشر .. أفسدوا الماء والهواء فهم خارج كل الاتفاقيات التي تحافظ على سلامة الكوكب .. وما تسارعوا للقضاء على حركة طالبان إلا لتعود زراعة المخدرات .. صدروا للعالم ثقافة العري والإباحية وعبادة الشيطان وزادوا الكنيسة انتكاساً .. ورسخوا ونظروا وأشاعوا في أدبياتهم وأفلامهم لبهيمية الإنسان .. أما الأديان والمقدسات فقد عبثوا بها كما لم يفعل أحد من الأمم التي أبادها الله .. وما الدين عندهم إلا مطية لخطاياهم .. فيحركونه في نفوس أتباعهم لينالوا منهم ما يريدون .. لا عقيدة إليها يرجعون وإنما أوهام وأحلام وهوس .. دينهم

الحقيقي ما صاغه ميكافيللي في كتابه الأمير[٨٥] .. فهم استغلاليون انتهازيون .. برنامجهم الاجتماعي سليل الحكم الملكي الطبقي الأوروبي والإنجليزي منه خاصة ..

وحكام أمريكا ومعهم أثرياء العالم يهود وغير يهود .. والشركات العملاقة وكذلك العسكر .. يرون شعبهم قطيع من البقر[٨٦] وهم رعاته .. ونظريتهم للبشرية جوهرها السادة والعبيد .. لا منهج ينشرونه لنفع البشر إنما هي

---

٨٥ يقول مترجمه أكرم مؤمن "وأنا لا أجد غضاضة في أن تقرأ ما جاء بالكتاب .. وإن ناقض به بعض مبادئنا العربية السمحة الأصيلة .. بل إن ذلك مفيد لنا لكي نعرف كيف كان ساسة الغرب يفكرون في تلك الفترة وكيف تأثروا بهذه الأفكار حتى الآن ....) .. أهـ من كلمة المترجم أكرم مؤمن .. إن علماء الأخلاق في العالم يرون أن أفكار هذا الكتاب وما خط به مناسباً للطغاة الأشرار فقط .. والكتاب يبلور حقيقة تضارب المصالح بين العامة والحكام .. فرضا الرعية متغير وعلى الأمير أن يعتمد على قوته .. إن أفكار الكتاب قائمة على الفصل بين الأخلاق والسياسة .. **فالقسوة تقيم النظام وتمنع الفوضى وتحقق الوحدة وتقضي على الفتنة وهي في المهد** .. ويسير الكتاب وكاتبه ينسج على هذا المنوال .. ومن نسجه ونسيجه يرتدي الساسة والأثرياء في أمريكا وأوروبا .. اعتبرت الكنيسة أن مكيافيللي هو شيطان رهيب هبط على الإنسانية فاراً من الجحيم .. وأن كتابه الأمير هو كتاب أودعته يد الشيطان ..

٨٦ (.... وبعد أحداث ١١ أيلول/سبتمبر، بدأ الفاشيون في الإدارة الأميركية، وبسمة السرور تلوح على وجوههم، يعززون سياسة القمع الداخلية تجاه الشعب الأميركي نفسه باسم "مادة الوطنية الأميركية". فالأميركيون قطيع من البقر في نظر حكامهم وإذ أن رجال الإدارة الأميركية لا يرون في المواطنين الأميركيين سوى بقر تمكن قيادتها كقطيع من ناحية نفسية إلى أي اتجاه يرغبون به مستخدمين الأكاذيب لتحويلهم إلى مواطنين أغبياء تتدفق الضرائب منهم لصالح الحكام. أما بقية البشر في هذا العالم فلا تعتبرهم الإدارات الأميركية سوى عبيد لا حول لهم ولا طول، ويتعين استغلالهم إلى أقصى الحدود المكنة. و إذا تجرأت هذه المخلوقات البشرية وحاولت أن تصبح حرة من استغلال الإمبراطورية الأميركية، فسرعان ما تتساقط القنابل فوقها لإعادة إخضاعها. ويشير التاريخ إلى عدم اهتمام رجال الإدارات الأميركية إلا بالحفاظ على ثرواتهم و سلطاتهم ولاشيء خلاف ذلك. فلقد أساء نظام الحكم الأميركي الذي يتحكم فيه الأثرياء الأميركيون معاملة العالم، وشن حملات إبادة الشعوب، ومارس إرهاب الدولة خلال ١٠٠ عام خلت. وهو يعمل الآن بالأساليب نفسها من أجل إحكام السيطرة الكلية على العالم مستخدما الإرهاب والمذابح الجماعية. وإذا لم يقم الشعب الأميركي بدوره تجاه هذا النظام وإيقاف طموحاته هذه، فلن يوقفه أحد وسوف يدفع الشعب الأميركي ثمنا مروعا بسبب وقوفه إلى جانب جشع المؤسسة الأميركية العسكرية/السياسية الحاكمة. وإذا أخذنا هذه المطامح الأميركية كما تبدو لنا، فانه من المحتمل جدا أن تشكل أي عمليات هجومية مسلحة إرهابية على الولايات المتحدة تورطا سريا من المؤسسة الحكومية/ العسكرية نفسها في واشنطن ..) من كتاب التوتاليتارية اللبرالية الجديدة والحرب على الإرهاب .. لتوفيق المديني .. كاتب وباحث من تونس .. مهتم بدراسة ظاهرة الإسلام السياسي في الوطن العربي، وله العديد من المؤلفات المتخصصة في مجال الفكر الديمقراطي، ونشر العديد من الأبحاث والمقالات في مجلات وصحف عربية.

الشهوات البهيمية في أسوء صورها .. إسراف في الجنس والمال والطعام وإهلاك لثروات البشرية يتنافى مع أي قيم روحية .. ليس لهم من المسيحية المحرفة إلا ما يساند حروبهم .. ومهما غلفوا جرائمهم ضد البشرية والكوكب فإن نتن ريحها لا يخفيه شيء اليوم في عصر التقنية ..

وكما أسلفت أكثر من مرة .. أن الإسلام في انطلاقته استهدف الإنسان روحاً وجسماً .. لينشله من بهيميته إلى مراد الله منه .. أما الانطلاقة الأمريكية للعالم فقد استهدفت الثروة والأموال .. ونظرت للبشر كعنصر يقيم بالمال .. ولم تقدم للبشرية إلا ما يغرقها في بهيميتها .. فهي على النقيض من الإسلام ..

وإن أراد أحدا ما أن يحتج ببعض ما حدث عبر التاريخ من مخالفات لرسالة الإسلام من حكام تلك الأزمنة .. فالإسلام بريئ منها براءته من مخالفات وحكام هذا الزمان .. روى مسلم في صحيحه: عَنْ سُلَيْمَانَ بْنِ بُرَيْدَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ كَانَ رَسُولُ الله إذَا أَمَّرَ أَمِيراً عَلَى جَيْشٍ أَوْ سَرِيَّةٍ أَوْصَاه فِي خَاصَّتِهِ بِتَقْوَى الله وَمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ خَيْراً ثُمَّ قَالَ اغْزُوا بِاسْمِ الله فِي سَبِيلِ الله قَاتِلُوا مَنْ كَفَرَ بِالله اغْزُوا وَلاَ تَغُلُّوا وَلاَ تَغْدِرُوا وَلاَ تَمْثُلُوا وَلاَ تَقْتُلُوا وَلِيداً وَإِذَا لَقِيتَ عَدُوَّكَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ فَادْعُهُمْ إِلَى ثَلاَثِ خِصَالٍ[٨٧] «أَوْ خِلاَلٍ» فَأَيَّتُهُنَّ مَا أَجَابُوكَ فَاقْبَلْ مِنْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى التَّحَوُّلِ مِنْ دَارِهِمْ إِلَى دَارِ الْمُهَاجِرِينَ وَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ إِنْ فَعَلُوا ذلِكَ فَلَهُمْ مَا لِلْمُهَاجِرِينَ وَعَلَيْهِمْ مَا عَلَى الْمُهَاجِرِينَ فَإِنْ أَبَوْا أَنْ يَتَحَوَّلُوا مِنْهَا فَأَخْبِرْهُمْ أَنَّهُمْ يَكُونُونَ كَأَعْرَابِ الْمُسْلِمِينَ يَجْرِي عَلَيْهِمْ حُكْمُ الله الَّذِي يَجْرِي عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَلاَ يَكُونُ لَهُمْ فِي الْغَنِيمَةِ وَالْفَيْءِ شَيْءٌ إِلاَّ أَنْ يُجَاهِدُوا مَعَ الْمُسْلِمِينَ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا

---

[٨٧] انظر شرح الإمام النووي لصحيح مسلم ..

فَسَلْهُمُ الْجِزْيَةَ فَإِنْ هُمْ أَجَابُوكَ فاقْبَلْ منْهُمْ وَكُفَّ عَنْهُمْ فَإِنْ هُمْ أَبَوْا فَاسْتَعِنْ بِاللّه وَقَاتِلْهُمْ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ وأَرَادُوكَ أَنْ تَجْعَلَ لَهُمْ ذِمَّةَ اللّه وَذِمَّةَ نَبِيِّهِ فَلاَ تَجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّةَ اللّه وَلاَ ذِمَّةَ نَبِيِّهِ وَلَكِنِ اجْعَلْ لَهُمْ ذِمَّتَكَ وَذِمَّةَ أَصْحَابِكَ فَإِنَّكُمْ أَن تُخْفِرُوا ذِمَمَكُمْ وَذِمَمَ أَصْحَابِكُمْ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ تُخْفِرُوا ذِمَّةَ اللّه وَذِمَّةَ رَسُولِهِ وَإِذَا حَاصَرْتَ أَهْلَ حِصْنٍ فَأَرَادُوكَ أَنْ تُنْزِلَهُمْ عَلَى حُكْمِ اللّه فَلاَ تَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِ اللّه وَلَكِنْ أَنْزِلْهُمْ عَلَى حُكْمِكَ فَإِنَّكَ لاَ تَدْرِي أَتُصِيبُ حُكْمَ اللّه فِيهِمْ أَمْ لاَ .. فتأمل[٨٨] "كيف فرق بين حكم الله وحكم الأمير المجتهد .. ونهى أن يسمى حكم المجتهدين حكم الله .. ومن هذا لما كتب الكاتبُ بين يدي أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﵁ حكماً حكم به فقال: هذا ما أرى الله أميرَ المؤمنين عمر ﵁ .. فقال: لا تقل هكذا ولكن قُلْ: هذا ما رأى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب" أهـ .. هذا هو الإسلام بجماله وروعته وعدله وإحسانه حينما كان الأمير عمر ﵁ ومن كان مثله عبر التاريخ .. أما غيرهم فلا حول ولا قوة إلا بالله ..

مقترح الحرب على الولايات المتحدة الأمريكية:

وقع الدب الروسي في أفغانستان بفخ فك اتحاده ونزع سيطرته ودمر اقتصاده وحوله لقوة من المرتبة الثانية .. إن النسر[٨٩] الأمريكي بحاجة لأن

[٨٨] أعلام الموقعين

[٨٩] يمكن فهم النفسية الأمريكية من خلال الرموز والشعارات .. اتخذت الولايات المتحدة الأمريكية النسر شعاراً لها .. وهو طائر من الضواري كبير الحجم وقوي .. يستطيع أن يصطاد فرائسه بنفسه .. إلا أنه طائر غير شريف .. ولا يتمتع بنبل الأخلاق .. ولا يتمتع بعزة النفس .. ولا يترفع عن الصغائر .. حتى لو حلق في عنان السماء .. لأنه يفضل أن يقتات من القتلة .. أو البلطجية .. أو فرق الموت .. ولأنه لا يحط إلا على الجيف .. ولأنه يشترك مع الضباع في كونهما مستوعب زبالة متجول .. فهو من الطيور القمامة .. وكذلك الولايات المتحدة الأمريكية .. نظاماً وشعباً .. مخلوقات قمامة .. (من محاضرة الثورة المضادة – الجزء الثاني من كتاب الصراع ورياح التغيير) ..

يعلق في شبكة تستنفذ قوته وموارده .. وبمرور الوقت تقضي عليه .. يجب أن يتم توريطه فيما يستنزفه.. وهو جاهز ليتورط بحكم طموحاته في التسلط على العالم ..

قبل أن أدخل في الموضوع أمهد له بهذه الصورة الواقعية للعبث الأمريكي بالعالم الإسلامي بل بالعالم النامي أجمع: المتابع لسلسلة الأعمال التغيرية التي مارستها وتمارسها الولايات المتحدة ضد الدول الإسلامية خلال العقود الأخيرة .. يجد أن جوهرها هو المحافظة على الحكم الاستبدادي (ملكي أو عسكري) فيها لضمان استمرار تدفق الثروات من الدول الإسلامية إلي الولايات المتحدة بأبخس الأسعار .. وضمان تبعية هذه الدول ونبذها لهويتها ومعتقداتها .. وإعادة صياغة الإرادة الإسلامية وطموحاتها وخلق جيل جديد أبرز سماته ضياع الهوية .. تمهيدا لمجتمع علماني الهوية .. وتبنت لتحقيق هذه الأهداف العديد من السياسات فمنها عدم الاكتفاء بضمان ولاء الحكام لهم فقط .. أو جعلهم عملاء يتقاضون رواتب من السي آي إيه .. وإنما تحولهم إلى إمعات تبصم على بيع شعوبهم وأرضهم وما فيها .. ومن هذه السياسات الغزو الثقافي بقوتهم الناعمة وما تنتجه هليوود .. وعلى رأس هذه السياسات الضغوط الاقتصادية .. والتهديد العسكري من خلال الأساطيل التي تسرح في المياه الإسلامية والدولية .. ومن أهمها إضعافهم عسكريا بنزع السلاح من أيديهم .. أو جعل بأسهم بينهم بإثارة الاضطرابات بين الدول الإسلامية أو غيرها من الدول .. وكذلك داخل الدولة الواحدة من خلال عرقياته وطوائفه المختلفة .. وهم من خلال العناصر السابقة وغيرها يخلقون نوعا من الفوضى الثقافية والاجتماعية والنفسية والاقتصادية والعسكرية والأمنية وحتى الدينية .. وهو ما أسموه

" سياسة الفوضى البنَّاءة " .. وبمعنى أدق فيجب أن لا يظل الجسم الإسلامي بأربعة وخمسين رأسا فقط .. بل عليه أن يتضاعف .. وعلى كل رأس أن تشد الجسم في اتجاه مخالف للأخر .. وفقا للتوجيه الأمريكي .. ومنعها من أن تتوحد .. وهذا غيض من فيض .. ونتساءل متى تعي شعوبنا وشعوب الدنيا ما يفعل بها؟ .. ومتى يتوفر لهم إرادة التغيير للقضاء على انتكاستهم .. وإلى متى لا يكون لهذه الدول والشعوب حكومات وقيادات حرة وقوية؟ ..

هذه هي سياسة الفوضى البناءة التي ترغب فيها الولايات المتحدة لتبقي العالم الإسلامي خاصة في حالة من الاضطراب وعدم التوازن والاستقرار .. نزاعات في الغرب واقتتال في الشرق وتيه في الوسط .. مشاكل داخلية هنا وخارجية هناك .. تتحالف مع فريق وتتحالف عليه .. وتبقي نفسها مسيطرة على الصراع تعطي كلا المتصارعين من السلاح ما يديم الصراع ولا يحسمه .. وهذه الحالة من (الفوضى) تكررها الحكومات والأنظمة الدكتاتورية داخل دولها .. حينما ترى أن هناك قوة جديدة ناشئة تهدد احتكارها للسلطة[٩٠] فتعمد إلى سياسة الفوضى لتتمكن من تدمير هذه القوة وإعادة بناء أو تجميل نفسها من جديد أمام العالم .. لا من أجل شعبها .. منتهكة كل الحقوق دون أن يحاسبها أحد على ما تفعله إزاء ما تسميه (مواطنيها) الذين لا يتمتعون إلا بحقوق العبيد إن كان لهم حق .. هذه السياسة هي نفسها التي تتبعها الولايات المتحدة للسيطرة على العالم وإبقاءه في حالة من القلق والاضطراب وعدم الاستقرار والأمن.

[٩٠] كما يفعل السيسي بمصر وشعبها اليوم .. إشاعة الفوضى للقضاء على الخصم .. وإرهاب الشعب .. ليتمكن من الحكم في النهاية ..

وعود على بدأ فمهما بلغت الدولة من عظمة لا تنتفي عنها مؤشرات التفكك والتحلل .. فلكل مجتمع نقاط قوة وربط .. ونقاط ضعف وتفكك .. إن تعقيدات المجتمعات الحديثة المدنية تجعلها حساسة جداً إزاء التخريب على نطاق واسع .. كما أن التجمعات والشركات الصناعية العملاقة داخل وخارج الولايات المتحدة شديدة الحساسية اقتصادياً ومادياً أمام المقاطعات الاقتصادية والإضرابات والتخريب العنيف والمعنوي .. والبنوك تسقط على بطنها إذا هجرها المودعون .. ويسهل ذبح الاتحاد الفدرالي على مذبح الأنانية والانتهازية للولايات الغنية .. كما أن أمريكا ليست عرق واحد .. بل هي أمة من عدة أعراق .. لا جامع بينهم .. إلا ما يسمونه الخطايا السبع .. كلهم فيها سواء .. ومهما تشدقوا بحقوق الإنسان فهم أبعد الكائنات عنها .. والمذاهب النصرانية تتنازع فيما بينها وكل منها يدعو لعقيدته .. والعلمانية تتشاكس مع النصرانية .. والإلحاد خيم على أرضها .. والبدع البشرية يلد رحمها شطحات متباينة .. فمن عبادة الشيطان إلى تحولهم لآلهة ..

وهناك تساؤلات مهمة .. منها هل هناك قبضة قوية وعين متيقظة للتيارات السياسية المناهضة للدولة في داخلها وخارجها؟ .. وهل هناك متابعة قوية للمنظمات المسلحة في الداخل والخارج؟ .. وكذلك هل الجبهة الداخلية موحدة وليس هناك تجاوزات في حق العرقيات المختلفة التي تتكون منها الدولة ؟ .. وهل تم إذابة الفروق العرقية والمذهبية في بوتقة الدولة التي لا تتسع لمثل هذه الخلافات ؟ .. وهل العمل التنموي قائم في كافة أرجاء البلاد بنسب متقاربة وخاصة على الأطراف لضمان ولائها؟ .. وهل كافة العرقيات ممثلة سياسيا بالشكل المناسب لحجم كل عرقية بما يضمن عدم رغبتها في

الانفصال؟ .. وهل الأغنياء على استعداد لتحمل تكاليف الولايات الفقيرة .. وعلى من سترد الحكومة في حال تلقيها ضربة عسكرية لمنشأتها النووية من الداخل الأمريكي؟ .. بل كيف؟ .. وأين؟ .. هل تعجز ويصيبها الشلل؟ .. والحيرة! .. أم يسقط القناع عن الوجه القبيح ليراه قطيع البقر؟ .. أم أن الدولة أفلحت في إفساد قطيعها في متاهة لا مخرج له منها؟ ..

إذا لم يكن هناك عدالة اجتماعية وتنمية اقتصادية لكل عرقيات الشعب ستكون العرقيات المختلفة هي الحركة الأولى عندما تتحرك شعوب العالم وأفرادها .. وإذا لم تكن هناك عين متيقظة وإدارة حازمة فإن الحركة الثانية لن تكون من الذين فقدوا مكتسباتهم فقط أو الذين اختلفوا مع النظام بل ومن التيارات السياسية والتيارات المسلحة داخليا وخارجيا!! .. وتأكيدا لما سبق فقد كانت العرقيات وعناصر المعارضة الداخلية والوحدات المسلحة الأفغانية المعول عليها في التقدم الأرضي للجيش الأمريكي في أفغانستان.

ومن باب النصح أيضا لكل من آذتهم أمريكا في العالم أقول: "ما حك جلدك مثل ظفرك" .. فلا يجب أن نضخم من شأن الاعتماد على تعاون الحكومات المتمردة أو التي تعارض بخجل الولايات المتحدة فخوفها وترددها يمنعها .. لا بد أن يكون الاعتماد بعد الله عز وجل على ما تملكه شعوب العالم بين يديها فعلا .. من حلول سلبية أو إيجابية .. اقتصادية أو عسكرية أو سياسية .. وأن تحسن إدارة الصراع على أرضها وخارج أرضها .. وأن توظف من أبنائها من يكون قادراً على العمل في الداخل الأمريكي .. فتكون قادرة بإمكانيتها على ضرب العدو الأمريكي وأي حليف يصطف في خندقه .. وأن يكون هناك استنزاف حقيقي للقوات العسكرية الأمريكية في أي بقعة من

العالم .. كما تكون قادرة على غلق الممرات والمضائق البحرية بكل السبل أمام سرقات البترول وتجارة المخدرات والسلاح اليومية ولفترات طويلة فعلاً .. لا قولاً .. حتى لو اضطرت أن تغلق أبار النفط لسنوات فتحفظه لأجيالها القادمة .. وما القاعدة إلا فتية من الأمة قاموا بما يجب عليهم كطليعة للأمة المسلمة وكذا شعوب العالم المستعبدة ..

إن المفهوم الجديد للثورة يتحدى العلم والتكتيك العسكري .. إنه يتضمن حملات صاعقة تقع في المجتمعات المدنية المفرطة الحساسية .. يفتت انسجامها ويبرز ما فيها من تناقضات .. وينتشر انتشار النار في الهشيم ويفك أقوى الروابط .. ويحطم أشد العلاقات تماسكاً .. ويدمر أسوار الفصل العنصري .. ويعيد صياغة واقعها بما يلائم مراد الله من البشر .. لقد سبق وانهار الاتحاد السوفيتي .. وتخل مرغماً عن أوروبا الشرقية .. وسقط سور برلين .. وتحررت ألمانيا .. وأمريكا على رمية حجر منها .. ويجب أن يكون انهيارها أكبر متناسبا مع حجم ظلمها .. وبغض الناس لها ..

فيجب أن يعم الداخل الأمريكي الفوضى والانتفاضات والأزمات التي تفضل بعض الولايات أن تنفصل على أن تتكفل بدفع مصروفات إعالة ولايات أخرى .. إنها الأنانية الأمريكية والنظرية النفعية التي تسيطر على المجتمع المنحل .. ومهما بلغت قوى الأمن وتنوعت مؤسساته .. فحتى أفضل المجتمعات المحمية من قبلها ليست محمية من الانتفاضة والثورة وحرب العصابات .. وفي كل الأحوال لن تعود بعدها الولايات المنحلة دولة عظمى بل دولة موجودة وقابلة للتفكك مرة أخرى ..

ومن باب طرح الأفكار وتعبيد الطرق وغزل الشباك .. للإيقاع بالنسر الأقرع .. أطرح تصميم لشبكة تناسبه غُزلت خيوطها من أربعة محاور:

المحور الاجتماعي:

يتكون المجتمع الأمريكي من عدة عرقيات ربط بينها النظرية المادية النفعية .. فهو مجتمع بلا روح غارق في الماديات من أجل شهوة الأنا .. هذا الرابط أوجد في المجتمع الأمريكي عدة طبقات: فاحشي الثراء .. الأثرياء .. وميسوري الحال والفقراء والأشد فقراً .. وكلهم يعيش في حالة مادية مستقرة نسبياً .. لكنهم يعيشون بين الخوف والتوتر .. إذ أن أسلوب إدارة النظرية الاقتصادية حولتهم إلى طبقتين الدائنين والمدينين .. السادة والعبيد .. فالدائن يزداد غنا .. والمدين يكدح لسد الدين والاستدانة من جديد .. حتى إذا مات ورثه الدائن لا ورثته .. فالدائن فعلياً استرجع دينه وعاش مرفها على فوائد الدين ثم حجز على أموال المدين عند موته وربما أدخله داراً للعجزة ينفق عليه حتى يموت فيها .. والمدين يوفر خدمة المال للمرابي في مقابل تمتعه بحياة خالية إلى حد ما من الأزمات الكبيرة وفق المثل المصري الدارج (أحيني النهار ده وموتني بكرة).. وتستمر الدورة عبر الأجيال وهذا ما جعلني أصفها بالمستقرة مادياً .. وهي العلاقة بين سادة وعبيد القـ٢٠.٢١رنين .. ولإصلاح هذا الرابط لا بد من غرس روح في داخل هذا المجتمع .. لتوليد رابط جديد .. وهو الرابط العقدي الإسلامي .. فالعمل على نشر الإسلام الحقيقي وليس المسيّس ولا المميع بين مكوناته الاجتماعية .. ودعمهم وحمايتهم .. بالمراكز الثقافية والمؤسسات الاجتماعية الخدمية .. والمشروعات الاقتصادية غير الربوية .. التي تسحب البساط من تحت أقدام المرابين من جهة وتعيد إلى الإنسان احترامه وآدميته مرة أخرى .. إن العمل على هدم البنية التكوينية في المجتمع الأمريكي هو مطلب أساس للقضاء على القوة الأمريكية الغاشمة .. التي تتسلط على العالم من نفس الباب الذي تحكم به الخناق على شعبها .. وتؤهل لبناء مجتمع سليم

الروح والجسد .. يحترم ذاته ويقدر عقيدته .. ويحترم جيرانه ويعيش وفق منهج يقيم البشرية ويحفظ لها مواردها من أي استخدام خاطئ ..

المحور السياسي:

١- نشر حقيقة جرائمه ضد البشرية في العالم وتعميقها في البلاد التي ابتليت به .. والحاقدين عليه كثر يكفي أن نوقظ العداء في قلوبهم ..

٢- إيقاع الفرقة بين حلفاءه بتعميق خلاف المصالح بينهم ..

٣- إيقاظ العداوة مع أعداءه القدماء (حرب سوريا مثال نموذجي للوقيعة بينهم مع روسيا والصين) ..

٤- نشر بذور التفكك داخل مجتمعاته من خلال خلافاتهم العقدية والاقتصادية والعرقية .. كما أوضحنا في محاضرة الإستراتيجية في الجزء الثاني من هذه السلسلة .. (الصراع ورياح التغيير) ..

٥- الحرص على إبقاءه منهمكا في صراعات داخلية وخارجية تكون محصلتها النهائية تقسيم أرضيه وتفتت عناصر قوته .. وتجعل تكلفة الوحدة أضخم من الانقسام ..

٦- تأهيل الداخل الأمريكي لحرب عقائدية وعرقية طويلة المدى .. بين أعراقه المختلفة .. وعقائده المتباينة .. وشطحاته وهوسه ..

المحور الاقتصادي:

البدائل للصناعات الأمريكية متوفرة في كل مكان وبأسعار مناسبة .. وللأسف أن إنتاج الدول الإسلامية حتى الآن محصور في بضائع بعينها .. وإلا كان يمكن تحقيق الاكتفاء من الدول المسلمة .. وهناك دول لازالت أقل شراً من أمريكا يمكن الاستفادة من منتجاتها ..

المقاطعة الاقتصادية في منتهى الأهمية وهي تكسر المعادلة الأمريكية .. باعتبار الدول الإسلامية مصدراً للخامات وسوقاً للمنتجات .. فإذا أمكن حرمان العدو الأمريكي من المواد الخام أيضاً فتصبح الدورة الصناعية مشلولة بالكامل .. لأن أصحاب المصانع لن يدورها ليخزنوا إنتاجها في حالة المقاطعة .. ولن تدور أصلاً ولن تنتج في حالة حرمانهم .. والحرمان ممكن رغما عن إرادة القيادة السياسية المحلية .. وذلك بعمليات ضرب لشاحنات النفط كما سبق للناقلة الفرنسية .. أو قطع الطريق على البضائع الأخرى .. وباختصار حصار بحري من خلال عمليات قرصنة على المحاور التجارية ..

إن إفساد أو تعطيل منابع النفط وحرق حقول المخدرات أو ضرب طرق تهريبها يجب أن تكون حاضرة في الفكر الثوري .. فالعمل على المحور الاقتصادي يتطلب وعي كبير لدى التجار المسلمين .. وإدراك لدورهم في خدمة الدين وحماية للإنسانية من السطوة والفساد الأمريكي .. أما التجار المنسلخين من الدين فالتهديد يجدي نفعاً خاصة إذا كان المتحدث له مصداقية .. وكما أسلفت فالتهديد سفسطة إذا لم يسبقه ما يؤكد قدراتنا..

<u>المحور العسكري:</u>

يجب أن تطال الضربات العسكرية الأهداف الإستراتيجية: وهي مفاصل الدولة الرئيسية والتي يؤدي ضربها إلى تحويل الدولة العظمى إلى دولة من الدرجة الثانية .. والأهداف التعبوية: هي تلك الأهداف التي يؤدي ضربها إلى إثارة الرأي العام داخل الدولة وخارجه ضد الإدارة الحاكمة .. والأهداف التكتيكية: وهي تلك الأهداف التي تذكر العدو بأننا موجودون .. وتفسيرا للبنود السابقة:

١- ضرب منشأته النووية .. وتخريب مؤسسة الفضاء .. أو اختراقهم إلكترونياً .. وإتلاف ما يمكن إتلافه ..

٢- ضرب الأهداف السياسية للولايات المتحدة في بلادنا وفي كل مكان إن أمكن .. كالسفارات والمراكز الثقافية والمؤسسات الإعلامية .. ومكاتب الدراسات .. وأيضاً المكاتب التجارية ..

٣- ضرب مصالحه الاقتصادية في كل مكان في العالم كما سبق وأوضحنا (الحصار البحري) .. ضرب خط النفط بإغراق ناقلات النفط الأمريكية فقط .. إغلاق مضيق هرمز أمام سرقات النفط اليومية وأمام الملاحة العالمية .. ضرب منابع النفط وتعطيل آباره ..

٤- اغتيال كبار الأثرياء الذين يوجهون السياسة والعسكرية الأمريكية وتدمير مؤسساتهم المالية .. كذلك اغتيال الذين يدعمون حروبها الخارجية من قيادات الدول العربية وغيرها .. العمل على إتلاف النظام البنكي الإلكتروني أو الاستفادة منه بإحداث خلل يؤدي إلى شلل مصرفي ..

٥- العمل على القيام بحرب عصابات حول العالم .. خاصة في المناطق التي يطمع في سرقة ثرواتها .. أو في الدول التي تخضع له سياسيا واقتصادياً ..

٦- ضرب قواعده العسكرية المنتشرة حول العالم .. والتي تمثل تهديداً لكافة المعارضين للسياسة الأمريكية .. وهي على شكلين:

أ- قواعد ثابتة على الأرض منتشرة في العالم أجمع (تركيا ألمانيا العراق أفغانستان الفلبين دول الخليج ... الخ).

ب- القواعد المتحركة في البحار والمتمثلة في حاملات الطائرات والتي يبلغ متوسط عدد الأفراد في كل منها ٤ آلاف جندي بخلاف الطائرات والمعدات الأخرى.

٧- ضرب البنية التحتية من سدود وشبكات كهرباء ومفاعلات نووية وشبكات اتصال .. إن دعت الحاجة لذلك ...الخ ..

بضرب الأهداف السياسية والاقتصادية وأيضا العسكرية صغرت أم كبرت في داخلها أو خارجها تحدث حالة من الفوضى والإرباك للنظام العالمي أحادي القطب .. وإزعاج مستمر حتى النهاية.

***

* الخاتمة[٩١]:

العقيدة القتالية للأمم الصليبية .. التي يطفح بها تراثهم التاريخي .. وتمثل الغطاء الفكري لحربهم المقدسة .. هي الموروثات المحرفة في العهد القديم والقائمة على الإبادة .. فهي لا تسعى لإدخال الناس في الدين بقدر سعيها لإزالتهم من الوجود والاستيلاء على أراضيهم وثرواتهم .. فإن بقي من الناس قلة استعبدوهم وسخروهم في متطلباتهم ..

الظاهرة الواضحة للعيان اليوم وأمس وغداً أن الأمة الإسلامية في حالة حرب أممية مع أكثر أمم العالم الصليبي ضراوة وشراسة في تحالف متكرر عبر العصور على الإسلام والمسلمين .. وما أعنيه بكلمة أمة يتجاوز الحكومات والجيوش وأجهزة الاستخبارات وممولي الحروب من رجال المال وأصحاب الشركات العملاقة الحاصدين لثمارها إلى رجل الشارع الذي يختار السياسي وهو يعلم أنه سواء نجح مرشحه أو خصمه فكلاهم سيقود حملة صليبية على الإسلام والمسلمين وفق منهج وفلسفة حزبه .. أما المخالفين من شعوبهم لما ذكرت فهم قلة قليلة تؤمن بنصرانيتها ويهوديتها[٩٢] ولا تؤمن بالحرب المفتوحة كوسيلة .. الحرب المفتوحة التي تباد

[٩١] من الإنصاف أن اذكر أن هذا الكتاب لم أطرحه للقراءة إلا بعد أن راجعته .. واجتهدت في جعله مختصراً قدر قدر الاستطاعة حتى لا يمل القارئ .. وراجعه مرتين كلا من الأخوين أبو محمد المصري وأبو الخير أحمد حسن .. فجزاهما الله خيراً على ما قدما فيه من نصح وما أرهقتهما به .. وأسأل الله أن يكتب له القبول .. كما اطلع عليه إبني خالد (١٨ عاماً) حتى أطمئن لبساطة لغته وسهولة فهمه .. ولا أنسى أن أؤكد على نقص هذا العمل وعدم كماله فهو في نهاية الأمر منتج بشري لا يعدو حجمه .. فما كان فيه من توفيق فهو من الله وحده وما كان فيه من الزلل فمن نفسي المقصرة والشيطان .. وإن خَالفتْ فيه جملة أمراً من أوامر الله أو نواهيه فإني أبرء منها وأتوب إلى الله .. فمن وجد فيه من ذلك شيء فلا يتبعه .. بل وينبه عليه ويحذر منه .. والله ولي التوفيق ..

[٩٢] وبالتالي فهي لا تدخل في قول الله تعالى (هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَاء مُّؤْمِنَاتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَؤُوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مَن يَشَاء لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا {٢٥} الفتح .. فهم كفار أصليين يقيمون في ديار الكفر لا عهد لهم ولا آمان ..

فيها الجيوش وتقتل وتستعبد الشعوب وقد تباد أيضاً .. لكنهم يؤمنون بالحرب المحدودة التي تدر عليهم الثروات دون مزيد من سفك الدماء .. وهم مع غيرهم حريصون على الرفاهية والحياة الرغيدة على حساب دماء وثروات المسلمين .. وغير المسلمين من شعوب جنوب الكرة الأرضية ..

تكمن عبقرية القيادة في القدرة على رؤية الصورة الإجمالية .. وفي ضوء ذلك تبادر إلى تحديد قائمة الأعداء بدقة .. ثم ترتيب أولويات الصراع .. لتحدد على من تطلق الرصاص أولاً .. وأي حبل إذا قطعته انفرطت حباته وتداعى نظمه .. وبمعنى أكثر دقة هناك أعداء يجب أن توجه إليهم المدافع لينهاروا .. وأعداء ينهارون من صدى المدافع ..

المنظومة العالمية الآن تتمثل في "رجال أعمال" فاحشي الثراء شكلوا شركات عملاقة .. وبقدراتهم المالية المهولة يخضعون "الحكومات وملحقاتها" لحماية مصالحهم .. ويسيرون "الجيوش" فيشعلون بهم نار الحرب ليستعبدوا الشعوب أو يبيدونهم .. ليحتكروا هم الثروة .. هذا التحالف الخبيث بين "الثروة والسلطة والقوة" .. تحالف عابر للقارات .. قائم على مستوى الكوكب .. كما هو قائم داخل كل إقليم .. وكذلك قائم في كل دولة..

ملحقات الحكومات التي تتمثل في المؤسسات ذات التأثير الروحي ومؤسسة القضاء والإعلام والسينما والأمن والمخابرات .. ومؤسسات المجتمع المدني وغيرها .. كلهم يشاركون في الوصول إلى هدف واحد "هلاك بني آدم" .. جسدياً وروحياً ..

وبالتالي على قيادة العصابات أن تدرك أن النجاح في حربها القطرية يستلزم ردعاً للقوة الدولية وإرهاباً للقوة الإقليمية .. إن التناغم بين ردع القوة الدولية واستنزاف ثم القضاء على القوة المحلية وإرهاب القوة الإقليمية ..

يظهر للشعوب حقيقة التحالف الخبيث بين "رجال الأعمال والحكومات وجيوشها" على "شعوب العالم" .. فكل شعوب الكوكب تعاني قسطا من قهر هؤلاء يتفاوت من شعب لأخر بحسب وعيه ووجوده في المشهد الاقتصادي ..

المشهد الاقتصادي يتمثل في عناصره الأساسية وهي منابع المواد الخام .. المصانع .. الأسواق .. فالشعوب مستعبدة في مناجم وحقول الثروات تحفر وتكد وتزرع وفق رؤية حددها أصحاب المصالح .. والشعوب مستعبدة في العملية الصناعية المفروضة عليهم لأن رجال الأعمال يخنقون الصناعات الصغيرة باحتكارهم للمدخلات الصناعية .. والشعوب مستعبدة من خلال ثقافة السوق "الاستهلاكية" الذي فرضته الشركات العملاقة من خلال إعادة صياغة تفكير البشرية .. ليكون همها الأول والأخير إشباع شهواتها .. حتى لو أهلكت في سبيل ذلك الكوكب .. فتحول البشر إلى حيوانات نهمة لا تشبع ولا تتوقف عن الطلب .. وذلك كله على حساب إنسانيتها وسلامة كوكبها .. وبمعنى أصح على حساب الروح .. تمادى الجسد .. فأهلكها .. وانتهى ما كان يميز البشر عن الحيوانات .. وهو التكليف السماوي (**بالخلافة على الأرض**) .. فانقطعت عن ربها وتمسكت بنهمها وشهواتها .. واتبعت الشيطان .. فهوت إلى الحضيض .. قال تعالى { وَلَقَدْ صَدَّقَ عَلَيْهِمْ إِبْلِيسُ ظَنَّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ {٢٠} سبأ .. { إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلاَّ إِنَاثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلاَّ شَيْطَانًا مَّرِيدًا {١١٧} لَّعَنَهُ اللّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا {١١٨} وَلأُضِلَّنَّهُمْ وَلأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الأَنْعَامِ وَلآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ اللّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا {١١٩} الأنعام .. { وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن

سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُواْ أَنفُسَكُم مَّا أَنَاْ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ {٢٢} إبراهيم ..

إذا أدرك المجاهدون جوهر الصراع .. وتعرفوا على أعدائهم بدقة .. وأعدوا قائمة بأولويات الصراع .. وتناغموا وتكاملوا في العمل عليهم .. سيدركوا أنهم ألهبوا مدافعهم وأطلقوا قذائفهم من أجل تحقيق التكليف الإلاهي بخلافة الأرض لإقامة الدين .. الذي نعتقد أن فيه الصلاح والرشاد للبشرية جمعاء .. فالإسلام فيه صلاح الأرض وصلاح الخلق .. وإن إتباع الإسلام يصلح الكوكب بما عليه من مخلوقات .. فالعدل الإسلامي يعود نفعه على البشرية .. ينالوا فيه حريتهم .. ويضمن لهم حياة كريمة .. في إطار من التكافل والعدالة الاجتماعية وحسن توزيع الثروات .. قال تعالى: {مَّا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةً بَيْنَ الْأَغْنِيَاءِ مِنكُمْ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ {٧} لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ {٨} الحشر .. ومن ثمار انتفاع البشر بالإسلام أن ينتفع به الكوكب .. فلا تدمر الأرض ولا تسرف في استهلاك ثرواتها .. ولا تمتد يدها للمخلوقات بالعبث والإتلاف .. روى مسلم في صحيحه عَنْ شَدَّادِ بْنِ أَوْسٍ .. قَالَ: ثِنْتَانِ حَفِظْتُهُمَا عَنْ رَسُولِ اللّهِ .. قَالَ: «إِنَّ اللّهَ كَتَبَ الإِحْسَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ .. فَإِذَا قَتَلْتُمْ فَأَحْسِنُوا الْقِتْلَةَ .. وَإِذَا ذَبَحْتُمْ فَأَحْسِنُوا الذَّبحَ .. وَلْيُحِدَّ أَحَدُكُمْ شَفْرَتَهُ .. فَلْيُرِحْ ذَبِيحَتَهُ» ..

فإذا تبين ذلك تكون رحلة الكتاب قد بلغت منتهاها .. والرسالة التي من وراءها سطرت صفحاته أدركها القارئ .. وله نشرها لوجه الله تعالى لا يتكسب منها .. وأجره على الله .. أسأل الله العظيم أن يتقبل مني ومنكم صالح الأعمال .. وأن يجعله خالصاً لوجهه الكريم .. رب اغفر لي خطيئتي يوم الدين .. والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات ..

ولا يبقى لي من إخواني وأبنائي وكذلك أحفادي .. الذين يطلعون على هذا الكتاب .. ووجدوا فيه ما ينشدون .. إلا .. رجاء .. من القارئ المستفيد .. أن يحج عني إن كان قادراً عليه .. فإن لم يستطع فعمرة .. فإن لم يستطع فليتصدق عني بما يعادل جرام من الذهب على أسرة فقيرة من أسر المسلمين شريطة أن يسلمه لها بنفسه وليس من خلال أي مؤسسة أو وكيل .. فإن لم يستطع فليدعوا الله أن يعفو عني وعن أبوي .. فإن لم يوفق لذلك فهو في حل من كل ما طلبت .. وأسأل الله أن يعفو عني وعنكم .. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

يوم عرفات ١٤٣٤هـ

١٤-١٠-٢٠١٣

المراجع:

- القرآن الكريم
- كتب الصحاح والسنن
- السيرة النبوية
- الموسوعة العسكرية (مجموعة عسكرية عربية)
- ماذا يريد العم سام (نعوم تشومسكي)
- حرب المستضعفين (روبرت تابر)
- الحرب الثورية (الجنرال بوفر)
- التاريخ الإسلامي (محمود شاكر)
- حرب المطاريد (المهندس مصطفى حامد "الشيخ أبو وليد المصري")
- سلسلة ثرثرة فوق سقف العالم (المهندس مصطفى حامد "الشيخ أبو وليد المصري")
- الأعمال الكاملة (جيفارا)
- معجم المصطلحات السياسية والدولية
- معجم مصطلحات الجغرافيا العسكرية والسياسية
- فلسفة الثورة (جمال عبد الناصر)
- الطريق إلى بيت المقدس (جمال عبد الهادي)
- الأحكام السلطانية (الماوردي والفراء)
- فيتنام قصة حرب عصابات (ويلفر دج. بورشيت)
- ثلاثة وجوه للثورة (جيفارا تأليف أندرو سنكلير)
- مقدمة ابن خلدون

الفهرس

صور غلاف الخلفية

الشيخ عبد الله عزام رحمه الله .. من فلسطين

الشيخ جلال الدين حقاني حفظه الله .. من أفغانستان

الشيخ أسامة بن لادن رحمه الله .. من اليمن

المشايخ عمر عبد الرحمن حفظه الله .. وصبحي أبو ستة رحمه الله .. وأيمن الظواهري حفظه الله .. ومصطفى أبو اليزيد رحمه الله .. من مصر

والأخ المجاهد البطل خالد شيخ محمد حفظه الله وفك أسره .. بلوشي من باكستان

والشيخ أبو يحيى حسن قايد رحمه الله .. من ليبيا

والأخ المجاهد البطل خطاب رحمه الله .. من جزيرة العرب


لا إله إلا الله محمد رسول الله
يتناول الجزء الثالث من كتاب
الصراع .. ورياح التغيير
موضوع حرب العصابات وقد تناولنا
الموضوع فيه دون إسهاب ممل
أو اختصار مخل ..
ونسأل الله أن يكتب له القبول ..
ونأمل أن يكون إضافة إلى المكتبة الإسلامية ..
خاصة وأن هذا الجانب من ثقافة الحرب
(حرب العصابات)
لم يتم تغطيته فيها بشكل لائق
يناسب أمة تجاوزت المليار مسلم
تواجه صراع حضاري بهذه
الضخامة وهذا الحشد ..